

بجته التأليف والترجمة والنشر

كتاب

الامتياز والموانسة

تأليف

أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى

حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في سبع وثلاثين ليلة

الجزء الأول

صححه وضبطه وشرح غريبه

أحمد أمين و أحمد الزين

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٣٩

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة / عبد الرزاق باها السنهوري

القاهرة

كتاب

الامتياز والموانع

تأليف

أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى

حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في سبع وثلاثين ليلة

الجزء الأول

صححه وضبطه وشرح غريبه

أحمد أمين و أحمد الزين

القاهرة

مطبعة دار التأليف والترجمة والنشر

مقدمة

كتاب الامتاع والموانسة

بقلم : أحمد أمين

هو أبو حيان التوحيدي من أولئك العلماء الأدياء ، الذين أصيبوا في حياتهم بالبؤس والشقاء ، وظل حياته يجاهد ويكافح في التأليف واحتراف الوراقه والنسخ وجوب الأقطار ، يقصد الأسماء والوزراء لعلهم يكافئون علمه وأدبه ، فلم يحظ من كل ذلك بطائل ، وعاش كما يقول في بعض كتبه على نحو أربعين درهما في الشهر أى ما يساوى جنيتها واحداً — مع أنه كما يقول — رأى كل من حوله من العلماء والشعراء يحظون من الأسماء بالمال الكثير والحظ الوافر ، وليس أكثرهم يدانيه علماً أو يجاريه أدباً . قصد ابن العميد وابن عباد وابن شاهويه وابن سعدان وأبا الوفاء للهندس وغيرهم ، ومدح وأطرى ، وبكى واشتكى ، وهدد وأوعد ، فما نفعه مدحه ولا ذمه ، ولا إطرأؤه ولا هجاؤه ، فإن استفاد شيء مما عاناه أبو حيان فإنما هو الأدب بما كتب وألف ، وبما حجا واستعطف .

ولم يكن حظه بعد وفاته بأحسن من حظه في حياته ، فقد عجب ياقوت من أن مؤرخى الرجال لم يترجموا له ، مع أنه فيلسوف الأدياء وأديب الفلاسفة ، ولم نثر فيما بين أيدينا من الكتب على ترجمة وافية لحياته إلا تنقاً قصيرة وأخباراً ضئيلة .

وأراد هو أن ينتقم من الناس الذين كفروا صنيعة ، وجحدوا علمه وأدبه ، فأحرق في آخر أيامه كتبه ، وقال : « إني جمعت أكثرها للناس ولطلب اللثالة

منهم ، ولقد الرياسة بينهم ، ولد الجاه عندهم ، غرمت ذلك كله... ولقد اضطرت
بينهم بد العشرة والعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى
التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى بيع الدين والمروءة ، وإلى تعاظم
الرياء بالسمة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب
صاحبه الألم » .

قال السيوطي : « ولعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في
حياته وخرجت من قبل حرقها » .

وكان من شؤمه أنه لم يبق من كتبه التي ألفها — وتبلغ نحو العشرين —
إلا القليل ، ولم يطبع منها إلا المقابسات والصدقة والصديق ، ورسالة في العلوم ،
وما بقي منها مخطوطاً ، بل وما طبع منها مملوء بالتحريف والتصحيف إلى حد
يقلل من قيمتها والانتفاع بها .

ولعل أقوم كتبه وأنفعها وأتمها كتابه الذي نحن بصدده وهو « كتاب
الإمتاع والمؤانسة » .

فهو كتاب ضخم يقع في ثلاثة أجزاء أخذنا أنفسنا بنشره لتعميم نفعه .
ولتأليف أبي حيان لهذا الكتاب قصة ممتعة ، ذلك أن أبا الوفاء للمهندس
كان صديقاً لأبي حيان وللوزير أبي عبد الله العارض ، فترى أبو الوفاء أبا حيان
من الوزير ، ووصله به ، ومدحه عنده ، حتى جعل الوزير أبا حيان من شُماره ؛
فسأله سبعا وثلاثين ليلة كان يحادثه فيها ، ويطرح الوزير عليه أسئلة في
مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان .

ثم طلب أبو الوفاء من أبي حيان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين
الوزير من حديث ، وذكره بتعبته عليه في وصله بالوزير ، مع أنه « أي أبا حيان »

ليس أهلاً لمصاحبة الوزراء لقبج هيئته وسوء عاداته وقلة مرائته وحقارة لبسته ،
وهدهد إن هو لم يفعل أن يفض عنه ، ويستوحش منه ، ويوقع به عقوبته ،
وينزل الأدنى به .

فأجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء ، ونزل على حكمه ، وفضل أن يدون ذلك
في كتاب يشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير من دقيق وجليل وحلو ومر ،
فوافق أبو الوفاء على ذلك ، ونصحه أن يتوخى الحق في تضاعيفه وأئنيائه ،
والصدق في إirاده ، وأن يطنب فيما يستوجب الإطناب ، ويصرح في
موضع التصريح .

« فكان من ذلك كتاب الإمتاع والمؤانسة »

من هو الوزير أبو عبد الله العارض الذي ساءره أبو حيان ؟
لقد بحثت عنه في مظانه فلم أوفق إلى العثور عليه ، وقبل ذلك عني للرخوم
أحمد زكي باشا بالبحث والسؤال عنه من بعض علماء الشرق والغرب فكان
حظه حظي .

وأخيراً رجحت أنه هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان
وزير مصمّام الدولة البويهية ، وقد ورد اسمه هكذا في كل ما راجعت من
كتب التاريخ أمثال : (تجارب الأمم) وذيله (وابن الأثير) ، ولم يلقيه أحد منهم
(بالعارض) ؛ وكلمة (العارض) كما في كتاب (الأنساب للسمعاني) معناها : « من
يعرف العسكر ويحفظ أرزاقهم ، ويوصلها إليهم ويعرضهم على الملك إذا احتيج
إلى ذلك » فالظاهر أن الوزير أبا عبد الله لقب هذا اللقب إما لأنه تولى هذا
العمل قبل أن يتولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته ؛ ودليلي على ذلك أمور :
(١) أنه ورد في صدر هذا الكتاب أن أبا الوفاء ذكر لأبي حيان :

أنك لما انكفأت من الرى إلى بغداد فى آخر سنة ٣٧٠ مغيظاً من ابن عباد ، وعدتك صلاح حالك ، وأن أوصلك إلى الأستاذ أبى عبد الله العارض ، ثم جاء وصف أبى عبد الله هذا بالوزير .

ونحن إذا رجعنا إلى من استوزر فيما بين سنة ٣٧٠ وسنة ٣٧٥ لم نجد وزيراً يكفى بأبى عبد الله إلا الوزير أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ، فقد استوزره مصمص الدولة سنة ٣٧٣ وقتله سنة ٣٧٥ .

(٢) جاء فى أثناء كتاب « الإمتاع والمؤانسة » أن أبى حيان قص على الوزير أنه سمع رجلاً على جسر بغداد يقول وقد رأى ابن بقية الوزير المشهور مصلوباً بمد أن مات عضد الدولة : « سبحان الله ! عضد الدولة تحت الأرض وابن بقية فوق الأرض » ، فلما سمع الوزير ذلك قال : استأذنت الملك فى دفن ابن بقية فدفن .

وقد ذكر المؤرخون أن ابن بقية دفن فى عهد مصمص الدولة ؛ ولم يكن لمصمص الدولة وزير يكفى بأبى عبد الله غير ابن سعدان .

(٣) ومما يستأنس به أن أبى حيان كان متصلاً بالوزير ابن سعدان وألف له كتاب « الصداقة والصديق » وقد ذكر فى أوائله « أن السبب كان فى إنشاء هذه الرسالة أنى ذكرت شيئاً منها لزيد بن رفاعة أبى الخير ، فنباه إلى ابن سعدان سنة إحدى [وسبعين] وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة وتدييره أمر الوزارة حين كانت الأشغال خفيفة ، والأحوال على أذلالها جارية ، فقال لى ابن سعدان : قد قال لى زيد عنك كذا وكذا . قلت : قد كان ذلك . قال : فدوّن هذا الكلام وصله بصلاته فجمعت ما فى هذه الرسالة » .

فاتصال أبي حيان بابن سعدان وتأليفه له كتاب «الصدافة والصدق» يرجح الظن بأنه هو أبو عبد الله العارض .

نم كان من رجال مصمص الدولة من اسمه أبو الحسن بن عمارة العارض استخدمه مصمص الدولة في السفارة بينه وبين أعدائه أحياناً ، ولكن يبعد أن يكون هو الذي ألف له كتاب الإمتاع والمؤانسة — لأن كنيته أبو الحسن والذي ألف له الكتاب أبو عبد الله — ولأن أبا الحسن لم يكن وزيراً لمصمص الدولة . وفي الكتاب النص في مواضع متعددة على أنه ألّفه لوزير .

(٤) ذكر في كتاب « الإمتاع والمؤانسة » أصدقاء أبي عبد الله العارض وعدد منهم ابن زرعة وأبا الوفاء للهندس ومسكويه والأهوازي وبهرام وابن شاهويه ، وأنهم كانوا يلازمونه وأنهم أهل مجلسه ، وعدد في كتاب الصدافة والصدق أصدقاء ابن سعدان فإذا هم هم^(١) ؛ فاتحاد الأصدقاء وتوافقهم واجتماعهم في مجلس وزير يرجح الظن جداً بأن ابن العارض هو ابن سعدان .

(٥) جاء في « كتاب الإمتاع والمؤانسة » أن الوزير سأل أبا حيان عما يقول الناس فيه . فقال له : « سمعت بيباط الطاق قوما يقولون : اجتمع الناس اليوم على الشط ، فلما نزل الوزير ليركب الزرب صاحوا ونجوا وذكروا غلاء القوت وعوز الطعام وتعذر الكسب وغلبة الفقر ، وأنه أجابهم بجواب مُرّ مع قطوب الوجه وإظهار التبرم » .

وهذه الأوصاف كلها تنطبق على ما ذكره أبو شجاع في كتابه « ذيل تجارب الأمم » عن حادثة جرت لابن سعدان .



وإبن سعدان هذا استوزره مصمص الدولة البويهية سنة ٣٧٣ لما تقلد الأمور بعد وفاة أبيه عضد الدولة . جاء في كتاب « ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع : « وفيها [أى في سنة ٣٧٣] خُلع على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة — وكان رجلاً باذلاً لعطائه ، مانعاً لقاته ، فلا يراه أكثر من يقصده إلا ما بين نزوله من درجة داره إلى زبربه ^(١) ؛ ومع ذلك فلا ينجيب طالب إحسان منه في أكثر مطلبه فبسط يده في الإطلاقات والصلات وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الأولياء والكتتاب والحواشي من أموالهم وأرزاقهم وانضاف إلى ضيق خلقه ما اتفق في وقت نظره من غلاء سعر ، فتطيرت العامة ورجحوا زبربه ، وشغبوا الديلم عليه ، وهجموا على نهب داره ، وانهت الحال إلى ركوب مصمص الدولة إلى مجتمهم حتى تلافاهم وردم ^(٢) » .

وقد غل ابن سعدان في الوزارة إلى سنة ٣٧٥ حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، فظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به .

وحدث أن ابن سعدان أراد أن يمين أباه كاتباً لوالده مصمص الدولة لما مات كاتبها ، فقال أبو القاسم لمصمص الدولة : « إن ابن سعدان قد استولى على أموالك ، وملك عليك خزائنك وأموالك ، فإذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه ^(٣) » . وتمت المكيدة ولم يمين أبوه . ثم قبض على ابن سعدان وأصحابه وأودعوا السجن ، واستوزر مصمص الدولة هذا الواشي

(١) الزبرب : ضرب من السفن .

(٢) ص ٨٥ .

(٣) ص ١٠٣ .

أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف ، ولم يكتف أبو القاسم بمجلس ابن سمدان فاتهز فرصة خروج ناثر على صمصام الدولة اسمه « أسفار بن كردويه » يريد خله ، قدس أبو القاسم إلى صمصام الدولة أن ابن سمدان متصل بهذا الناثر وأن الذى جرى كان من فعله وتدييره ، وأنه لا يُؤْمَن ما يتجدد منه فى محبسه ، فأمر صمصام الدولة بقتله ، فقتل سنة ٣٧٥ .

وكان لابن سمدان ناحية أخرى علمية أدبية يصورها أبو حيان فى كتبه ، فهو واسع الاطلاع ، له مشاركة جيدة فى كثير من فروع العلم من أدب وفلسفة وطبيعة وإلهيات وأخلاق ، يدل على ذلك حواراه الذى يحكيه أبو حيان فى كتابه الإمتاع والمؤانسة والمقابسات ، فهو يسأل أسئلة عميقة ، وينقد الإجابة عنها نقداً قياً .

وفوق ذلك كان له فى وزارته منتدى يجمع كثيراً من جلة العلماء والأدباء . منهم ابن زرعة الفيلسوف النصرانى ، وابن مسكويه صاحب (تهذيب الأخلاق) ، (وتجارب الأمم) ، وأبو الوفاء المهندس الذى ستحدث عنه ، وأبو سعد بهرام بن أردشير ، ومن الشعراء ابن حجاج الشاعر الماجن المشهور ، ومن الكتاب أبو عبيد الخطيب الكاتب ، وأبو حيان صاحبنا .

وكان له مجلس شراب يجلس إليه بعض هؤلاء فيتفاكهون ويتنادون ويذهبون فى فنون الحديث كل مذهب ، ومجلس جد يتحاورون فيه ويتناقشون فى الفلسفة والأخلاق والأدب .

وكان يباهى بمجلسه ويفخر به على مجالس الأسراء المعاصرين له ، مثل المهلبى وابن العميد والصاحب بن عباد . فيقول فى أحبابه هؤلاء : « ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، . . . وأن جميع ندماء المهلبى لا يفون بواحد من .

هؤلاء ، وأن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل من فيهم ، وأن ابن عباد ليس عنده إلا أصحاب الجدل الذين يشفيون ويمحقون ويتصايحون^(١) . فلا عجب — إذن — أن يكون من نتاج ابن سعدان الوزير العالم هذا الكتاب الذي نحن بصدده ؛ كتاب « الإمتاع واللؤاسة » .

وأما أبو الوفاء الذي وصل أبا حيان بابن سعدان والذي ألف أبو حيان له كتاب « الإمتاع واللؤاسة » ودون له فيه كل ما دار بينه وبين الوزير في سبع وثلاثين ليلة ، فهو محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني . ترجم له ابن النديم في (الفهرست) وابن خلكان في (وفيات الأعيان) ؛ وقال فيه هذا الأخير : « إنه أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة ، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها ، وكان شيخنا الملامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس — وهو القيم بهذا الفن — يبالغ في وصف كتبه ، ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته ويحتج بما يقوله وكان عنده من تأليفه عدة كتب وكانت ولادته سنة ٣٢٨ بمدينة بوزجان ، وقدم المراق سنة ٣٤٨ ، وتوفي سنة ٣٧٦ » . وقد ذكر ابن خلكان أنه نقل تاريخ الوفاة هذا من شيخه ابن الأثير . ولكن الذي في ابن الأثير أنه عد وفاته في حوادث سنة ٣٨٧ ، فإما أن ابن خلكان أخطأ في النقل أو أن الناسخ أخطأ في الكتابة .

وكان أبو الوفاء هذا من ندماء ابن سعدان كما تقدم ، وقد وصفه ابن سعدان في جملة ما وصف من أصحابه . فقال : « وأما أبو الوفاء فهو والله ما يقعد به عن اللؤاسة الطيبة والمساعدة للطربة والفاكهة اللذيذة واللواتاة الشهية ، إلا أن لفظه خراساني ، وإشارته ناقصة ، هذا مع ما استفاده بمقامه الطويل ببغداد ، والبغدادى

(١) انظر رسالة الصداقة والصديق ص ٣٣

إذا تخرسن كان أعلى وأظرف من الخراساني إذا تبعد^(١) .

إلى هنا رأينا أن الكتاب ألف لأبي الوفاء المهندس ، نقل فيه أبو حيان ما دار بينه وبين ابن سعدان . ولكن القفطي في كتابه « أخبار الحكماء » عند ترجمته لأبي سليمان المنطقي أورد كلاما يناقض ما نقول ، سواء في ذلك من ألف له الكتاب ، ومن دار الحديث بينه وبين أبي حيان .

فقد ذكر : « أن أبا سليمان كان أعور ، وكان به وَضَح ، وكان ذلك سبب انقطاعه عن الناس ولزومه منزله ، فلا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم ، وكان يشتهى الاطلاع على أخبار الدولة وعلم ما يحدث فيها وكان أبو حيان التوحيدى من بعض أصحابه المعتصمين به ، وكان يقضى مجالس الرؤساء ويطلع على الأخبار ، ومهما علمه من ذلك نقله إليه وحاضره به ، ولأجله صنف كتاب « الإمتاع والمؤانسة » نقل له فيه ما كان يدور في مجلس أبي الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي عند ما تولى وزارة مصمم الدولة بن عضد الدولة^(٢) . وأنا أرجح خطأ القفطي في الوجهين معاً .

فأما في الأول : فإن النسخة التي بيدي تذكر أنه ألفه لأبي الوفاء المهندس لأبي سليمان المنطقي . ويقول في صدر الكتاب : إنه ألفه رداً لجميل أبي الوفاء إذ كان هو الذى أوصله لأبي عبد الله . وعندما يأتي ذكر أبي الوفاء في ثنايا الكتاب ، ويسأل أبو عبد الله أبا حيان عن رأيه فيه يمدحه ويثنى عليه ، ويقول : كيف أذمه وهو الذى أوصلنى بك ، وقد سبق أن أثبتنا أن أبا الوفاء كان من ندماء أبي عبد الله .

(١) الصداقة والصديق ٣٢ .

(٢) أخبار الحكماء ص ٢٨٣ .

ودليل آخر ، وهو أن أبا حيان في بعض كلامه في الكتاب يستجدي من ألف له الكتاب ، وقد كان أبو الرقاء المهندس في منزلة تسمح له بذلك ، فإنه رجل جليل القدر يلقبه الوزير بشيخنا . أما أبو سليمان فكان فقيراً كما ذكر ذلك أبو حيان في هذا الكتاب ، وكانت صلة أبي حيان به صلة علمية لا صلة مالية ، فمن البعيد جداً أن يستجديه أبو حيان .

ودليل ثالث : وهو أن الوزير أبا عبد الله سأل أبا حيان في الكتاب عن أبي سليمان هذا ، فذكر له أوصافه ، وفيها ما هو عيب لأبي سليمان كقوله : إنه يجتمع مع قوم للشراب ، ويذكر بعضهم الوزير بالسوء ، فلو كان أبو حيان ألقه لأبي سليمان لكان بعيداً كل البعد أن يذكر هذا الحديث .

ودليل رابع : وهو أن أبا حيان ينقل في كتابه هذا عن أبي سليمان ، ويذكر آراءه ، وينقل بعض رسائله إلى الوزير ، ولو كان يؤلف الكتاب لأبي سليمان لاستغنى عن ذكر ما يعرفه أبو سليمان عن نفسه من أقواله ورسائله ، ولكن أبو حيان في ذلك كن ينقل إلى البئر ماءه ، وإلى الكنز ذهبه ، وهذا غير مألوف ولا مستساغ .

لهذا كله ترجح خطأ القفطي فيما ذهب إليه من أنه ألقه لأبي سليمان للنطق .. كما ترجح خطأه في الشق الثاني ، وهو أن أبا حيان دون فيه ما كان يدور بينه وبين أبي الفضل عبد الله بن الماراض الشيرازي وزير مصمم الدولة . ذلك لأن النسخة التي بين أيدينا يذكر فيها أبو حيان أنه دون فيه ما دار بينه وبين أبي عبد الله الماراض لا أبي الفضل عبد الله بن الماراض . وقد راجعنا كتب التاريخ التي بين أيدينا وأحصينا فيها من تولى الوزارة لـ مصمم الدولة ، فلم نجد من بينهم أبا الفضل عبد الله بن الماراض الشيرازي الذي ذكره القفطي

وكما تقول دائرة المعارف الإسلامية في مادة أبي حيان تبعا له .

نعم رأينا من يسمى أبا الفضل الشيرازي ، وكان يعيش في هذا العصر ولكن اسمه أبو الفضل محمد بن عبد الله بن الرزبان الشيرازي لا أبو الفضل عبد الله الشيرازي كما يقول القفطي . وكان هذا كاتباً لا وزيراً ، وكان صديقاً لأبي علي الحسن التنوخي ، ونقل عنه كثيراً في كتابه « نشوار المحاضرة » ولقبه الكاتب لا الوزير . والنسبة ألف له الإمتاع والمؤانسة وزير لا كاتب .

يضاف إلى ذلك ما ذكرنا قبل من البراهين .

فالكاتب — في رأينا — كتب لأبي الوفاء المهندس لا أبي سليمان المنطقي ودون فيه ما دار في مجلس ابن سعدان لا أبي الفضل الشيرازي .



وصف الكتاب : قال القفطي في وصفه : « وهو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم ، فإنه خاض كل بحر ، وغاص كل لجة ، وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو : **ابتداء أبو حيان كتابه صوفياً وتوسطه محدثاً ، وختمه مسائل ملحفاً** ^(١) » .

قسم أبو حيان كتابه إلى ليال ، فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لي وسألني وقلت له وأجبتة . وكان النى يقترح للوضوع دائماً هو الوزير . وأبو حيان يجيب عما اقترح ، وكان الوزير يقترح أولاً موضوعاً حسبما اتفق وينتظر الإجابة ؛ فإذا أجاب أبو حيان أثارته إجابته أفكاراً ومسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأله عنها ، فقد يسأله سؤالاً يأتي

في أثناء الإجابة عنه ذكر لابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان للنطق ، فيسأله الوزير عنهم وعن رأيه فيهم ، وهكذا ، يستطرد من باب لباب ، حتى إذا انتهى المجلس كان الوزير يسأله غالباً أن يأتيه بطرفة من الطرائف يسميها غالباً : « ملحّة الوداع » فيقول الوزير — مثلاً — : إن الليل قد دنا من فجره ، هات ملحّة الوداع . وهذه الملحّة تكون — عادة — نادرة لطيفة أو أحياناً رقيقة ، وأحياناً يقترح الوزير أن تكون ملحّة الوداع شعراً بدوياً يشم منه رائحة الشيع والقيصوم وهكذا .

وأحياناً يكلفه الوزير أن يتم له المسألة المروضة في رسالة ؛ فقد سأله مرة عن المصدر التي تجمي على وزن تعال ، فأجابه أبو حيان عن بعضها ، ثم طلب منه الوزير أن يجمع له ما جاء في اللغة منها .

وأحياناً يتخذ الكلام شكل حوار . فأبو حيان — مثلاً — يروي عن ديوجانيس أنه سئل : متى تطيب الدنيا ؟ . فقال : « إذا تقلّص ملوكها ، وملك فلاسفتها » ؛ فلم يرض الوزير عن هذا ، وقال : إن الفلسفة لا تصح إلا لمن رفض الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ؛ فكيف يكون الملك رافضاً للدنيا وقائلاً لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها ، والقيام عليها باجتلاب مصالحها ونفي مفاسدها ! — وأطال في ذلك — وفي كثير من الأحيان يعلق الوزير على إجابة أبي حيان بالاستحسان أو الاستهجان مع ذكر أسباب ذلك .

وأحياناً يطلب إليه الوزير أن يحضّر له رسالة في موضوع ، ثم يتلوها عليه في جلسة مقبلة كما فعل مرة ، إذ كلفه أن يكتب له في المجون والملح ، ففعل أبو حيان وقرأها عليه في مجلس . قال أبو حيان : « فلما قرأتها على الوزير قال : ما علمت أن مثل هذا الحجم يحوى هذه الوصايا والملح » .

وأونة يثير الوزير مسائل أشكلت عليه في اللغة والفلسفة والاجتماع ،
يمرضها على أبي حيان ويطلب منه الجواب فيفعل .
ويحدث أحياناً أن الوزير يدفع لأبي حيان برقعة فيها أسئلة يطلب إليه
أن يفكر في الإجابة عنها ، ويتصل بغيره من العلماء ليأخذ رأيهم فيها ؛ كما حدث
مرة أنه دفع إليه رقعة بخطه فيها مطالب ، وقال : باحث عنها أبا سليمان
وأبا الخير ، ومن تعلم أن في محاورته فائدة . وكان في الرقعة أسئلة منها عن الروح
وصفتها ، ومنفعت ، وما اللانع أن تكون النفس جسماً أو عرضاً أو هباء ؛ وهل تبقى ؟
وإن كانت تبقى فهل هي تعلم ما كان الإنسان فيه ههنا الخ . ويقول الوزير في آخر
هذه الرقعة : « إن هذا وما أشبهه شاغل لقلبي وجائهم في صدري ، ومعترض بين
تقضى وفكرى ، وما أحب أن أبوح به لكل أحد » ؛ ويأمره بأن يكتم خطه
فإن أراد أن يمرض هذه المسائل مكتوبة على أبي سليمان فلينسجها بخطه هو . ثم
سأل أبو حيان أبا سليمان وذكر إجابته عنها ونقلها إلى الوزير ، وعلى هذا النمط
يجرى تأليف الكتاب .

وموضوعات الكتاب متنوعة تنوعاً ظريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبويب ،
إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث . حتى لتجد في
الكتاب مسائل من كل علم وفن ؛ فأدب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة
وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر
وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات وأحاديث المجالس ، وغير ذلك مما يطول شرحه ..



فلما أراد أبو حيان أن يدون لأبي الوفاء ما دار بينه وبين الوزير رزاد فيه ونحو
الحديث . وكان يدون جزءاً ويرسله إلى أبي الوفاء ويتبعه بجزء آخر وهكذا ...

وحدث هو نفسه عن ذلك كله في أول الجزء الثاني فقال : « قد فرغت من الجزء الأول على ما رسمت لي القيام به ، وشرفنى بالخوض فيه ، ومردت في حواشيه أعيان الأحاديث التي خدمت بها مجلس الوزير ، ولم آكل جيداً في روايتها وتقويمها ، ولم أجنح إلى تسمية شيء منها ، بل زبرجت كثيراً بناصع اللفظ مع شرح النامض ، وصلة المحذوف ، وإتمام للنقص ، وحلته إليك على يد « فائق » الغلام ، وأنا حريص على أن أتبعه بالجزء الثاني ، وهو يصل إليك في الأسبوع إن شاء الله .

وقد خاف أبو حيان من بعض ما ورد في الكتاب ؛ فإنه في حديثه مع الوزير عاب أشخاصاً من رجالات الدولة الذين يستطيعون إيذائه ، فرجا أبا الوفاء أن يحفظ هذا الكتاب سرا ، فقال : « وأنا أسألك ثانية على طريق التوكيد كما سألتك على طريق الاقتراح أن تكون هذه الرسالة مصونة عن عيون الحاسدين الميابين ، بسيدة من تناول أيدي الفسدين المنافسين ، فليس كل قائل يسلم ، ولا كل سامع ينصف » .

وقد أنجز أبو حيان وعده ، وأرسل إليه الجزء الثاني على يد غلامه فائق أيضاً . ثم أرسل إليه الجزء الثالث وهو الأخير ، وقال في أوله :

« قد أرسلت إليك الجزئين الأول والثاني . وهذا الجزء — وهو الثالث قد والله أقيمت فيه كل ما في نفسي من جد وهزل ، وغث وسمين ، وشاحب ونضير ، وفكاهة وأدب ، واحتجاج واعتذار ولأنه آخر الكتاب ختمته برسالة وصلتها بكلام في خاص أمرى » .

وعلى هذا الوضع ينتهى الكتاب .

ولست أستبعد أن يكون أبو حيان قد تزايد فيه ، واخترع أشياء لم يجر في

جلس الوزير ، قد عرف عنه أمثلة من هذا القبيل ، قد اتهمه العلماء من قبل ومنهم ابن أبي الحديد بأنه وضع الرسالة المشهورة المعروفة إلى أبي عبيدة على لسان أبي بكر وعمر في حق علي بن أبي طالب ، ولعل هذا التزيد كان من ضمن الأسباب التي دعت أن يرجو أبا الوفاء في أن يكون الكتاب سرا ، فإنه ألف الكتاب في حياة الوزير ، وخشى أن الوزير يطلع عليه فيعلم مقدار ما تزيد . أما أنه ألفه في حياة الوزير ، فالدليل عليه ما جاء في نسخة ميلانو : « أنشئت هذه الرسالة في رجب سنة ٣٧٤ » والوزير ابن سعدان ظل وزيراً من سنة ٣٧٣ إلى سنة ٣٧٥ كما تقدم .



وأيا ما كان ، فالكتاب ممتع مؤنس كاسمه ، يلقى نوراً كثيراً على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع — أعني في العصر البويهي — وهو عصر مغش بالظلام فإنه يتعرض لكثير من الشؤون الاجتماعية في ثنايا حديثه ، فيصف الأمراء والوزراء ومجالسهم كابن عباد وابن الصيد وابن سعدان ، ومحاسنهم ومساوئهم ، ويصف العلماء ، ويحلل شخصياتهم ، وما كان يدور في مجالسهم من حديث وجدال وخصومة وشراب ، ويصف النزاع بين المناطقة والنحويين كالمناظرة للمتعة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي ومقي بن يونس القنائي في المفاضلة بين اللغويين والنحويين العرب ، ورأى العلماء في الشعوبية والمفاضلة بين الأمم ، إلى كثير من أمثال ذلك .

وفي الكتاب النص الوحيد الذي كشف لنا عن مؤلفي إخوان الصفاء ، وقد نقله القفطي منه ، إذ كان الوزير قد سأل أبا حيان عن هذه الرسائل ومن ألفها ؛ وعن القفطي نقله كل من كتبوا عن إخوان الصفاء .

كما أن فيه فوائد كثيرة عن الحياة السياسية للدولة ، فهو يصف كثيراً حالة الشعب في عصره وموقفهم من الأمراء والملوك ، وهيجانهم واضطرابهم وأسباب ذلك .

وكما يعرض أحياناً للحياة الاجتماعية الشعبية فيذكر عدد القينات في الكرخ فيقول : « ولقد أحصينا في سنة ٣٦٠ : ٤٦٠ جارية من القينات ومائة وعشرين من الحرائر ، وخمسة وتسعين من الصبيان الذين يجمعون بين الحلق والحسن . هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل إليه لمزته ورقبائه ، وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظاهرون بالفناء بالضرب إلا إذا نشط أو نمل في حال أو خلع المزار في هوى » . وأطيل جداً لو وصفت ما في الكتاب من فوائد .

ثم إن أسلوبه في تقسيمه إلى ليال ، وذكره ما دار في كل ليلة على سبيل الحديث والمحوار ، يجعله لذيذاً شيقاً ، أو على حد تعبيره هو — ممتعاً مؤنساً — فهو أشبه شيء بألف ليلة وليلة ، ولكنها ليست ليالي اللهو والطرب وكيد النساء ولعب الغرام ، إنما هي ليال للفلاسفة والفكرين والأدباء ، إذ يتعرض فيه لأهم مشاكل الفلاسفة ، كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر وما إلى ذلك ، كما يتعرض لمشاكل البلغاء كالليلة البديعة التي جرى فيها الحديث عن النثر والنظم والمفاصلة بينهما ، ومزايا كل ونقصه وهكذا . فإن كان ألف ليلة وليلة يصور أبداع تصوير الحياة الشعبية في ملاحمها وفتحها وعشقها ، فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية ؛ كيف يبحثون ، وفيهم يفكرون ، وكلاماً في شكل قصص مقسم إلى ليال ، وإن كان حظ الخيال في الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة .

وأسلوب أبي حيان في الكتاب أسلوب أدبي راق كهذهنا في كل كتابته ؛
يجب الازدواج ويعطيل في البيان ، ويحتذى حذو الجاحظ في الإطناب والإطالة
في تصوير الفكرة ، وتوليد المعاني منها حتى لا يدع لقائل بعده قولاً ؛ ولكن
أغض أسلوبه في هذا الكتاب تعرضه كثيراً لمسائل فلسفية عميقة قد عززت
على البيان ، ودقت عن الإيضاح ، فإذا هو خرج عن هذه الموضوعات الدقيقة
إلى موضوعات أدبية : كوصف لفقره ويؤسه ، أو وصف للكرم وفوائده ،
أو وصف للسان والبيان ؛ جرى قلمه وسال سيله وأجاد وأبدع .

نُسخ الكتاب : للكتاب — فيما أعلم — نسختان ، لا أعلم لهما في مكاتب
العالم نالته .

فأما النسخة الأولى فكاملة ، وهي تقع في خمسة أقسام .
وقد جاء في طرة الجزء الثاني مانصه : « رسم لخزانة السلطان الأعظم ، مالك
رقاب الأم ، مولى ملوك العرب والعجم ، باسط الأمن والأمان ، ناشر العدل
والإحسان ، أبي للفاخر نحر الدنيا والدين سليمان بن غازي « محمد الأيوبي » خلد
الله تعالى مملكته وسلطانه ، وأعلى في الخلقين عنه وبرهانه » .
فالجزء الثاني كتب للمادل سليمان بن غازي الأيوبي .



وكان للمادل سليمان أديبا شاعرا ، جاء في (كشف الظنون) ذكر كتاب
اسمه « الدر الثمين في شعر الثلاثة السلاطين » وم : « المادل سليمان الأيوبي وولده
الأشرف أحمد وولده الكامل خليل » . فسليمان هذا هو صاحب الخزانة
المكتوب هذا الجزء برسمها .

وجاء في آخر هذا الجزء : « تمت الجزء الثاني من كتاب المؤانسة والإمتاع بحول الله وحسن توفيقه في شوال سنة خمسة عشر وثمانمائة على يد أضف المباد شرف بن أميره في حصن المحروسة حماها الله تعالى عن الآفات والمهات آمين يا رب العالمين » .

وخط الجزء الثاني (وهو في ثلاثة مجلدات) يخالف لخط الجزء الأول (وهو في مجلدين) ، وإن كان الخطان قريبى الشبه بعضهما ببعض ، والجزء الأول غير مضبوط ، والثانى مضبوط بالضبط الكامل . وكلا الجزئين مملوء بالأخطاء الخطيرة بالزيادة والنقص والتحريف ، ويظهر أن الكتاتين من الخطاطين الذين يجيدون الخط ولا يحسنون الفهم . وكاتب الجزء الثانى يقلب على الظن أنه تركى لا يحسن العربية فهو يقول : « تمت الكتاب » « لاتم الكتاب » . ويقول « فى سنة خمسة عشر وثمانمائة » بدل « خمس عشرة » وهذه — مع الأسف — هى وحدها النسخة التامة .

وهذه النسخة أخذها للرحوم أحمد زكى باشا بالفتوغرافيا من مكتبة طوب قبو سراى لما اطلع على الكتاب وعرف قيمته . وقد أحضر النسخة الفتوغرافية معه إلى القاهرة ، واحتفظ بها فى مكتبته الخاصة ؛ وقد قرأ الكتاب ، ووضع فى الصفحة الأولى من كل جزء فهرسا يحدد الليالى وبعض الموضوعات ، كما وضع أسماء الأعلام الواردة فى الكتاب أمام كل صفحة ، مما يدل على أنه كان يريد نشره ، ويريد ترجمة الأعلام التى وردت فيه ، ولكن لم يتعرض لتصحيح شئ مما فيه من أغلاط .

وقد توفى — رحمه الله — وهى فى مكتبته الخاصة ، فاشترها السيد حمدى السفرجلانى الممشقى ، وباعها لدار الكتب المصرية .

والتسعة الثانية نسخة فوتوغرافية أخذت من أصل في ميلانو ، وليست كاملة ، وإنما هي قطع ثلاث : قطعتان من الجزء الثاني وقطعة من الجزء الثالث وهي مشوشة غير مرتبة ، وقد استحضرها زكي باشا أيضا ، واحتفظ بها لنفسه ، ثم بيعت لدار الكتب .

ولم يذكر في أية قطعة من القطع تاريخ نسخها ، وخطها واضح وجميل أيضا ومضبوطة . ولكنها في جملتها لا تقل في الأخطاء عن سابقتها .

وقد كان في نية السيد حمدي السمرجلاني نشر المخطوطة قبل بيعها لدار الكتب ، فاستفسخ نسخة منها ، وقراها مع بعض أفاضل دمشق ، منهم الدكتور حسني سبيح والسيد رشدي الحكيم و خليل سرمد بك ؛ واستظهروا بعض تصحيحات لما وجدوه في هذه التسعة من تحريف .

وبقيت بعد ذلك مملوءة بالأغلاط كثيرة الجمل والألفاظ التي تشبه الألفاظ حتى لا يخلو سطر منها من وقفات تستدعي الجهد الشديد في تصحيحها . فعرض على لجنة التأليف نشره ، فوافقت على ذلك ، وعهدت إلى كاتب هذه السطور والأستاذ أحمد الزين بتصحيحه ؛ وقد بذلنا مما جهدا كبيرا في تصحيح الحرف من ألفاظه ، وتفسير غريبه ، وشرح للمشكل من عباراته ، وتكميل الناقص من جملة ، وضبط الملتبس من كلماته ، والتعريف بكثير ممن ورد ذكرهم فيه من العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة ، وهذا هو جهدنا تقدمه للقراء .

ومع هذا فربما نكون قد أخطأنا الصواب أو أغفلنا بعض الحرف ، وقد أثبتنا ألفاظه المحرفة في حواشي صفحاته . ويلاحظ أننا في أكثر الأحيان نثبت اللفظ المحرف وحده غير منبهين على أنه محرف انكالا على فهم القاري ، وفي بعض الأحيان ننبه على أنه تحريف وأن صوابه ما أثبتنا ؛ كما يلاحظ أننا

— ت —

قسمنا كل ليلة من ليالى هذا الجزء إلى موضوعات ، مثبتين فى أول كل موضوع رقما يدلّ عليه .

فنحن نشر الجزء الأول من الكتاب اعتمادا على نسخة طوب قيو سراى وحدها ، حتى إذا وصلنا إلى الجزء الثانى أمكننا الانتفاع بنسخة ميلانو .
ولعلنا بهذا النشر نحسن إلى أبى حيان بالتعريف بقيمته ، والإشادة بذكوره ، بعد أن أساء إليه الزمان ، فأمانه فى حياته ، وأخذ اسمه بعد وفاته ؛
كما نحسن إلى عصره فنلقى عليه بعض الضوء ، وقد اكتنفه الظلام ، وعفت على آثاره الأيام ، والسلام .

أحمد أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو حَيَّان التَّوْحِيدِي : نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين
ووصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين ، وظفر بالقوز والنعم من قطع
طمعه من الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه وعلى
آله الطاهرين .

- (١) أما بعد ، فإني أقول منبهاً لنفسي ، ولئن كان من أبناء جنسي : من لم يطع
ناصحاً بقبول ما يسمع منه ، ولم يُسَلِّكْ صديقه كله ^(١) فيما يمثله له ، ولم يَنْقُذْ
لِيبَّانِهِ ^(٢) فيما يُرِيغُهُ ^(٣) إليه ويُطْلِمُهُ عليه ؛ ولم يَرَأْ عقل العالم الرشيد ، فوق
عقل المتعلم البليد ؛ وأن رأى المجرب البصير ، مقدّم على رأى الغمري ^(٤) الغرير
فقد خسر حفظه في العاجل ، ولمه أيضاً يخسر حفظه في الآجل ؛ فإن مصلح الدنيا
معمودة بمراشد الآخرة ، وكلّيات الحس في هذا العالم ، في مقابلة موجودات
العقل في ذلك العالم ؛ وظاهر ما يُرَى بالعيان مُفَضِّلٌ إلى باطن ما يَصْدُقُ عنه
الخبر ؛ وبالجملة ، الذاران متفقتان في الخير المتعبط به ، والشر للندوم عليه ؛
وإنما يختلفان بالنمل المتقدم في إحداها ، والجزاء للتأخر في الأخرى ؛ وأنا أعوذ
بالله الملك الحق الجبار العزيز الكريم الماجد أن أجهل حظي ، وأعمى عن

(١) كله : مفعول لـ « ملك » ، يريد بهذه البارة تمام الطاعة لصديقه حتى كأن صديقه
ملك له كله يصرف فيه كيف يشاء .
(٢) في الأصل « ولم ينفذ لسانه » .
(٣) يريغه : يريده ويطلبه .
(٤) الغمر بالفتح والفتح : من لم يجرب الأمور ؛ والجاهل الأبله .

رُشْدِي ، وَالْأَيْ يَبْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَاتَّجَانَفَ ^(١) إِلَى مَا يَسُوءُنِي أَوْ لَا يَسُرُّنِي
آخِرًا ؛ هَذَا وَأَنَا فِي ذَيْلِ الْكُهُولَةِ وَبَادِنَةِ الشَّيْخُوخَةِ ، وَفِي حَالٍ مَنْ إِنْ لَمْ تَهْدِهِ
التَّجَارِبُ فِيمَا سَلَفَ مِنْ أَيَّامِهِ ، فِي حَالِي سَفَرِهِ وَمُقَامِهِ ؛ وَفَقْرِهِ وَغِنَاؤِهِ ، وَشِدَّتِهِ
وَرَخَائِهِ ، وَسَرَائِهِ وَضُرَائِهِ ، وَخِيفَتِهِ وَرَجَائِهِ ؛ قَدْ أَقْطَعَ الطَّمْعُ مِنْ فَلَاحِهِ
وَوَقَعَ الْيَأْسُ مِنْ تَذَارُكِهِ وَأَسْتِصْلَاحِهِ ؛ فَإِلَى اللَّهِ أَفْرَعُ مِنْ كُلِّ رَيْثٍ وَنَجَلٍ
وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ فِي كُلِّ سَوْءٍ وَأُمَلِّ ، وَإِيَّاهُ أَسْتَعِينُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ .

(٢) قَدْ ضَمَّتْ أَيْهَا الشَّيْخُ ^(٣) — حَفِظَ اللَّهُ رُوحَكَ ، وَوَكَّلَ السَّلَامَةَ بِكَ ، وَأَفْرَعُ
الْكِرَامَةَ عَلَيْكَ ، وَعَصَبَ كُلِّ خَيْرٍ بِحَالِكَ ، وَحَشَدَ كُلِّ نِعْمَةٍ فِي رَحَابِكَ
وَرَحِمَ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ الْهَائِلَةَ — مِنْ أَبْنَاءِ الرِّجَاءِ وَالْأَمَلِ — بِمَنَائِكَ ، وَلَا قَطْعَكَ
مِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَلَا تَقَى طَرَفَكَ عَنْ الرَّفْقَةِ لَهُمْ ، وَلَا زَهْدَكَ فِي أَصْطِنَاعِ
حَالِهِمْ وَعَاطِلِهِمْ ، وَلَا رَغْبَ بَكَ عَنْ قَبُولِ حَقِّهِمْ لِبَعْضِ بَاطِلِهِمْ ، وَلَا ثَقُلَ عَلَيْكَ
إِدْنَاءُ قَرِيبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ ، وَإِنَّا لَنَسْتَحِقُّهُمْ وَغَيْرَ مُسْتَحِقِّهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا فِي نَفْسِهِمْ
وَأَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاسَاتِهِمْ ، مِنْ بَشَرٍ تَبْدِيهِ ، وَجَآءِ تَبْدُلِهِ ، وَوَعْدِ
تُقْدِيمِهِ ، وَضَمَانِ تَوْكُّدِهِ ، وَهَشَاشَةِ تَمَرُّجِهَا بِشَاشَةِ ، وَتَبَسُّمِ تَخْلُطِهِ بِكَاهَةِ
فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا زَكَاةُ الرُّوَّةِ ، وَرِبَاطُ النِّعْمَةِ ، وَشَهَادَةُ بِالْمُحَنِدِ ^(٤) الزَّكِيِّ
وَالْعَرِيقِ الطَّيِّبِ وَالتَّنَشُّأِ الْحَمِيدِ ، وَالْمَادَةِ التَّرَضُّيَّةِ ؛ وَهِيَ مُؤَذِّنَةٌ بِأَنَّ لِلنِّعَةِ
رَاحَةً ^(٥) ، وَالتَّوَهُبَةِ قَاطِنَةً ، وَالشُّكْرَ مَكْسُوبًا ، وَالْأَجَرَ مَذْخُورًا ، وَرِضْوَانَ اللَّهِ

(١) « وَاتَّجَانَفَ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّجَانَفُ إِلَى الشَّيْءِ : الْمِيلُ إِلَيْهِ .

(٢) يُرِيدُ بِالشَّيْخِ أَبَا الرَّفْعَةِ لِلْهَنْدَسِ ، وَهُوَ الْقَوْلُ وَصَلَ أَبَا حَنِينَ بِالْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْمَارِضِ كَمَا يَفْهَمُ مِمَّا يَأْتِي .

(٣) « بِالْمُجِدِّ » .

(٤) رَاحَةٌ : دَائِمَةٌ .

واقع ؛ وأسأل الله بعد هذا كله ألا يُنهم^(١) وجهي عندك ، ولا يُزلّ قدي في خدمتك ، ولا يُزيفني^(٢) إلى ما يقطع مادة إحسانك وعائدة رأيك ونافع^(٣) نيتك وجيل معتقدك ، بمنه ولطفه .

فهمت جميع ما قلته لي بالأمس فهما بليغا ، ووعيته وعيّا تامّا ؛ وبأن لي الرشد في جلته وتقصيله ، والصلاح في طرفيه ووسطه ، والغنيمة في ظاهره وباطنه ، والشفقة من أوله إلى آخره . وأنا أعيده ههنا بالقلم ، وأرسمه بالخط وأقيده باللفظ ، حتى يكون أعتاقي به أزمى وأثبت ، وشهادتي على نفسي أقوى وأؤكد ، ونكولي عنه أبعد وأصعب ، وحكمك به لي وعلى أمضى وأتقد .

قلت لي — أدام الله تعالى توفيقك في كل قول وفعل ، وفي كل رأي^(٤) — ونظر — : إنك تعلم يا أبا حيان أنك أنكفأت من الرمي^(٥) إلى بغداد في آخر سنة سبعين^(٦) بعد فوت مأمورك من ذى الكفایتين^(٧) — نصر الله وجهه — عابسا على ابن عباد^(٨) مغیظا منه ، مقروح الكبد ، لما نالك به من الحرمان

(١) السهم : تنير الوجه وعيوسه من المم ؛ وكفى به عن تنير الحال .

(٢) يزيفني : يبعثني .

(٣) « ويافع » .

(٤) الرى : مدينة فارسية قديمة كانت قصبة بلاد الجبال ، وكان اسمها الفارسي رافة ومنه أخذ اسمها العربي ، وهي الآن أطلال على مسافة خمسة كيلو مترات من طهران .

(٥) أى وثلاثه .

(٦) ذو الكفایتين : لقب لأبي الفتح علي بن أبي الفضل محمد المعروف بابن العميد . وسنن بالكفایتين كفاية السيف وكفاية القلم ، وقد قلم بمقام أبيه ابن العميد ، واستوزر لركن الدولة البويهى ، ثم لما تولى عضد الدولة نكبه وقتله سنة ٣٦٦ هـ .

(٧) ابن عباد ، هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد ، ولد سنة ستة وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالرى ، وكان وزيرا لمؤيد الدولة أبى =

المرء، والصد^(١) القبيح، واللقاء الكريه، والجفاء الفاحش، والقذع^(٢) للزوم والماملة السيئة، والتناقل عن الثواب على الخدمة، وحبس الأجرة على التسخ والوراقة، والتجهم للتوالى عند كل لحظة وقطة .

وذكرت في الجملة شقاء اتصال بك في سترك ذلك ، وعناء نال منك في عرض^(٣) أحوالك ؛ ولعمري إن السرفصول لهذا كله ولأكثر منه ؛ فأرعبت بك بصرى ، وأعمرت بك صمى ، وساهمتك في جميع ما وقرته في أذى بالجزع والتوجع والاستفطار^(٤) والتفجيع ؛ وضيت لك تلافى ذلك كله بجاق^(٥) الشفقة وخالص الضمير ، ووعدتك صلاح الحال عن ثبات النية ، وصحة العقيدة ، وقلت : أنا أرمي حقك القديم حين التقينا (بأرجان^(٦)) ، وأنا على باب (ابن شاهويه^(٧)) الفقيه ، وعهدك الحديث حين اجتمعنا بمدينة السلام سنة ثمان وخمسين ؛ وأوصلك إلى الأستاذ أبي عبد الله العارض^(٨) — أدام الله تأييده — وأخطب

== منصور بوه الديلى ، ثم وزر لأخيه غر الدولة أبي الحسن على ، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه صاحب مؤيد الدولة بن بوه منذ الصبا .

(١) « والقصد » .

(٢) القدح بالمهمله : للنم والزجر . وإقبال المسجمة : التمس . والمنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٣) « في عرض أحوالك » أى في أكثرها . وعرض النوى : أكثره ومعطيه .

(٤) « والاستفطار » .

(٥) حاق الشفقة : أى صادقها وكاملها .

(٦) أرجان : مدينة بين فارس وخوزستان ، وهى من كور الأهواز ، وتعرف الآن

باسم « بابجان »

(٧) ابن شاهويه هو أبو بكر محمد بن أحمد بن على بن شاهويه الفارسي الفقيه الشافعي تولى القضاء ببلاد فارس ، وتوفى سنة ثنتين وستين وثلاثمائة بفسابور .

(٨) أبو عبد الله العارض ، هو — فى رأينا — أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان كان وزيرا لصمصام الدولة بن عضد الدولة من سنة ٣٧٢ إلى سنة ٣٧٥ والعارض لقب له وهو كما فى الأنساب السمانى « من يعرف السكر ويحفظ أرزاقهم ويوصلها إليهم ، ويعرض السكر على الملك إذا احتجج إلى ذلك » والظاهر أنه لقب بهذا إما لأنه تولى هذا العمل قبل أن يولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته (راجع الأدلة على هذا الرأى فى المقدمة) .

لك قبولاً منه ، وتخفيف الإذن عليك ، وامتلاء الطرف بك ، وتبيل الحظوة بخدمتك وملازمتك ؛ وفعلت ذلك كله حتى استكتبتك (كتاب الحيوان) لأبي عثمان الجاحظ ، لسنايتك به ، وتوفرك على تصحيحه ، ثم خضنت^(١) لك هذه الحال إلى يومنا هذا ؛ وهو الوزير العظيم الذي افتقرت الدولة إلى نظره وأمره ونهيه ، وإلى أن يكون هو النعيم والناقض ، والرافع والواضع ، والكافي والوافي ، والمقرب لخدمتها ونصحتها ، وللزحزح لحسدتها وأعدائها ؛ والراعى لرعيتهما ودهماتها ، والناهض بأفعالها وأعبائها ، أعانه الله على ما تولاها ، وكفاه اللهم في دنياه وآخرها ، بمنه وقدرته .

نم ورتبت ذلك كله ، ولم أقطع عنك عادتي معك في الأسترسال والأنبساط ، والبر والمواساة ، والمساعدة واللواتاة^(٢) ، والتعصب والحماة .

أفكان من حقى عليك في هذه الأسباب التي ذكرتها ، وفي أخواتها التي تركتها كراهة الإطالة بها أنك تخلو بالوزير — أدام الله أيامه — ليالى متتابعة ومختلفة ، فتحدثه بما تحب وتريد ، وتلقى إليه ما تشاء وتختار ، وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة ؛ ولعلك في عرض ذلك تعدو طولرك بالتشديق^(٣) وتجاوز حدك بالاستحقار ، وتتطاول إلى ما ليس لك ، وتغلط في فسك ، وتنسى زلة العالم ، وسقطه للتخرمى ، وخجلة الوائى ؛ وهذا وأنت غيرة لاهيئة لك في لقاء الكبراء ، ومحاوره الوزراء ؛ وهذه حال تحتاج فيها إلى عادة غير عادتك ، وإلى

(١) « خضنت لك هذه الحال » ، أى كفلتها لك وحفظتها عليك .

(٢) اللواتاة : اللواتة .

(٣) التشديق ، هو التوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز ، وهو أيضا استهزاء الرجل بالناس يلوى شفقهم بهم وعليهم .

مِرَانِ سَوَى مِرَانِكَ ، وَلِبْسَةٍ لَا تُشَبِّهُ لِبْسَتَكَ ؛ وَقَلَّ مَنْ قُرَّبَ مِنْ وَزِيرٍ خَدَمَ فَأَجَادَ ، وَتَكَلَّمَ فَأَفَادَ ، وَبُسِطَ فزَادَ ؛ إِلَّا مَسْكِرَ ، وَقَلَّ مَنْ مَسْكِرَ إِلَّا عَثَرَ وَقَلَّ مَنْ عَثَرَ فَأَتَعَشَّ ، وَمَا زَهَدَ فِي هَذِهِ الْحَالِ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ الْأَوَّلِينَ وَالْمُبَادِرِ الْبَاطِنِينَ ؛ إِلَّا لِنَظْمِهَا وَصُورَتِهَا ، وَمَكْرُوهِ عَاقِبَتِهَا ، وَشِدَّةِ الصَّبْرِ عَلَى فَوَارِضِهَا وَرَوَائِبِهَا^(١) ، وَتَعَشُّخِ^(٢) اللَّتَنِ بَيْنَ حَوَادِثِهَا وَنَوَائِبِهَا .

وَالْحَبَبُ أَنَّكَ مَعَ هَذِهِ الْحِلَّةِ^(٣) تَظُنُّ أَنَّهَا مَطْوِيَةٌ عَنِّي وَخَافِيَةٌ دُونِي ، وَأَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ الْغَايَةَ وَادَعَيْتَ الْقَلْبَ ، وَمَلَكَتِ الْمَكَانَةَ ثَانِي الْعِثَانِ ؛ وَقَدْ أَتَقَطَعْتُ حَاجَتَكَ عَنِّي وَعَمَّنْ هُوَ دُونِي ، وَوَقَعَ النَّتِيُّ عَنِ جَاهِي وَكَلَامِي وَلُطْفِي وَتَوْصِيلِي ؛ وَجِلَّتْ أَنْ مَن قَدَّرَ عَلَى وَصُولِكَ ، يَقْدِرَ عَلَى فَصُولِكَ^(٤) ، وَأَنْ مَن صَعِدَ بِكَ حِينَ أَرَادَ ، يَنْزِلَ بِكَ إِذَا شَاءَ ، وَأَنْ مَن يُحْسِنُ فَلَا يُشْكِرُ ، يَجْتَهِدُ فِي الْاِقْتِصَادِ حَتَّى يُعْذَرَ .

وَبَعْدَ ، فَمَا أَطِيلُ ، وَلَعَلَّ لَهَبَ التَّوَجُّدِ يَزْدَادُ ، وَلِسَانَ الْفَيْظِ يَفْلُو ، وَطِبَاعَ الْإِنْسَانِ تَحْتَدُّ ، وَالنِّسَمَ عَلَى مَا أَسْلَفْتُ مِنَ الْجَمِيلِ يَتَضَاعَفُ ؛ وَلَسْتَ أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ بَرَّ فَقَّ ، وَلَا أَنَا أَوَّلُ مَنْ جُفِيَ فَقَّ^(٥) . وَهَذَا فَرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَآخِرُ كَلَامِي مَعَكَ ، وَفَاتِحَةُ يَأْمُسِي مِنْكَ ؛ قَدْ غَسَلْتُ يَدَيَّ مِنْ عَهْدِكَ بِالْأَشْتَانِ^(٦)

(١) « رَوَائِبِهَا » .

(٢) التَّعَشُّخُ : الضَّعْفُ وَالْحِزْزُ عَنِ التَّهَوُّشِ . وَلِلَّتَنِ : الظَّهَرُ .

(٣) « الْحِلَّةُ » . وَالْحِلَّةُ بِالْكَسْرِ : الثَّلَّةُ . يَرِيدُ مَا فِيهِ مِنَ السُّيُوفِ وَالْقَائِمِ .

(٤) فَصُولُكَ ، أَيْ خُرُوجُكَ مِنْ عِنْدِ الْوَزِيرِ ، يُقَالُ : « فَصَلَ الْقَوْمَ مِنَ الْبَلَدِ فَصُولًا » ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا .

(٥) تَقَّ : مِنَ التَّقَيُّ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ صِيَاغُ الضَّرْفِ ؛ وَالرَّادُ هُنَا التَّحَدُّثُ بِمَا أَسْدَاهُ مِنَ التَّمْهِيمِ وَمَا يَلْقَاهُ مِنَ الْكَفَرَانِ .

(٦) الْأَشْتَانُ : فَاسُولُ كَانَتْ تَقْلُبُ فِي الثِّيَابِ وَالْأَيْدِي ؛ وَهُوَ نَبَاتٌ لَا وَرَقَ لَهُ ، وَلَهُ أَغْصَانٌ مِثْلُهَا فِيهَا مَا يُشَبِّهُ الْقَدَّ ، وَهِيَ رَخِصَةٌ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ .

البارق ، وسلوت عن قربك بقلب معرض ومنهم حتى ؛ إلا أن تُطْلِعْنِي طَلْعٌ^(١)
 جميع ما تحاورتما وتجادبتما هُذْبَ الحديث عليه ، وتصرفتما في هزله وجِدّه ، وخيره
 وشرّه ، وطيبه وخبيثه ، وبأديه ومكتومه ؛ حتى كأني كنتُ شاهداً ممكناً
 ورقيباً عليكما ، أو متوسطاً بينكما ، ومتى لم تفعل هذا ، فأنتظر عُنْيَ أَسْتِحَاشِي
 منك ، وتوقّع قَلَّةَ عُقُولِي عنك ، وكأني بك وقد أصبحتَ حَرَافَ حِرَانٍ
 يا أبا حَيَّان ، تأكل أصبعك أسفاً ، وتَرَدِّدُ رِيقَكَ لَهفاً ، على ما فاتك من العَوَاطِلِ
 لنفسك ، والنظر في يومك لندك ، والأخذ بالوثيقة في أمرك ، أنتظن بمرارتك^(٢)
 وعَمَارَتِكَ^(٣) ، وذهابك في فُسُولَتِكَ^(٤) التي اكتسبتها بمخالطة الصوفية والغرباء
 والمجتدين الأدنياء الأردياء ؛ أنك تقدر على مثل هذه الحال ، وأناأم منك على
 حسن الظن بك ، والثقة بصدرك ووردك ، وأطمئن إلى حَكِّكَ وجَرْدِكَ
 وأسامي عن حرك وبردك ؛ هيهات ؛ رَقَدْتَ فَصَلَّمْتَ ، غفيرا رأيت وخيرا يكون
 على هذا الحدّ كان مَقْطَعُ كلامك في تَوَجُّدِكَ ، وإلى ههنا بلغ فينص
 عَتِيكَ ولائمتك ؛ وفي دون ذلك تنبيه للنائم ، وإيقاظٌ للساهي ، وتقويم لمن
 يقبل التقويم ؛ وقد قال الأول :

ألا إنما^(٥) يكنى القتي عند زَيْنِهِ من الأود^(٦) البادى تَقَافُ اللُتُومِ

قلت لك : أنا سامع مطيع ، وخادمٌ شكور ، لا أشتري سَخَطَكَ بكلّ^(٧)

(١) يقال : « أطلعت طلعاً أسمى » بكسر الطاء ، أى أبنته سري .

(٢) الفارقة : النفلة

(٣) الفمارة : الجهل والبلامة .

(٤) الفسولة : الضف والحمة وقلة المروءة .

(٥) « أياها » بالياء . (٦) الأود : العوج . والتفاف : ما نسوى به الرماح .

صفراء^(١) وبضياء في الدنيا ؛ ولا أنير من التزام^(٢) الذنب والاعتراف بالتقصير ؛ ومثل يهفو ويجمّح ، ومثلك ينفو ويصنع ؛ وأنت مولى وأنا عبد ، وأنت آمرٌ وأنا مؤتير ، وأنت ممثّلٌ وأنا بمثّل ، وأنت مصطنعٌ وأنا صنيعةٌ ، وأنت منشئٌ وأنا مُنشأٌ ، وأنت أوّل وأنا آخر ، وأنت مأمول وأنا آمل ، ومتى لم تغفر لي الذنب البكر ، والجناية العذراء ، والبادرة النادرة ؛ فقد أعنتني على ما كان مني ، ودللت على ملك لي ؛ وأنت كنت مترصداً لهذه المغفرة ومستعداً في مقابلتها هذه المغفرة ؛ وكرمك يأبى عليك هذا ، ومثولي بين يديك خادمة لك يحظره عليك .

هذا وأنا أفضل ما طالبني به من سرد جميع ذلك ، إلا أن الخوض فيه على البديهة في هذه الساعة يشقّ ويصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن أدت جمعت كلّ في رسالة تشتمل على الدقيق والجليل ، والخلو والثر ، والطريّ والعامي^(٣) ، والمحبوب والمكروه ؛ فكان من جوابك لي : اقبل . ونعم ما قلت وهو أحبّ إليّ وأقرب إلى إرادتي ، وأخصر لما أريد^(٤) منه ، وأدخل في الحجة عليك ولك ؛ وأغسل للوسخ الذي بيني وبينك ، وأزهر للسراج الذي طوى عني وعنك ، وأجذب ليمان الحجة إن كانت لك ، وأنلق عن المذران أنضح ببولك ؛ وإذا عزمت فتوصّل على الله ؛ وليكن الحديث على تباعد أطرافه ، واختلاف فنونه مشروحا ، والإسناد عاليًا متصلا ، والتمنأ تاماً بيننا ،

(١) يريد بالصفراء القمح ، وبالبضياء النضرة .

(٢) « أكرام » .

(٣) العامي : الباطل .

(٤) أريد : أطلب وأريد .

واللفظ خفيًا لطيفًا ، والتصريحُ غالبًا ^(١) متصدرًا ^(٢) ، والخصيص قليلًا يسيرًا وتَوَحَّحَ الحقُّ في تضاعيفه وأثناؤه ، والصدق في إيضاحه وإثباته ؛ وأتقن الخلف المخل بالمعنى ، والإلحاق للتصل بالهتذر ، وأحذر ترينه بما يشينه ، وتكثيره بما يقلله ، وتقليله عما لا يستغنى عنه ؛ وأعدَّ إلى الحسن فزد في حسنه ، وإلى القبيح فأقص من قبحه ؛ وأقصد إمتاعى بمجمعة ^(٣) نظمه ونثره ، وإفادنى من أوله إلى آخره ؛ فملَّمل هذه المثاقفة ^(٤) تَبَقَّى وَثَرَى ، ويكون في ذلك حُسْنُ الذِّكْرِ ؛ ولا تَوَحَّيْ إلى ما يكون الإفصاحُ عنه أحلى في السمع ، وأعذب في النفس ، وأعلق بالأدب ؛ ولا تُفصِّحْ عما تكون الكنايةُ عنه أسترَ للعيب ، وأتقن للريب ؛ فإنَّ الكلامَ صِلَفٌ تِيَاهُ لا يستجيب لكلِّ إنسان ، ولا يصعب كلِّ لسان ؛ وخطره كثير ، ومتعاطيه مفرور ، وله أَرْنٌ ^(٥) كَأَرْنِ الْهَرِّ وإيالة كإياه العُرُون ، وزهو كزهو الملك ، وخَفَقٌ كَخَفَقِ الْبَرْقِ ؛ وهو يتَسَهَّلُ مرةً ويتعسَّرُ مرارًا ، وَيَذِلُّ طورًا وَيَعِزُّ أطوارًا ؛ ومادته من النقل [والعقل] سريعُ الحَوُولِ ^(٦) خفيُّ الخداع ؛ وطريقه على الوم ، والوم شديد السَّيْلَانِ ومجراه على اللسان ، واللسان كثير الطغيان ؛ وهو مركَّب من اللفظ الغوى والصَّوْغِ ^(٧) الطَّبَاعِيّ ، والتأليف الصَّنَاعِيّ ، والاستعمال الاصطلاحِيّ ، ومُسْتَمْلَاهُ

(١) « عاليًا » .

(٢) « متصوِّرا » .

(٣) الجمعة : المجموعة .

(٤) يريد بالمثاقفة المطارحة في العلم والأدب ومناقرتها .

(٥) الأَرْن بالتحريك : النشاط .

(٦) الحَوُول : التحول .

(٧) « والصرع » .

من الحجا ، ودرزته^(١) بالتمييز ؛ وتسجّه بالرقّة ، والحجا في غاية النشاط^(٢) وبهذا
البون يقع التباين ويتسع التأويل ، ويجول الذهن ، وتمطّى^(٣) الدعوى ، ويفزع^(٤)
إلى البرهان ، ويبرأ من الشبهة ، ويُعثر بما أشبه الحجة وليس بحجة ؛ فأحذر
هذا التعت وروادفه ، واتق هذا الحكم وقوائمه^(٥) ؛ ولا تمسّق اللفظ دون المعنى
ولا تهو المعنى دون اللفظ ؛ وكن من أصحاب البلاغة والإنشاء في جانب ، فإن
مصناعتهم يُقتَر فيها أشياء يؤاخذ بها غيرهم ، ولست منهم ، فلا تشبّه بهم ، ولا
تجبر على مثالم ، ولا تنسج على منوالهم ، ولا تدخل في غمارهم ، ولا تكثّر
بيضاك سوادهم ، ولا تُقابل بُكاهتك براعتهم ، ولا تجذب بيدك رشاءهم ، ولا
تحاول بيعاك مطاولتهم^(٦) وأعرف قدرك تسلّم ، وألزم حدّك تأمن ؛ فليس
الكوذن^(٧) من المتيق في شيء ، ولا الفقير من النقي على شيء ؛ أما سمعت قول
الناس : ليس الشائء للمراق^(٨) بصاحب ، ولا الكرديّ من الجنديّ بساخر ،
فإن طال^(٩) فلا تُبسل ، وإن تشعب فلا تكثرت ، فإن الإشباع في الرواية أشقى
للخليل ، والشرح^(١٠) للحال أبلغ إلى الناية ، وأظفر بالمراد ، وأجرى على المادة .
فكتبت : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، أقول أيّها الشيخ — عطف الله

(٥٠)

(١) درزه ، أي درزته وعلته .

(٢) الظاهر أن هنا كلاما سقط من النسخ .

(٣) تمطى : تطاول .

(٤) قوائمه ، أي تواجيه . يقال : فاف أثره إذا تباه .

(٥) « مطاولتهم » .

(٦) الكوذن : الترس المحيين والبرذون . والمتيق من الأفراس : الكرم الرائع منها .

(٧) يشير بهذه الجملة إلى ما وقع بين الشام والمراق من السداوة أيام علي ومعاوية وما

تبع ذلك .

(٨) طال ، أي الكلام .

(٩) « والشرح » .

قلبك على ، وألمك الإحسان إلى — في جواب جميع ما قلته واجداً على وعاتبا ، وقابضا ، وباسطا ، ومرشدا ، وناحيا ؛ ما يُعرَف الحق فيه ، ويسنن الصواب منه ، غير خائن لك ، ولا جانح إلى مخالفتك ، ولا مُربِّع^(١) للباطل معك ، ولا جاحد لأياديك القديمة والحديثة ، ولا منكِر لنعمتك الكافية الشافية ، ولا غاطٍ^(٢) على فواضلك المجتمعة والمتفرقة ، ولا تارك لشيء هو على من أجل شيء هو لى ، ولا معرض عن شيء هو لى بسبب شيء هو على ؛ بل أجهز دقه وجهه إليك حتى تراه بسدّه^(٣) وغُبَّاره ، وأجلوه عليك حتى تلمظه برده وإزاره . كأنى لم أسمع قول الأول :

« والكفر^(٤) تحبته لنفس النعيم » « والشكر مبعثه لنفس الفضل »

أنا أدعك واجداً على ، وأرقد وأنت ماقت لى ، وأجد حسن نعمة أنت وهبتها لى ، وألذ عيشاً أنت أذقتنى حلاوته . أنسى أياديك وهى طوق رقبتي ، ونجاة عيني ، وحشوى نفسي ، وراحة حلمى ، وزاد حياى ، ومادة روحى ؟ هيهات ، هذا بعيد من القياس ، وغير معهود بين أحرار الناس ؛ الذين لم أهتم بصون أغراضهم ، وحرص على إكرام أنفسهم ؛ قد عبثوا^(٥) بفوايح الفتوة ، وعلقوا بجبال الرودة ، وشدوا^(٦) من الحكمة أشرف الأبواب ؛ واعتزوا من الأدب

(١) للربيع : اللريد .

(٢) غطى على الشيء بتخفيف الطاء : كغطى عليه بتشديدها .

(٣) السد : المصيح من الكلام وكفى بالبار عما يثور حول الكلام من اعتراض ونحوه ، ومنه قولهم : « كلام لا غبار عليه » .

(٤) هنا القطر يحز بيت لمترة العيسى وصدره :

نبئت همرا غير شاكر نصق

(٥) « عثوا بقرائح » .

(٦) شدوا : أخذوا . يقال : شدا من اللم شيئا إذا أخذه كله ساقه أو جمه ، وفى

الأصل « شنوا » بالجمة .

إلى أعز حرم^(١) ؛ وحازوا شرفاً بعد شرف ، وانحازوا عن نطفٍ بعد نطفٍ^(٢) ونظروا إلى الدنيا بعين بصيرة ، وعزّفوا^(٣) أنفسهم عن زهراتها بتجربة صادقة .
فأول ما أبدوك به أنتي ظننتُ غنا لا كيقين أن شيئاً مما كنتُ فيه مع الوزير — أدام الله أيامه ، وقصم أعداءه — ليس مما يهلك ، ولا هو مما يقرعُ نيمتك سماعك له ؛ وحسبتُ أيضاً أنني إن بدأتُ بشئٍ منه ردّكنتي عليه وتنقصني به ، وزرّيتُ على فيه ؛ وأنتك ربّما قلت : لم بدأتُ بما لم أسألك عنه ولم أرخص لك فيه ، هلاكظمتُ على جِرتك^(٤) ، وطويتُ ما بين جنبيك وما على مما يدور بين صاحب وخادمه والرؤساء ، والناظرين في أمور الدهماء^(٥) والتصفيح لأحوال العامة والخاصة ، ولم أسرار وعيوب لا يقف عليها أقرب الناس إليهم ، وأعزُّ الناس عليهم ، وأنت أيضاً فلم تسألني عنه ، فكان في تقديري أنك قد عرفتُ وصولي في وقت دون وقت ، وأنتك قد سحلتُ أمرى على الخدمة التي ليس للعلم بها فائدة ، ولا في الإعراض عنها فائدة .

وإذ جرى الأمر على غير ما كان في حسابي وتلبّس^(٦) بغلى ، فإني أهدى ذلك كله بشأنته وسمائه ، وحلاوته ومرارته ، ورقته وخثارته في هذا المكان ؛ ثم أنت أبصرتُ بعد ذلك في كتمان وإفشاءه ، وحفظه وإضاعته وسره^(٧) وإشاعته ؛ ووالله ما أرى هذا أمراً صعباً إذا وصل إلى مرادك

(١) « خدم » .

(٢) التطف بالتحريك : اليب والفساد .

(٣) « عزّفوا » وعزّف عن الشيء : أمرض عنه وزهد فيه .

(٤) « جرتك » ، وجرة البحر سروقة ، شبه بها الحديث المختزن يفشي صاحبه .

(٥) « الدهماء » والدهاء : جماعة الناس .

(٦) « وتلبّس » .

(٧) « وسره وأشكره » .

ولا كُفَّةَ شاقَّةٍ إِذَا أُكْسِنِي مَرْضَاتِكَ ؛ وإن كان ذلك يمرُّ بأشياء كثيرة ومختلفة ، متعصية غريبة ، منها ما يَشِيْطُ ^(١) به الدم المحقون ، ويُزَع من أجله الرُّوح العزيز ، ويُستَصَرَّ معه العُتْب ، ولا يُقَنَع فيه بالذاب الأذى دون العذاب الأكبر ؛ وإن كان فيها أيضا غير ذلك مما يُضْحِك السنَّ ، ويُفَكِّه النفس ، ويدعو إلى الرشاد ، ويدلُّ على النصيح ، ويؤكد الحرمة ، ويعقد الذمام ، وينشر الحكمة ، ويشرفُّ المنة ، ويلقِّح العقل ، ويزيد في التهم والأدب ويفتح باب اليُمن والبركة ، ويتفق بضاعة أهل العلم في السوق الكاسدة ، ويوقظ العميون الناعسة ، ويُبَلِّ الشَّنَّ ^(٢) للتخضف ، ويُندِّي الطَّيْن المترشَّف ؛ ويكون سبباً قويا على حُسن الحال وطلب الميث ، فإن هذه العاجلة محبوبة ، والزَّاهية مطلوبة ، والكَائنة عند الوزراء بكلِّ حول وقوة مخطوبة ، والدنيا حلوة خضرة وعذبة نصرة ، ومن شَفَّ ^(٣) أمه شقَّ عمله ؛ ومن اشتدَّ إلحاحه ، توالى غلوه ورواحه ، ومن أسرَّه رجاؤه ، طال عناؤه ، وعظم بلاؤه ؛ ومن أَلْهَب طمعه وحرصه ، ظهر عجزه وقصه .

وفي الجملة :

من لم يكن لله متيهاً لم يُمنس محتاجاً إلى أحدٍ

- (١) ولا بد من فتى يمين على الذم ، ويُغنى عن كرام الناس فضلا عن ثلثهم ،
(٢) وبذلك قعود الصبر ، ويُجِّم راحلة الأمل ، ويُجِلُّ مَرُّ اليأس ؛ والمزلة محمودة

(١) يشيط : يذهب هدرا .

(٢) « السن بالسين المهملة » . والشن بالمجبة : الثغرة الخلق . والتخضف ، أى التكرس
التخضف من اليبوسة .

(٣) شف أمه : زاد ، ويجوز أن يفسر بمعنى أسقمه الأمل وأضناه لملوه ويسد مثله .

إلا أنها محتاجة إلى الكفاية ، والقناعة مَرَّة^(١) فِكْمَةٌ ولكنها فقيرة إلى البلغة وصيانة النفس حسنة إلا أنها كلفة مُخرجة إن لم تكن لها أداة تُجِدُّها^(٢) وفاشية^(٣) تَمْدُّها ، وترك خدمة السلطان غير الممكن ولا يستطاع إلا بدين متين ، ورغبة في الآخرة شديدة ، وفطام عن دار الدنيا صعب ، ولسان بالحلو والحامض يبلغ .

قال ابن السَّيِّك^(٤) : لولا ثلاثٌ لم يقع حَتِيف ، ولم يُسَلَّ سيف ، لقمة أسوَّغ من لقمة ، ووجه أصبح من وجه ، وسلك^(٥) « أُنْتُمْ مِنْ سِلْكٍ » ، وليس كلُّ أحد له هذه القوة ، ولا فيه هذه المنة^(٦) والإنسان يَشْرُ ، وبِفَيْتِهِ متهافئة وطيفته منتثرة ، وله عادة طالبة ، وحاجة هاتكة ، وقس سجوح ، وعين طموح ؛ وعقل لطيف^(٧) ، ورأى ضيف ، يهفو لأوَّل ربح ، ويستخيل^(٨) لأوَّل بارق ؛ هذا إذا تخلص من قُرْءاء السوء ، وسلم من سوارق^(٩) العقل ، وكان له سلطان على نفسه ، وقهر^(١٠) لشهواته ، وقمع لهوائجه^(١١) وقبول من ناصحه ، وتميؤ

(١) «مرة» والزرة : الحرة اللينة الطم .

(٢) تجدها ، أى تجدهما .

(٣) الفاشية : ما انتقم من المال . وفى الأصل « غاشية » .

(٤) « ابن السائل » ، وهو تحريف وابن السايك هو أبو الباس محمد بن صبيح الكوفي الزاهد الواعظ المشهور لقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم وقدم من بغداد زمن هرون الرشيد وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة .

(٥) السلك : الحيط . وكفى به عن الثوب لأنه من الخيوط .

(٦) «المنة» . وللتة بضم اللام : القوة .

(٧) الطفيف الناقص والقليل .

(٨) فى الأصل : « ويستحيل » بالماء ، وهو تصحيف . ويستخيل لأول بارق ؛ أى يخال للثر عند أول بارق .

(٩) يريد بسوارق العقل : الشهوات التى تدفع به وتجعله فى حكم غير الموجود كأنها تسرقه . والذى فى الأصل : « سراق » ؛ وهو تصحيف .

(١٠) « وفهم » .

(١١) لهوائجه ، أى لما يبيح به من الزمعات والمطامع .

في سعيه ، وتبوءه في مَعَانٍ ^(١) حَظَّهُ ، وأَتَمَّ بِسَادَتِهِ ، وأَسْتَبَارَ فِي طَلَبِ مَا عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَسْتَنْصَفَ مِنْ هَوَاهِ الْمُضِلِّ لَعَلَّهُ الْمُرْشِدُ ، هَذَا قَلِيلٌ وَصَعِبٌ . وَلَوْ قُلْتُ : مَعْدُومٌ أَوْ مُحَالٌ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمَسِيرِ وَالْذَمِّ الْفَاسِدِ ، لَمَا خَفْتُ عَائِقًا يِعْقُونِي ، وَلَا حُسُودًا يَرُدُّ قَوْلِي . قَالَ ابْنُ السَّمَّكِ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَلْسِنِ نَصِيفٍ وَقُلُوبِ تَمَتُّرٍ ، وَأَعْمَالٍ تَخْتَلِفُ . وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . ابْنِ الْحَارِثِ — وَرَأَاهُ لَا يَلِي لَهُ عَمَلًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ نَائِلًا — : يَا ابْنَ أَخِي ، هِيَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّمَا أَنْ تَرْضَعَ مَعْنَا ؛ وَإِنَّمَا أَنْ تَرِيدَ عَنَّا . وَرَبَّمَا قَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّفِينَ . قَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لَيْسَ خَيْرُكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ، وَلَا مَنْ تَرَكَ الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا وَلَكِنْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ . (وَأَعْمَلُ لَآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ . وَرَبَّمَا قَالَ آخَرُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ : (أَعْمَلُ لَآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ . غَدًا ، وَأَعْمَلُ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَمِيشُ أَبَدًا) . وَهَذَا أَيْضًا كَلَامٌ مَنَّقُ ، لَا يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى حَقِّقْ ؛ أَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِ الْمَسِيحِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — حِينَ قَالَ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ كَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مَتَى بَعْدُ أَحَدُكُمُ مِنْ أَحَدِهِمَا قُرْبٌ مِنَ الْآخَرِ ؛ وَمَتَى قُرْبٌ مِنْ أَحَدِهِمَا بَعْدُ مِنَ الْآخَرِ . وَأَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ صَرَّتَانِ ، مَتَى أَرْضِيَتْ إِحْدَاهُمَا أَسْخَطَتِ الْآخَرَى ، وَمَتَى أَسْخَطَتِ إِحْدَاهُمَا أَرْضِيَتْ الْآخَرَى .

وهذا لأنَّ الإنسانَ صغيرُ الحجم ، ضعیفُ الحول ، لا يستطيع أن يجمع بين شهواته وأخذِ حظوظِ بدنه وإدراكِ إرادته ، وبين السعي في طلبِ اللزَّةِ عند ربِّه بأداء فرائضه ، والقيام بوظائفه ، والثباتِ على حدود أمره ونهيهِ ، فإنَّ صَعْقَ

وجهه وقال : نعمل قارة لهذه البار وقارة لتلك البار ، فهذا للذئب الذى لا هو من هذه ولا من هذه ؛ ومن تحنَّث^(١) وتكثَّث لم يكن رجلاً ولا امرأة ، ولا يكون أباً ولا أما ؛ وهذا كما نرى .

ونرجع فنقول : ونعوذ بالله من الفقر خاصة إذا لم يكن لصاحبه عياد من التقوى ، ولا عماد من الصبر ، ولا دعامة^(٢) من الأتقة ، ولا أصطبار على المرارة .

وقد بُلينا بهذا الدهر الخالي من الدَّيَّانين الذين يُصلِّحون^(٣) أنفسهم ويُصلِّحون غيرهم بفضل صلاحهم ، الخاوى من الكرام الذين كانوا يقسعون على أحوالهم ، ويوسعون على غيرهم من سعتهم ، وكانوا يهتمون بذخائر الشكر المعجل في الدنيا ، يحرسون^(٤) على ودائع الأجر للمؤجل في الآخرة ؛ ويتلذذون بالثناء ، ويهتمون للدعاء ؛ وتمسكهم الأريحية عند مسألة المحتاج ، وتعتريهم الهزة معها والابتهاج ؛ وذلك لشغفهم الثناء الباقي ؛ والصنيع الواقى ؛ ويزون الغنيمة في الفرامة ، والزَّجَج في البذل ، والحظ في الإيثار ، والزيادة في النقص ؛ أعنى بالزيادة . الخلف للنتظر من الله ؛ وبالنقص : العطاء ؛ ورأيت الناس يعميون ابن العميد حين قال : أنا أعجب من جهل الشاعر الذى قال :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أفقته فالمل لك

قال : ولو كان هذا صحيحاً كان لا ينبغي أن يُكتسب المال ، لأنه ليس في ترك

(١) في الأصل : « تحث » ؛ وهو تصحيف . ويريد بالتحث والتث : الدين والتشدد عشيها بالتحثين واليبوث .

(٢) « دعامة » . والعامة : الهاد .

(٣) « لا يصلحون » : وقوله « لا » زيادة من الناسخ .

(٤) « يحوضون » .

كسبه أكثر من إخراجهِ بالإِفاق . هذا لقولهم ^(١) بحكمتِهِ وعقلِهِ وتحصيلِهِ
وصوابُ الجاهل لا يُستحسن كما يُستفبح خطأ العاقل ؛ نعم ، وكانوا إذا ولُّوا
عَدْلُوا ، وإذا مَلَكُوا أَفْضَلُوا ^(٢) ، وإذا أَعْطَوْا أَجَزُّوا ، وإذا سُلِّتُوا أَجَابُوا
وإذا جَادُوا أَطَابُوا ، وإذا عَلَوْا ^(٣) صَبَرُوا ، وإذا نَالُوا ^(٤) شَكَرُوا ؛ وإذا أَنْفَقُوا
وَأَسَا ، وإذا امْتَحِنُوا تَأَسَّوْا ؛ وكانوا يرجعون إلى ثِقَاتٍ مِيْمُونَةٍ ، وإلى
ضَرَائِبٍ ^(٥) مَأْمُونَةٍ ؛ وإلى دِيَانَاتٍ قَوِيَّةٍ ، وَأَمَانَاتٍ ثَخِينَةٍ ^(٦) ؛ وكان لهم مع الله
أَسْرَارٌ طَاهِرَةٌ ، وَعِلَانِيَةٌ مَقْبُولَةٌ ؛ ومع عِبَادِ اللَّهِ مَعَامِلَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَرَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ
وَمُعْدَلَةٌ قَاشِيَةٌ ؛ وكانت تِجَارَتُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، وَعَادَتُهُمْ جَارِيَةٌ عَلَى الضِّيَافَةِ
وَالتَّكْرِيمَةِ ؛ وكانت شِيَمَتُهُمْ الصَّفْحُ وَالنَّفْرَةُ وَرِجْمُهُمْ ^(٧) مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ
النَّجَاةُ وَالْكَرَامَةُ فِي الْأَوَّلَى وَالْعَاقِبَةِ ؛ وكانوا إذا تَلَقَّوْا تَوَاصَوْا بِالْخَيْرِ ، وَتَنَاهَوْا
عَنِ الشَّرِّ ؛ وَتَنَافَسُوا فِي اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ ، وَأَدَّخَرُوا الْبِضَائِعِ (أَعْنَى صِنَائِعَ الشُّكْرِ ،
وِبِضَائِعَ الْأَجْرِ) فَذَهَبَ هَذَا كُلُّهُ ، وَتَاهُ ^(٨) أَهْلُهُ ؛ وَأَصْبَحَ الدِّينُ وَقَدْ أُخْلِقَ
لِبُؤْسِهِ ، وَأَوْحِشَ مَأْنُوسُهُ ، وَأَقْتُلِحَ مَفْرُوسُهُ ؛ وَصَارَ الْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا ، وَالْمَعْرُوفُ
مُنْكَرًا ، وَعَادَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى كَدْرِهِ وَخَاثِرِهِ ، وَفَاسِدِهِ وَضَائِرِهِ ؛ وَحَصَلَ الْأَمْرُ

(١) هذا لقولهم ، أى عيب الناس لابن العبد في كلامه السابق ، لما يصفونه به من
الحكمة والفعل الخ .

(٢) أَفْضَلُوا : أَسْمَوْا .

(٣) فِي الْأَصْلِ « اعْتَزَلُوا » . وَعَالُوا : اقْتَرَعُوا ، مِنْ الْمِيلَةِ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ .

(٤) « نَالُوا » .

(٥) الضَّرَائِبُ : الطَّبَائِعُ وَالسَّجَايَا ، الرَّاحَةُ ضَرِيَّةٌ .

(٦) ثَخِينَةٌ : قَوِيَّةٌ كَمَا يُقَالُ فِي عَكْسِ ذَلِكَ : هُوَ رَثِيقُ الدِّينِ ، أَيْ ضَعِيفُهُ .

(٧) « وَرِجْمُهُمْ » .

(٨) تَاهُ أَهْلُهُ : هَلَكُوا . وَفِي الْأَصْلِ « وَتَاهُ » .

عَلَى أَنْ يَقَالَ: فَلَانُ خَفِيفُ الرُّوحِ ، وفَلَانُ حَسَنُ الرَّجُلِ ، وفَلَانُ ظَرِيفُ الْجَلَّةِ ،
حَلَوُ الشَّامِلِ ، ظَاهِرُ الْكَائِسِ ، قَوِيُّ النَّسَبِ ^(١) فِي الشَّطْرَنْجِ ، حَسَنُ الْقَلْبِ فِي
النَّرْدِ ، جَيِّدُ الْأَسْتِخْرَاجِ ، مَدْبِرُ ^(٢) الْأَمْوَالِ ، بَذُولُ الْجَهْدِ ، مَعْرُوفُ الْأَسْتِصَاءِ
لَا يُغْنِي عَنْ دَانِقٍ ، وَلَا يَتَنَافَلُ عَنْ قِيرَاطٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِيُ الْعَالِمُ مِنْ
تَكَثُّرِهِ ، وَالكَاتِبُ مِنْ تَطْيِيرِهِ .

وهذه كلها كنایات عن النظم والتجديف ^(٣) ، والخساسة والجهل وقلة الدين
وحب الفساد ، وليس فيها شيء مما قدمنا وصفه عن القوم الذين اجتهدوا أن
يكونوا خلفاء الله على عباد الله بالرأفة والرفقة والرحمة والأصطناع والعدل والمعرف .

(٧) وأرجعُ عن هذه الشككية الطويلة اللاذعة والبيّة العامّة الشاملة ؛ إلى
عينٍ ما رسمت لي ذِكْرَهُ ، وكلفتنِي إِعَادَتَهُ ؛ عَالِدًا بِاللَّهِ فِي صَرْفِ الْأَذَى عَنِّي
وَسَوْقِ الْخَيْرِ إِلَيَّ ؛ وَلَاتِنَا بِكَرَمِكَ الَّذِي رَشَّعْتَنِي ^(٤) بِهِ إِلَى السَّاعَةِ ، وَكَفَيْتَنِي بِهِ
مُؤْنَةً خَلِدَ لِنَبْرِكَ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؛ وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا ، وَالصُّدُورُ بِأَعْمَازِهَا ؛
وَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالسَّفْحِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِّي إِذَا عَرَفْتَ بَرَاءَتِي فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ
بِي مِنْ ذِمَامِكَ ؛ وَيَجِبُ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ فِي مَوْدَّتِكَ ، وَالْأَعْتَصَامِ بِحَبْلِكَ
وَالْإِتِّبَاعِ ^(٥) مِنْ عُشْبِكَ ، وَالْإِرْتِقَاءِ ^(٦) مِنْ لَبِنِكَ .

(١) النست : الحيلة ، وهو أيضا ما يكون فيه التلب في الشطرنج ؛ تقول : « النست لي
والنست على » .

(٢) « مثير » .

(٣) التجديف : الكفر بنعمة الله . وفي الأصل : والتخويف .

(٤) راسه يرشّه : جبل له ريشا . شبه ما يناله من اللروف بالريش لطائر .

(٥) الاتتباع : طلب للروف .

(٦) في الأصل « الارتقاء » باللفظ ؛ وهو تصحيف . والارتقاء : أخذ رغوة اللبن
واحتساؤها .

الليلة الأولى

- (١) وصلتُ أيتها الشيخ — أطال الله حياتك — أول ليلة إلى مجلس الوزير —
أعزَّ الله نصره ، وشدَّ بالعصمة والتوفيق أزره — فأمرني بالجلوس ، وبسط لي
وجهه الذي ما أعتراه منذ خلق العُيُوس ؛ ولطَّفَ كلامه الذي ما تبدَّل منذ كان
لا في الهزل ولا في الجدِّ ، ولا في الغضب ولا في الرضا .

ثم قال بلسانه الدليق ^(١) ، ولفظه الانيق : قد سألتُ عنك مراتٍ شيخنا
أبا الوفاء ، فذكر أنك صراعٍ لأمر البيارستان من جهته ، وأنا أُرَبِّأُ بك عن
ذلك ، ولمَّا أعرضك لشيء أنبئه من هذا وأجدي ، ولذلك قد تأقت نفسي
إلى حضورك للحادثة والتأنيس ، ولأتعرف ^(٢) منك أشياء كثيرة مختلفة ترَدُّدُ
في نفسي على مرِّ الزمان ، لا أحصيا لك في هذا الوقت ، لكنِّي أثرها في
المجلس بعد المجلس على قدر ما يسنح ويعرض ، فأجبتني عن ذلك كله باسترسال
وسكونٍ بال ؛ بملء فيك ، وبجَمِّ خاطرِكَ ، وحاضرِ عِلِّكَ ؛ ودَعَّ عنكَ تَقَنُّنَ
البغداديين ^(٣) مع عفو لفظك ، وزائدٍ رأيك ، وريح ^(٤) ذهنيك ؛
ولا تجبنُ حينَ الضَّغَاءِ ، ولا تتأطر ^(٥) تأطرُ الأغبياء ؛ وأجزم إذا قلت ، وبالغ إذا
وصفت ؛ وأصدق إذا أسندت ، وأفضل إذا حكمت ، إلَّا إذا عرَّضَ لك

(١) اللسان الدليق : الحاد البليغ .

(٢) « ولا تعرف » .

(٣) يريد يفتن البغداديين : استطردم في الكلام وخروجهم فيه من فن إلى فن .

(٤) هناك مطبوعة بالأصل لا يمكن قراءتها .

(٥) ريح ذهنيك ، أي فضيلته .

(٦) التأطر : التحبس والتثني ، شبه به وقوف النبي وتردده في جواب ما يسأل عنه .

ما يوجب توقُّفاً أو تهادياً^(١)؛ وما أحسنَ ما قال الأول :

لَا تَقْدَحُ الظَّنَّةُ فِي حُكْمِهِ شَيْمَتُهُ عَدْلٌ وَإِنْصَافٌ

يَمِضِي إِذَا لَمْ تَلْقَهُ شَبَهُهُ وَفِي اعْتِرَاضِ الشَّكِّ وَقَافٌ

وقد قال الأول :

أُبَالِي الْبَلَاءِ وَإِنِّي أُسْرُوهُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ^(٢)

وكن على بصيرة أني سأستدل بما أسمعك منك في جوابك عما أسألك عنه

على صدقك وخلافه ، وعلى تحريفك وقرافه^(٣) .

(٢) قُلْتُ قَبْلُ : كُلُّ شَيْءٍ أُرِيدُ أَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ يَكُونُ نَاصِرِي عَلَى مَا يَرَادُ

مَنْ قَانِي إِنْ مُنِعْتُهُ نَكَلْتُ ، وَإِنْ نَكَلْتُ قُلْتُ إِنْصَاحِي عَمَّا أَطَالَبُ بِهِ

وَنَفَيْتُ الْكَسَادَ ، وَقَدْ طَمِعْتُ بِالتَّفَاقُ^(٤) وَأَقْلَبْتُ بِالْخَلِيَةِ ، وَقَدْ عَقَدْتُ

خِنْصِرِي عَلَى الْمَسْأَلَةِ . قَالَا — حَرَسَ اللَّهُ رُوحَهُ — : قُلْ — عَافَاكَ اللَّهُ —

مَا بَدَا لَكَ ، فَأَنْتَ مُجَابٌ إِلَيْهِ مَا دَمْتَ ضَامِنًا لِلْبُلُوغِ إِرَادَتِنَا مِنْكَ ، وَإِصَابَةِ غَرَضِنَا بِكَ .

قلت : يُؤَذِّنُ لِي فِي كَافِ الْخَاطِئَةِ ، وَتَاءِ الْمَوَاجِةِ ، حَتَّى أَمْتَلِصَ مِنْ مَرَاةِ

الْكِنَايَةِ وَمُضَايِقَةِ التَّعْرِيفِ ، وَأَرْكَبَ جَدَدَ^(٥) الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ تَقْيَةٍ^(٦) وَلَا تَعَاشِ

(١) التهادي : للمشي الرفيق في تمايل .

(٢) في الأصل « ارتب » وهو تحريف .

(٣) قرافه ، أي ارتكابه . يقال : قارف الذنب واقترفه ، إذا خالطه .

(٤) التفاف ضد الكساد .

(٥) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض لا وعت فيه ولا جبل ولا أكمة ، شبه به

القول الذي لا عوج فيه ولا التواء .

(٦) « بقة » .

ولا مُحَاوَبَةً^(١) ولا أَنْحِيَاشَ^(٢) .

(٣) قال : لك ذلك ، وأنت المأذون فيه ، وكذلك غيرك ، وما في كاف المحاطبة وتاء الواجحة ؟ إن الله تعالى — على علو شأنه ، وبسطة مُلكه ، وقدرته على جميع خلقه — يواجه بالتاء والكاف ، ولو كان في الكناية بالماء رِفْعَةٌ وَجَلَالَةٌ وَقَدْرٌ وَرَبِّيَّةٌ وتقديس وتمجيد لكان الله أحقَّ بذلك ومقدّمًا فيه ، وكذلك رسوله صَلَّى الله عليه وسلّم والأنبياء قبله — عليهم السلام — وأصحابه — رضی الله عنهم — والتابعون لهم بإحسان — رحمة الله عليهم — وهكذا الخلقاء ، فقد كان يقال للخليفة : يا أمير المؤمنين أعزك الله ، يا عمرُ أصلحك الله ؛ وما عاب هذا أحد ، وما أُنِفَ منه حسيب ولا نسيب ، ولا أباه كبير^(٣) ولا شريف ؛ وإني لأعجب من قوم يرغبون عن هذا وشبهه ، ويحسبون^(٤) أن في ذلك ضَمَّةٌ أو قِيَصَةٌ أو حُطًّا أو زِيَاةً ، وأظن أن ذلك لمجزم وفُسُولَتهم^(٥) ، وانخزالهم^(٦) وقتلتهم وضوؤلتهم ، وما يجدونه من الغضاضة في أنفسهم ، وأن هذا التكلف والتجبر يمحوان عنهم ذلك النقص ، وذلك النقص ينفني بهذا الصلف ؛ هيات ، لا تكون الرياسة حتى تصفو من شوائب الخيلاء ، ومن مفايح الزهو والكبرياء .

(٤) قلتُ : أيها الوزير ، قد خالطتُ العلماء ، وخدمت الكبراء وتصفحتُ أحوال الناس في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم ، فاستمتُ هذا المعنى من أحد على

(١) لمة : مواربة .

(٢) الانحياش : الاغباش .

(٣) « كبير » .

(٤) « يحشون » .

(٥) الفسولة : الحسة والضمف .

(٦) انخزالهم ، أى اقطاعهم وتخفيفهم عن طلب المال .

هذه السَّيَاقَةُ الحَسَنَةُ والحِجَّةُ الشَّافِيَةُ والبَلَاغُ المَبِينُ ؛ وقد قال بعضُ السلفِ الصالحِ :
 « مَا تَعَاظَمَ أَحَدٌ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا يَقْدِرَ مَا تَصَاغَرَ لِمَنْ فَوْقَهُ » . والتَّصَاغُرُ دَوَاءُ
 النَّفْسِ ، وَسَجِيَّةُ أَهْلِ البَصِيرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو السَّنَاكِ ^(١) لِلرَّشِيدِ
 — وَقَدْ عَجِبَ مِنْ رَفْعِهِ وَحُسْنِ إِصَاخَتِهِ لِمَوْعِظَتِهِ وَبَلِيغِ قَبُولِهِ لِقَوْلِهِ وَسُرْعَةِ دَمْعَتِهِ
 عَلَى وَجْهِهِ — : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَتَوَاضَعَنَّكَ فِي شَرْفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرْفِكَ ، وَإِنِّي
 أَظُنُّ أَنَّ دَمْعَتَكَ هَذِهِ قَدْ أَطْفَأَتْ أَوْدِيَةَ مِنَ النَّارِ وَجَمَلَتْهَا بَرْدًا وَسَلَامًا » .

(٥) قال ^(٢) : هَذَا بَابٌ مُفْتَرَقٌ فِيهِ ، وَرَجَعْنَا إِلَى الْحَدِيثِ [فَإِنَّهُ شَهِيٌّ ، سَيِّئًا إِذَا
 كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ ^(٣) الْعَقْلِ] قَدْ خُدِمَ بِالصَّوَابِ فِي نَفْعَةٍ نَائِغَةٍ ، وَحُرُوفٍ مُتَقَاوِمَةٍ ؛
 وَلَفْظٌ عَذْبٌ ، وَمَأْخُذٌ سَهْلٌ ؛ وَمَعْرِفَةٌ بِالْوَصْلِ وَالْقَطْعِ ، وَوَفَاءٌ بِالنَّثْرِ وَالسَّجْعِ ؛
 وَتَبَاعُدٌ مِنَ التَّكَلُّفِ الْجَفَافِ ، وَتَقَارُبٌ فِي التَّلَطُّفِ الْخَلَافِ ، قَاتِلٌ لِلَّهِ ذَا الرِّيمَةِ ^(٤)
 حَيْثُ يَقُولُ :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ ^(٥) وَلَا نَزْرُ
 وَكَفْتُ أَنْشِدَ أَيَّامَ الصَّبَا هَذَا ^(٦) بِالْفَالِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سِوَةِ تَلْقِينٍ لِلْعِلْمِ ؛ وَبِالْمِرَاقِ
 رُدُّ عَلَى وَقِيلَ : هُوَ بِالزَّيِّ ؛ وَقَدْ أَجَادَ الْقَطَامِي ^(٧) أَيْضًا وَتَنَزَّلَ فِي قَوْلِهِ :

(١) انظر التصريف بابن السناك رقم ٤ صفحة ١٤ .

(٢) قال ، أي الوزير .

(٣) عبارة الأصل « خاصة سيما إذا كان من طبعان العقل » .

(٤) ذو الرمة ، هو غيلان بن عتبة بن نهيس أحد غول الشعراء الأُمويين ، توفي سنة سبع عشرة ومائة عن أربعين سنة .

(٥) رخي الحواشي : ناعهما . والمراء : للطلق الكثير ، والنزر : القليل .

(٦) هذا ، أي قوله في البيت السابق : « نزر » .

(٧) القطامي لقب علي بن ميمون بن شبيب التميمي من بني جهم بن بكر ، وهو شاعر إسلامي مقل ، وكان نصرانيا .

فهنَّ^(١) ينبذن من قول يُصين به مواقع الماء من ذى النقة الصادى
قلتُ : ولهذا قال خالد بن صفوان حين قيل له : أتملَّ الحديث ؟ قال :
إنما يُمَلَّ المتَّيق^(٢) ، والحديث معشوق الحِسِّ بمعونة العقل ، ولهذا يُولَّع به
الصبيان والنساء ، فقال : وأى معونة لهؤلاء من العقل ولا عقل لهم ؟ قلتُ : ههنا
عقلٌ بالقوة وعقلٌ بالفعل ، ولم أحدهما وهو العقل بالقوة ، وههنا عقلٌ متوسط
بين القوة والفعل مُزج^(٣) ، فإذا برز فهو بالفعل ، ثم إذا أَسْتَمَرَّ^(٤) العقل بلغ
الأفق ؛ ولقرط الحاجة إلى الحديث ما وضع^(٥) فيه الباطل ، وخُطِلَ بالمُحال
ووُصِّل بما يُعجب ويُضحك ولا يُؤول إلى تحصيل وتحقيق ، مثل (هزار أفسان)^(٦)
وكلُّ ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات ؛ والحِسُّ شديدُ اللَهَجِ^(٧) بالحادث
والمُحدث والحديث ، لأنَّه قريب المهد بالكون ، وله نصيب من الطرافة . ولهذا
قال بعض السلف^(٨) : « حادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدُّثور » ، كأنَّه أراد
أصقلوها وأجلوا الصِّدأ عنها ، وأعيدوها قابلةً لودائع الخير ، فإنها إذا دَثَرَتْ
— أى صَدَدَتْ ، أى تَقَطَّطَتْ ؛ ومنه الدُّثار القذى فوق الشَّعار — لم يُنفع بها ؛

(١) « فهن » .

(٢) المتيق : القديم .

(٣) استمرار الإجماع هنا لمعنى التهيؤ والاستعداد لظهور .

(٤) استمر ، أى قوى واستحكم ، من المرة بكسر الميم وتشديد الراء ، وهى القوة .

(٥) ما وضع ، أى وضع ، « ما » هنا زائدة ، وهو تصوير شائع الاستعمال فى كلام المؤلف .

(٦) فى الأصل « حبان » ؟ وهو تحريف . وهزار أفسان كتاب فى الخرافات نقل

ابن التيمم معنى هذا الاسم ألف خرافة . ويستفاد مما ذكره من السبب فى تأليفه أنه أصل

(لكتاب ألف ليلة وليلة) المعروف ، فقد ذكر أن بعض الملوك كان إذا تزوج امرأة وبات معها

ليلة قتلها من الند ، فزوج بجارية من أولاد الملوك من هن عقل ودراية يقال لها « شهرزاد »

فلما حصلت منه أجدات تحدته وتصل الحديث عند اهتمامه القليل بما يحمل الملك على استبقائها ،

ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى عليها ألف ليلة الخ .

(٧) « الكهج » .

(٨) يروى هذا الحديث عن الحسن .

والتعجب كله منوطٌ بالحادث ؛ وأما التعظيم والإجلال فهما لكل ما قدم : إما بالزمان ، وإما بالدهر ؛ ومثال ما يقدم بالزمان الذهب والياقوت وما شابههما من الجواهر التي بعد العهد بمبادئها ، وسيتد المهد جدا إلى نهايتها ؛ وأما ما قدم بالدهر ، فكالعقل والنفس والطبيعة ؛ فأما الفلك وأجرامه المزدهرة في الماعة المعجية ، ومناطقه الخفية ، فقد أخذت من الدهر صورةً إلهية ، وأحدثت فيما سلف منها صورةً زماتية .

(٦) فقال : يقَ أن يتصل به ^(١) نعتُ العتيق والخلق ، فكان من الجواب أن العتيق يقال على وجهين : فأحدها يشار به إلى الكرم والحسن والعظمة ، وهذا موجودٌ في قول العرب : « البيت العتيق » ؛ والآخر يشار به إلى قدم من الزمان مجحول . فأما قولهم : « عبد عتيق » ، فهو داخل في المعنى الأول ، لأنه أكرم بالعتق ، وأرتفع عن العبودية ، فهو كريم . وكذلك « وجه عتيق » لأنه أعفقه الطبيعة من الدمامة والقيح . وكذلك « فرس عتيق » .

وأما قولهم : « هذا شيء خلق » ، فهو مضمّن معنيين : أحدهما يشار به إلى أن مادته بالية ^(٢) ؛ والآخر أن نهاية زمانه قريبة . وكان ابن عباد قال لكتابه مرة — أعنى ابن حنبل ^(٣) — في شيء جرى ... : « نعم ، العالم عتيق ولكن ليس بقديم » أي لو كان قديما لكان لا أول له ، ولما كان عتيقا كان له أول ، ومن أجل هذا الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنه قديم ، وأستحسنوا هذا الإطلاق . وقد سألت العلماء البصراء عن هذا الإطلاق ، فقالوا : ما وجدنا

(١) هـ ، أي بالحديث الذي سبق الكلام فيه .

(٢) « سائلة » ؛ وفيه تحريف وقلب .

(٣) في الأصل « ابن حنبل » ، وقد جاء اسمه في مصب الأدياء : أبا القاسم بن حنبل ، ومرة يسميه : أبا القاسم الحنبل ، وذكر في بعض المواضع أنه كان يرض الأوراق على صاحب ابن عباد ، فالظاهر أنه هو المراد .

هذا في كتاب الله — عز وجل — ولا كلام نبّيه — صلى الله عليه وسلم — ولا في حديث الصحابة والتابعين . وسألت أبا^(١) سعيد السيرافي الإمام : هل تعرف العرب أنّ معنى القديم ما لا أول له ؟ فقال : هذا ما صح عندنا عنهم ولا سبق إلى وهما هذا منهم ، إلّا أنهم يقولون : « هذا شيء قديم » وبنيان قديم « ويسرّحون^(٢) » وهم في زمان مجهول المبدأ .

(٧) قال : قد مرّ في كلامك شيء يجب البحث عنه ، ما الفرق بين الحادث والمُحَدَّث والحديث ؟ فكان من الجواب أنّ الحادث ما يُلحَظ نفسه [والمُحَدَّث ما يُلحَظ^(٣)] مع تعلّق بالذي كان عنه محدثاً . والحديث كالتوسط بينهما مع تعلّق بالزمان ومن كان منه .

وهنا شيء آخر ، وهو الحدّثان والحَدَثان ؛ فأما الأول فكأنه لما هو مضارع للحادث ، وأما الحدّثان فكأنه اسم للزمان قط ، لأنه يقال : « كان كذا وكذا في حدّثان ما ولي الأمير » ، أي في أول زمانه ، وعلى هذا يدور أمر^(٤) الحدث والأحداث والحادثات والحوادث . « وفلان حدّث مُلوك^(٥) » كله من ديوان واحد وواحد^(٦) واحد ومثلك واحد . قال : « ما الفرق بين حدّث وحدث » ؟ قلت : لا فرق بينهما إلّا من جهة أنّ حدّث تابع لقَدَم ، لأنه يقال : أخذَه ما قَدَم^(٧) وما حدّث ؛ فإذا قيل للإنسان : حدّث يا هذا . فكأنه قيل له :

(١) في الأصل « أنا » ؟ وهو تحريف . وأبو سعيد السيرافي هو الحسن بن عبد الله ابن المرزبان السيرافي النحوي المعروف ؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وتوفى سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(٢) ويسرّحون ؟ بالدين .

(٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) لا هو ، أي موضوع لا هو .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل بدقوله : « الحدث » ؛ كما أن راء ما كتبت في الأصل

« نونا » . واستقامة الكلام تقتضي ما أثبتنا .

(٦) في الأصل « وهو » ولا معنى له .

(٧) « أخذه ما قدم وما حدث » ، أي أخذه المصوم والأفكر القديمة والحديثة .

ميلٌ شيئاً بالزمان يكون به في الحال ، لا تقدّم له من قبل .
 ثم رجعتُ قُلت . ولقوائد الحديث ماصنّف (أبوزيد) ^(١) رسالة لطيفة الحجم
 في التَّنْظَر ، شريفة القوائد في التَّخَيَّر ، تَجْمَعُ أصناف ما يقتبس من العلم والحكمة
 والتَّجربة في الأخبار والأحاديث ، وقد أحصاها وأستقصاها وأفاد بها ، وهي
 حاضرة . فقال احملها وأكتبها ، ولا تَمِلْ إلى البخل بها على عادة أصحابنا
 النِّثاث . قلتُ : السمع والطاعة .

ثم رويتُ أن عبد الملك بن مروان قال لبعض جلسائه : قد قضيتُ الوطر
 من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزُّهر ، على التَّلال ^(٢) المُقر ^(٣) .
 وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبد العزيز قال : والله إني لأشتري
 [المحادثة] ^(٤) من عُبيد الله ^(٥) بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود بألف دينار
 من بيت مال المسلمين . فقيل : يا أمير المؤمنين ، أتقول هذا مع تحريك وشدة
 تحفظك ونزهِك ؟ فقال : أين يُذهب بكم ؟ والله إني لأعود برأيه ونصحه
 وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوفِ دنانير ، إن في المحادثة تلقيحاً
 للمقول ، وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهيم ، وتنقيحاً للأدب .

(١) الراجع أنه يريد أبازيد أحد بن سهل البلخي كان من المتكلمين الفلاسفة الأدباء
 وكان يقال له « جاحظ خراسان » ألف كتباً كثيرة منها كتاب فضيلة علم الأخبار وكتاب
 النوادر في فنون شتى ولعل أحد هذين الكتابين هو الذي يشير إليه أبو حيان ، وكان
 أبو حيان يجب به وقد قال فيه : « أنه لم يهدم له شيء في العصر الأول ولا يظن أنه يوجد
 له نظير في متآف الدهر » ، مات سنة ٣٢٢ عن سبع أو ثمان وثمانين سنة .

(٢) في الأصل « الكلال » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . وفي رواية « على
 الكتابان » ؛ وهو بضم الكلف بمعنى التلال كما أئبنا .

(٣) في الأصل « القر » بالفتح ؛ وهو تصحيف .

(٤) هذه الكلمة أو ما يقيد معناها ساقطة من الأصل .

(٥) هو أحد الفقهاء السبعة كان إماماً عالماً وكان أعمى قال البخاري إنه مات سنة ٩٤
 وهذا لا يتفق وخلافة عمر بن عبد العزيز وقال ابن الدبيسي سنة ٩٩ وهذا متفق مع هذه القصة .

قال : صدق هذا الإمام في هذا الوصف ، إن فيه ^(١) هذا كله .
قلتُ : وسمعتُ أبا سعيد ^(٢) السيرافي يقول : سمعتُ ابنَ السراج ^(٣) يقول :
دخلنا على ابنِ الرومي ^(٤) في مرضه الذي قضى فيه ، فأنشدنا قوله ^(٥) :
ولقد سمعتُ مَارِيَّ فكَأَنَّ أُطْيَبَهَا خَيْثُ
إِلَّا ^(٦) الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ مِثْلُ أُسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ

وقال سليمان بن عبد الملك : « قد ركبنا القاره ^(٧) ، وتبطننا الحسناء ، ولبسنا
اللقين ، وأكلنا الطيب حتى أجنأه ^(٨) ، وما أنا اليوم [إلى شيء] ^(٩) أحوجُ
منِّي إلى جليس يضع عنى مؤونة التحفظ ويحدثني بما لا يمتجعه السمع ، ويطرِب
إليه القلب . وهذا أيضا حقٌّ وصواب ، لأنَّ النفس تملُّ ، كما أنَّ البدن يَكِلُّ ؛
وكما أنَّ البدن إذا كلَّ طلب الراحة ، كذلك النفس إذا تملَّت طلبت الروح ^(١٠)
وكما لا بد للبدن أن يستمدَّ ^(١١) ويستفيد بالجنام ^(١٢) القاهب بالحركة الجالبة

(١) فيه ، أى في الحديث .

(٢) انظر التصريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ صفحة ٢٥ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ، أخذ الأدب
من أبي الباس المبرد ، وأخذ عنه جماعة : منهم أبو سعيد السيرافي ؛ وله التصانيف المصنوعة
في النحو وتوفى سنة ست عشرة وثلاثمائة .

(٤) هو أبو الحسن علي بن الباس بن جريح المعروف بابن الرومي الشاعر المعروف .
ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ببغداد ، وتوفى سنة ثلاث ومائتين ومائتين . وقيل غير ذلك .

(٥) ورد من هذا اللفظ في الأصل القاف والواو وحدهما .

(٦) « يلا » .

(٧) في الأصل « القاره » بالقاف ؛ وهو تصحيف . والقاره من الدواب : النعيط

الحاد القوي .

(٨) أجنأه ، أى كرهناه وقلناه من اللداومة عليه .

(٩) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أبتناها عن (عمون الأخبار) .

(١٠) الروح يفتح الراء : الراحة .

(١١) « يستمد » .

(١٢) الجنام يفتح الجيم : الراحة .

لِلنَّصَبِ وَالضَّجَرِ ، كَذَلِكَ لَا بَدَّ لِلنَّفْسِ مِنْ أَنْ تَطْلُبَ الرُّوحَ عِنْدَ تَكَاثُفِ التَّلَلِ الدَّاعِي إِلَى الْحَرَجِ ^(١) فَإِنَّ الْبَدْنَ كَثِيفُ النَّفْسِ ، وَلِهَذَا يُرَى بِالْعَيْنِ ، كَمَا أَنَّ النَّفْسَ لَطِيفَةُ الْبَدَنِ ، وَلِهَذَا لَا تَوْجَدُ إِلَّا بِالْعَقْلِ ؛ وَالنَّفْسُ صِفَاءُ الْبَدَنِ ، وَالْبَدْنَ كَدَّرَ النَّفْسُ . قَال : أَحْسَنَتْ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ عَلَى هَذِهِ التَّوْشِيحَاتِ وَأُعْجِبَنِي ^(٢) تَرَحُّمُكَ عَلَى شَيْخِكَ أَبِي سَعِيدٍ ، فَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَسْمَعُ ^(٣) بِهَذَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَأْبَهُ لِهَذَا الْفِعْلِ ؛ هَاتِ مُلْحَةَ الْوَدَاعِ حَتَّى تَفْتَرِقَ ضَهَا ، ثُمَّ نَأْخُذْ لَيْلَةً أُخْرَى فِي شُجُونِ الْحَدِيثِ .

(٨) قلت : حَدَّثَنَا ابْنُ سَيْفٍ الْكَاتِبُ الرَّوَايَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ جَحْظَةَ ^(٤) قَدْ دَعَا بَنَاءً لِيُنِي لَهُ حَائِطًا ، فَخَضِرَ ^(٥) ، فَلَمَّا أَمْسَى أَقْتَضَى الْبِنَاءُ الْأَجْرَةَ ، فَمَّا كَسَا ^(٦) وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ طَلَبَ عَشْرِينَ دِرْهَمًا ؛ فَقَالَ جَحْظَةُ : إِنَّمَا عَمَلْتُ يَا هَذَا نِصْفَ يَوْمٍ وَتَطْلُبُ عَشْرِينَ دِرْهَمًا ؟ قَالَ : أَنْتَ لَا تَدْرِي ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ حَائِطًا يَبْقَى مِائَةَ سَنَةٍ ؛ فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ وَجَبَ الْحَائِطُ وَسَقَطَ ؛ فَقَالَ جَحْظَةُ : هَذَا عَمَلُكَ الْحَسَنَ ؟ قَالَ : فَأَرَدْتُ أَنْ يَبْقَى أَلْفَ سَنَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ كَانَ يَبْقَى إِلَى أَنْ تَسْتَوِيَ أَجْرَتُكَ . فَضَحَكَ — أَضْحَكَ اللَّهُ سَنَةً — .

(١) « الجرح » .

(٢) يلاحظ أنه لم يرد في هذه النسخة عند ذكر أبي سعيد السيرافي قوله — رحمه الله — فله قد سقط من النسخ هناك .

(٣) « كسم » .

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك القاسم المروفي ، كان من طرقات عصره وكان صاحب قنوت ونوادر ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة ، وتوفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة . وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسطة ، ودفن ببغداد .

(٥) في الأصل « وخضر بنا » وبنا لا معنى لها .

(٦) تماكسا ، أي تماشا في الأجرة ؛ يقال : ماكسه في البيع ونحوه ؛ لأننا شاحه فيه واستعمله الثمن واستقصه إياه .

الليلة الثانية

- (١) ثم حضرت ليلة أخرى ، فقال : أول ما سألت عنه حديث أبي سليمان^(١) المنطقي كيف كان كلامه فينا ، وكيف كان رضاه عنا ورجاؤه^(٢) بنا ، فقد بلغني أنك جازؤه ومعاشره ، ولصيقه وملازمه وقافي خطوه وأثره ، وحافظ غاية خبره . قلت : والله أيها الوزير ، ما أعرف اليوم ببنداد — وهي الرقعة الفسيحة الجامعة ، والمرصة^(٣) المريضة الفاصدة — إنسانا أشكر لك ، وأحسن ثناء عليك ، وأذهب في طريق العبودية معك ، منه ؛ ولقد سكر^(٤) الآذان وملأ البقاع بالدعاء الصالح ، رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ، والثناء الطيب أشاعه اللهُ ؛ وقد عمل رسالة في وصفك ذكر فيها ما آتاك اللهُ وفضلك به من شرف أعراقك ، وكرم أخلاقك وعلو همتك ، وصدق حدسك وصواب رأيك ، وبركة نظرك ، وظهور غنائك ، وخصب فنائك ، ومحبة أوليائك ، وكَد أعدائك ، وصباحة وجهك ، وفصاحة لسانك^(٥) ، وتبلي حَسَبِكَ^(٦) ، وطهارة غَيِّبِكَ^(٧) ، ويُعْن نقيتكَ ، ومحمود

(١) أبو سليمان هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني أكبر علماء بنداد في عصر أبي حيان في المنطق والحكمة والفلسفة كان مجلسه حافلا بالعلماء والحكماء واسع الاطلاع في الفلسفة اليونانية وكان به عور وبرص يمناه من غشيان مجالس الأمراء والوزراء وهو أكبر شيوخ أبي حيان في الفلسفة مات على أغلب الظن في السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع الهجري .

(٢) ورجاؤه بنا ، أي رجاءه المقود بنا . وفي الأصل : « وأرجاؤه » والألف زيادة من النسخ .

(٣) الرصة : الساحة الواسعة .

(٤) سكر الآذان : ملائها . وفي الأصل : « شكر » بالسين ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « رخم لسانك » وقوله : « رخم » من زيادات النسخ إذ لا معنى

لها ولا تتفق مع السياق .

(٦) « وتخلصك » .

(٧) « عيبك » .

شيمتك ، ودقيق ما أودع الله فيك ، وجليل ما نشر الله عنك ، وغريب ما يُرى منك ، وبديع ما يُنتظر لك من اللراتب الملية ، والخيرات الواسعة والبروة الوادعة ، وهي تصل إلى مجلسكم في غد أو بعده — إن شاء الله — وكان هذا منه [قياما] ^(١) بالواجب ، فإنك نَشِيتَ روحه وكان خَفَت ، وبصْرته وكان عَشِي ؛ وأُنبتَ جناحه وكان قد حُص ^(٢) ؛ بالرسم الذي وصل إليه لأنه كان قَنِط منه وهو قَنوطٌ ، وسمَّته يقول مرارا : من يذكركني وقد مضى لِلَّهِ ^(٣) — رضوان الله عليه — ومن يَحْلُفه في مصلحتي ، ويجري على عادته معي ؟ ومن يسأل عني ، ويهتم بحالي ؟ هيات ، فُقدَ والله بالأُمس من ^(٤) يطول تَلَفُّتُنَا إليه ويدوم تَلَهُّفُنَا عليه * إن الزمان يَبِثُّه لَبْخِيل * كان والله شمس المال في غمرة الزمن وحامل الأقال ، وملتقى ^(٥) القفال ، ومحقق الأحوال والأفعال ، ويجري لِبْجُم ^(٦) الأحوال على غاية الكمال ؛ كان والله فوق التمتي ، وأعلى من أن يُلحق به نظير ، أو يوجد له مماثل ؛ لذته لَمَح ^(٧) في تهذيب الأمور ، وهواه وقف على صلاح من في إصلاحه صلاح ونقى من في قفيه تطهير ؛ ولولا أن عمر الفتى الأَرِيحِيّ قصير ، لسكنا لا نَبْتَلِي بفقدِه ، ولا نتحرق على فَوْت ما كان لنا بحياته ؛ الدنيا ظُلوم ، والإنسان فيها مظلوم .

- (١) هذه الكلمة أو ما يفيد متناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إلتابتها .
 (٢) يقال : « حس الریش والشر » ، إذا اعترا . وكفى بحس الجناح من الفقر ، وبيانه من النقي .
 (٣) الظاهر أنه يريد بالملك « عند الملة » البويهي .
 (٤) عبارة الأصل « مر بطول تَلَفُّتُنَا » وهي معرفة في جميع أفعالها .
 (٥) في الأصل « وسكنى الأقال » ؛ وهو تحريف . والقفال : المسافرين ، ممرا بذلك تناولا بقولهم إلى أوطانهم ، أي رجوعهم إليها .
 (٦) استعمل اللحن في معنى الخيل مجازا . وفي الأصل : « لحاء » ؛ وهو تحريف .
 (٧) اللح ، النظر الخفيف . والمراد بهذا اللفظ وصفه بالظلمة والألمية حتى أنه لينظر إلى الأمور نظرا خفيفا فيكتفي بذلك عن التأمل والإيمان .

فلما وصل إليه ذلك الرّسم — وهو مائة دينار — وحاجته ماسة إلى رغيّف ، وحوّله وقوّته قد عجزا^(١) عن أجره مسكنه ، وعن وجه غداّه وعشائه عاش .

ومما زاد في حديث الرّسم أنّه وصل إليه مع العذر الجميل ، والوعد المريض الطويل ؛ ولورأيته وهو يترقّل ويتحنّك^(٢) لمحبّت . فقال : سررتي لسروره بما كان مني ، وإن عشت ككفت الزمان عن ضميمه ، وفلّت^(٣) عنه حدّ نابه ، ولولا الضّمانة^(٤) مائة^(٥) عن نفسه ، ومتمنّع معها بنفسه ؛ لنشئ هذا المجلس فيكم^(٦) فاستأنّس وأنّس ، ولكنّه على حال لا محتمل له عليها ، ولا صبر عليه معها ؛ تحفظ ما قال البديهيّ فيه ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنيّه ، فرويت :

أبو سليمان عالمٌ فطن ما هو في عليه بمنقصر
لكن تبطّرت عند رؤيته من عورٍ موحش ومن برّص
وبأبنيه مثلاً ما بوالده وهذه قصّة من القصص

(٢) فقال : قاتله الله ، فلقد أوجع وبألغ ، ولم يحفظ ذمام العلم ، ولم يقض حق الفتوة . حدثني عن درجته في العلم والحكمة ، وعرفني محلّه فيها من محلّ أصحابنا

(١) ورد في الأصل بدل قوله « عجزا » تاء وكاف وميم ؛ ولم تثن الصواب في هذه الحروف الثلاثة ؛ ولعلها زيادة من الناسخ .

(٢) يترقّل ، أي يمرّ ذيله ويتبخر . وضمك ، أي يدير الهامة من تحت خنك . كنى بالترقّل والتحنّك عن السرور والابتهاج بما وصل إليه من صلة الوزير .

(٣) « قلت » .

(٤) الضّمانة : الساعة في الجسد . وفي الأصل : « الجماعة » ؛ وهو تحريف .

(٥) مائة عن نفسه ، أي أن هذه الساعة مائة لنا عن مجالته . وتمنّع معها بنفسه أي أنه هو ممنوع بنفسه مع هذه الساعة عن مجالتنا .

(٦) « بكم » .

أَبْنُ زُرْعَةَ ^(١) وَأَبْنُ الضَّمَارِ ^(٢) وَأَبْنُ السَّمْحِ ^(٣) وَالْقَوْمِيُّ ^(٤) وَمُسْكُوهِ ^(٥) وَنَظِيف ^(٦) وَيَحْيَى بْنُ عَدَى ^(٧) وَعِيسَى بْنُ عَلِيٍّ ^(٨). قُلْتُ: وَصِفْ هَؤُلَاءِ أَمْرًا مُتَعَدِّرًا، وَبَابٌ مِنَ الْكُلْفَةِ شَاقٌّ؛ وَلَيْسَ مِثْلُ مَنْ جَسَرَ عَلَيْهِ، وَبَلَغَ الصَّوَابَ مِنْهُ؛ وَإِنَّمَا يَصْفُهُمْ مِنْ نَالِ دَرَجَةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَأَشْرَفَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ فَصَرَفَ حَاضِلَهُمْ وَغَائِبَهُمْ، وَمَوْجُودَهُمْ وَمَقْضُودَهُمْ. قُلْتُ: هَذَا تَحَايُلٌ لَا أَرْضَاهُ لَكَ، وَلَا أَسْأَلُهُ فِي يَدِكَ، وَلَا أَحْتَمِلُهُ مِنْكَ؛ وَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ أَنْ تَعْرِضَهُمْ ^(٩) بِمَا هُوَ مَعْلُومٌ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَمَوْجِبُهُ ^(١٠) لَهُمْ، وَمَسْئُوقُهُ إِلَيْهِمْ، وَخَلُوعُهُ عَلَيْهِمْ، عَلَى الْحِلَّةِ الَّتِي لَا مَزِيدَ فِيهِ وَلَا نَقْصَ؛ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَذَكَّرَ مِنْ كُلِّ

(١) ابن زُرْعَةَ، هو أبو علي عيسى بن إسحق بن زُرْعَةَ عالم نصراني من علماء بغداد برز في المنطق والفلسفة، ونقل عدة مصنفات إلى العربية، وتوفي كما روى القطعي سنة ٣٩٨. (٢) ابن الضَّمَار، هو أبو الحير الحسن بن سوار، كان كذلك نصرانيا طيبيا فيلسوفا هل كتبنا كثيرة من السراينة إلى العربية.

(٣) ابن السَّمْح، هو أبو علي بن السَّمْح من منطقة بغداد؛ مات سنة ٤١٨.

(٤) القومِيُّ، هو أبو بكر القومِيُّ للفيلسوف. قال أبو حيان: إنه كتب لنصر الدولة طامين.

(٥) مسْكُوهِ، هو أبو علي أحمد بن محمد مسْكُوهِ الحائِز، كان طارقا بالفلسفة، ألف كتاب تهذيب الأخلاق وتجارب الأمم، وكان قيا على خزانة كتب ابن العميد ثم قيا على خزانة كتب عضد الدولة ثم اختص بيهاء الدولة البويهية وعظم عنده شأنه ومات سنة ٤٢١.

(٦) نظيف، هو الفرس نظيف النفس الرومي، كان طالما جيد الثقل من اليوناني إلى العربي وكان من أفاضل الأطباء، وعينه عضد الدولة في البيلرستان التي أنشأه ببغداد.

(٧) يحيى بن عَدَى أبو زكريا، كان نصرانيا منطقيا، أخذ الفلسفة عن أبي نصر الفارابي وبشر بن متى؛ وله مؤلفات كثيرة، مات سنة ٣٦٤.

(٨) عيسى بن علي، هو أبو القاسم عيسى بن الوزير الكبير علي بن عيسى الجراح، كان عيسى طالما فاضلا، قرأ المنطق على يحيى بن عَدَى، كما درس الفقه والأدب على علماء عصره، وعمل في ديوان الرسائل؛ ومات ببغداد سنة ٣٩١. وقد نقل عنه أبو حيان كثيرا من أقواله في الحكمة في اللغات.

(٩) «تعرضهم».

(١٠) مَوْجِبُهُ لَهُمْ؛ أَي مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ؛ يُقَالُ: أَوْجِبْتُ لَهُ الشَّيْءَ، إِذَا أَعَدَدْتَهُ لَهُ.

وَاحِدٌ مَا لَاحَ مِنْهُ لِعَيْنِكَ ، وَتَحِيلٌ لِبَصِيرَتِكَ ، وَصَارَ لَهُ بِهِ صُورَةٌ فِي نَفْسِكَ ؛ فَأَكْثَرَ وَصَفِ الْوَاصِفِينَ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا يَجْرِي ، وَإِلَى هَذَا الْقَدْرِ يَتَهَيَّ .

قُلْتُ : إِذَا قَنَعَ مِنْى بِهَذَا ، فَإِنِ أَخَذْتُ بِمَا ^(١) عِنْدِي ، وَأَبْلَغُ فِيهِ أَقْصَى جَهْدِي .
أَمَّا شَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فَإِنَّهُ أَدَقَّهُمْ نَظْرًا ، وَأَقْرَبُهُمْ غَوْصًا ، وَأَصْفَاهُمْ فِكْرًا ، وَأَظْفَرُهُمْ بِاللُّغَرِ ، وَأَوْقَفُهُمْ عَلَى الْغُرَرِ ؛ مَعَ تَقَطُّعٍ فِي الْعِبَارَةِ ، وَلُكْنَةٍ نَاشِئَةٍ مِنْ ^(٢) الْفُجْئَةِ وَقَلَّةِ نَظَرٍ فِي الْكُتُبِ ، وَفُرْطِ اسْتِغْدَادِ بِالْخَاطِرِ ، وَحُسْنِ اسْتِنْبَاطِ الْعَوَاصِفِ ، وَجَرَأَةِ عَلَى تَفْسِيرِ الرَّمْزِ ، وَبِخْلِى بِمَا عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْكَتَرِ .

وَأَمَّا ابْنُ زُرْعَةَ فَهُوَ حَسَنُ التَّرْجُمَةِ ، صَحِيحُ النُّقْلِ ، كَثِيرُ الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ ، مَحْمُودُ النُّقْلِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، جَيِّدُ الْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا جَلَّ مِنْ الْفَلَسَفَةِ ؛ لَيْسَ لَهُ فِي دَقِيقِهَا مُنْفَذٌ ^(٣) ، وَلَا لَهُ مِنْ لَفْظِهَا مَا خُذَ ، وَلَوْلَا تَوَزُّعٌ ^(٤) فِكْرِهِ فِي التِّجَارَةِ ، وَمَحَبَّتُهُ ^(٥) فِي الرِّبْحِ ، وَحِرْصُهُ عَلَى الْجَمْعِ ؛ وَشِدَّتُهُ عَلَى النَّعْمِ ؛ لَكَانَتْ قَرِيحَتُهُ تَسْتَجِيبُ لَهُ ، وَغَائِمَتُهُ ^(٦) تَدْرُّ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ مَبْدُدٌ مُنْدَدٌ ، وَحُبُّ الدُّنْيَا يُعْمِي وَيُصِمُّ .

وَأَمَّا ابْنُ الْحَارِثِ فَقَصِيحٌ ، سَبْطُ الْكَلَامِ ، مَدِيدُ النَّفْسِ ، طَوِيلُ الْعِنَانِ مَرْمُؤِيَّةُ النُّقْلِ ، كَثِيرُ التَّدْقِيقِ ، لَكِنَّهُ يَخْلُطُ الدُّرَّةَ بِالْبَعْرَةِ ^(٧) وَيُفْسِدُ السَّمِينَ بِالْقَتِّ ، وَيَرْقَعُ الْجَدِيدَ بِالرِّثِّ ؛ وَيَشِينُ ^(٨) جَمِيعَ ذَلِكَ بِالزُّهْوِ وَالصَّافِ ، وَيَزِيدُ

(١) فِي الْأَصْلِ « جَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) « مَعَ » .

(٣) « مَنِيْدَا » .

(٤) « تَوَزَّعَ » .

(٥) « وَنَجَّهَتْ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ « وَغَايَتُهُ تَدُو » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ . وَالْغَائِمَةُ السَّحَابَةُ .

(٧) « الْبَعْرَةُ » .

(٨) « وَيَشِينُ » .

في الرقم ^(١) والسوم ، فإيجديه ^(٢) من الفضل يرتجعه بالنقص ؛ وما يعطيه باللفظ يسترده بالعنف ؛ وما يصفيه بالصواب ، يكذّره بالإعجاب . ومع هذا يُصرّح ^(٣) في كل شهر مرة أو مرتين .

وأما ابن السمع ، فلا ينزل فينائهم ، ولا يسقى من إنائهم ؛ لأنه دونهم في الحفظ والنقل والنظر والجدل ، وهو بالمتبع ^(٤) أشبه ، وإلى طريقة الدعى أقرب ، والذي يحطّه عن مراتبهم شيثان : أحدهما بلادة فهمه ، والآخر حرصه على كسبه ؛ فهو مستفرغٌ مُح ^(٥) البال مأسور العقل ، يأخذ الدائق ^(٦) والقيراط والحبة والطسوج والقلنس بالصرف والوزن والتطعيف ؛ والقلب متى لم يُنقّ من دنس الدنيا لم يعمق بفوائح الحكمة ، ولم يتفوّح ^(٧) برذع الفلسفة ، ولم يقبل شعاع الأخلاق الطاهرة ألفتية إلى سعادة الآخرة .

وأما القومسى أبو بكر ، فهو رجل حسنُ البلاغة ، حلوُ الكناية ، كثيرُ الفقر العجبية ، جماعةٌ للكتب الغريبة ؛ محمودُ العناية في التصحيح والإصلاح والقراءة ، كثيرُ التردد ^(٨) في الدراسة ؛ إلا أنه غيرُ نصيح في الحكمة ؛ لأن

(١) يزيد في الرقم ، أى يزيد في حديثه ويكذب . ويريد بالزيادة في السوم : للفاولة ، وأصل السوم في البايمة مرض السلة للبع .

(٢) في الأصل « يديه » وسباق العبارة يقتضى ما أثبتنا بدليل مقابله بقوله بعد « يرتجعه الخ .

(٣) « يصرح » بلقاء .

(٤) « بالبيع » .

(٥) مع البال ، أى خالصه .

(٦) الدائق : سدس القدرم . والقيراط : نصف دائق . والحبة : وزن شعيرتين .

والطسوج : ربع الدائق .

(٧) في الأصل « ولم يفرخ بريح » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يرجعه قوله

قبل : « لم يصب بفوائح » . وردع الطيب : أثره في الثوب والبدن .

(٨) « التردد » .

قريحته ترايبية ، وفكرته سحابية ؛ فهو كالمقلد بين المحققين ، والتابع للمتقدمين ؛ مع حبٍ للدنيا شديد ، وحسد لأهل الفضل عتيد .

وأما مسكويه ، فقير بين أغنياء ، وعيى^(١) بين أبناء^(٢) ، لأنه شاذ ، وأنا أعطيته في هذه الأيام (صفوة الشرح لإساغوجي) وقاطيفورياس ، من تصنيف صديقنا بالري . قال : ومن هو ؟ قلت : أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن العامري ، وصحبه معي ؛ وهو^(٣) الآن لائذ بابن الحمار ، وربما شاهد أبا سليمان وليس له فراغ ، ولكنه محس^(٤) في هذا الوقت للحسرة التي لحقته فيما فاتته من قبل . فقال : يا عجبا لرجل محب ابن العميد أبا الفضل ورأى من كان عنده وهذا حظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولا بطلب الكيمياء مع أبي العليّ الكيميائي الرازي ، مملوك^(٥) المهنة في طلبه والحرص على إصابته مفتونا^(٦) بكتب أبي زكرياء ، وجابر بن حيان ؛ ومع هذا كان إليه خدمه صاحبه في خزانة كتبه ؛ هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته^(٧) الضرورية والشهوية ؛ والعمر قصير ، والساعات طائفة ، والحركات دائمة^(٨) والفرص بروق تاتلق^(٩) ، والأوطار في عرضها تجتمع وتتفرق ، والنفوس على فواتها تذوب

(١) وردت هذه الكلمة في الأصل مهلة الحرفين الأخيرين من النقط .

(٢) « أبناء » .

(٣) في الأصل « وهو الآن لا يكيّل الحمار » . وما أثبتناه عن معجم الأدياء في ترجمة ابن مسكويه .

(٤) « محب في هذا الوقت الحيرة » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٥) « المملوك » .

(٦) « مفتونا » .

(٧) « في الحاجات به » . وفي هذه الكلمة حروف زائدة من الناسخ ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٨) « دائمة » .

(٩) « تكتلق » .

وتحرق ؛ ولقد قَطَنَ العاصريُّ ^(١) الرَّمَى خمسَ سنينَ مُجمِعةً ^(٢) ودرس وأملَى وصنَّفَ ورَوَى فما أخذَ مسكويه عنه كلمةً واحدةً ، ولا وعى مسألةً ، حتى كأنَّه بينه وبينه سدٌّ ؛ ولقد تجرَّعَ على هذا التواني الصابَ والمُلمَمَ ، ومضغَ بغمه حنظلَ الندامة في نفسه ، وسمعَ بأذنه قوارِعَ اللامة من أصدقائه حين لم ينفع ذلك كلُّهُ . وبعدُ فهو ذكِّيٌّ حَسَنُ الشَّرِّ نَقِيٌّ اللَّفْظِ ، وإن بقي فسادٌ يتوسط هذا الحديث ، وما أرى ذلك مع كلِّه بالكيمياء ، وإتقان زمانه وكَدُّ بدنه ^(٣) وقلبه في خدمة السلطان ، وأحتراقه في البخل بالنانق والقيراط والكسرة والخرقة ؛ نموذ بالله من مدحِ الجود باللسان ، وإيثارِ الشَّحِّ بالفعل ، وتمجيدِ الكرم بالقول ومفارقة العمل ؛ وهذا هو الشقاء المصوب على هامة من مُبْلِ به ، والبلاء المصوب ^(٤) بناصية من غلب عليه .

وأما عيسى بن عليٍّ ، فله النَّزْعُ الواسع والصَّدْرُ الرحيب في العبارة ، حجة في النقل والترجمة ، والتصرف في فنون اللغات ، وضروب اللغاني والمعارات ؛ وقد تصفَّحَ ما لم يتصفَّح كثير من هذه الجماعة ، وقلبَ بمخزائن الكبراء والسادات ، وأعين ^(٥) بالمر الطويل والفراغ للديد ؛ ولكنَّه مع هذا الفضل الكثير بخيل

(١) العاصري ، هو أبو الحسن محمد بن يوسف العاصري ، فيلسوف معاصر لابن سينا وكانت بينهما مباحثات في الفلسفة ، ومن جلة كتب ابن سينا كتاب الأجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العاصري ، ويقول أبو حيان في المقاييس إنه كان من أعلام عصره وكان متبحراً في الفلسفة اليونانية منكباً على كتب أرسطو وله على بعضها شروح ؛ وقد اتصل بابن الميديد وقرأهما عدة كتب ، وتوفي نحو سنة ٣٨٠ .

(٢) جمعة ، أي مجموعة .

(٣) « وكذبكته » .

(٤) « التصوب » بالنون .

(٥) « وأعين » .

بكلمة واحدة ، وَنَصِيحٌ ^(١) على وَرَقَةٍ فارغة ، لسودائه الغالبِ عليه ، ومزاجِهِ
الْمُنَشِّطُ ^(٢) بها .

وَأَمَّا نَظِيفٌ ، فَإِنَّهُ مَتَوَسِّطٌ ، لَا يَسْفِلُ ^(٣) عَنْ أَقْلِهِمْ حَظًّا وَلَا يَمْلُو عَلَى
أَكْثَرِهِمْ نَصِيبًا ؛ وَيَدُهُ فِي الطَّبِّ أَطْوَلُ ، وَلِسَانُهُ فِي الْمَجَالِسِ أَجْوَلُ ؛ وَمَعَهُ رَفَقٌ
وَحَذَقٌ فِي الصَّدَلِ .

وَأَمَّا يَحْيَى بْنُ عَدِيٍّ ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا لَيْنَ الرِّبَكَةِ فَرُوقَةً ^(٤) ، مَشُوءَةً ^(٥)
الترجمة ، رَدَى الْعِبَارَةَ ، لَكِنَّهُ كَانَ مَتَأْتِيًا ^(٦) فِي تَخْرِيجِ الْمُخْتَلَفَةِ ^(٧) . وَقَدْ بَرَعَ فِي
مَجْلِسِهِ أَكْثَرُ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَلُودُ ^(٨) بِالْإِلَهِيَّاتِ ، كَانَ يَنْبَهَرُ ^(٩) فِيهَا وَيَصِلُ
فِي سِاسِطِهَا ، وَيَسْتَعْمِعُ عَلَيْهِ مَا جَلَّ ، فَضْلًا عَمَّا دَقَّ مِنْهَا ؛ وَكَانَ مَبَارَكُ الْمَجْلِسِ .
فَقَالَ : مَا قَصُرَتْ فِي وَصْفِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَتَقْرِيبِ الْبَغِيَةِ الَّتِي كَانَتْ
دَاخِلَةً ^(١٠) فِي نَفْسِي مِنْهُمْ .

(٣) حَدَّثَنِي عَنْ مَذَاهِبِهِمْ فِي النَّفْسِ وَمَا يَقُولُونَ فِيهَا ؛ وَإِلَى أَيْنَ يَتَهَوَّنُ مِنْ

(١) نَصِيحٌ عَلَى وَرَقَةٍ فارغة ، أَيْ أَنَّهُ بَلَغَ مِنْ شِدَّةِ غَمِّهِ بَعْلَهُ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ
يُخَفِّعَهُ حَتَّى فِي وَرَقَةٍ فارغة بِأَخْفِئِهَا مِنْهُ . وَهِيَ يَصِفُونَ الْبَخِيلَ بِالنَّصِيحِ عَلَى مَالِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَتَخَدَّعُ
عَنْهُ فَيَجُودُ بِهِ . أَوَّلُهُ شَحِيحٌ .

(٢) الْمُنَشِّطُ : اللَّتَبُّ . وَبِهَا ، أَيْ بِسَبَبِ السُّودَاءِ .

(٣) « لَا يَمْلُو » .

(٤) الْفُرُوقَةُ : الشَّدِيدُ الْفَرْعِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « مُوشِي » وَفِيهِ قَلْبٌ وَتَحْرِيفٌ .

(٦) مَتَأْتِيًا ، أَيْ مُتَرَفِّعًا مُتَلَطِّفًا .

(٧) فِي تَخْرِيجِ الْمُخْتَلَفَةِ ، أَيْ الْمَسَائِلِ الْمُخْتَلَفَةِ .

(٨) « يَكُونُ » .

(٩) الْإِنْهَارُ : تَابِعُ النَّفْسِ وَإِطْرَافُهُ مِنَ النَّصَبِ وَالْإِعْيَاءِ .

(١٠) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مُؤَخَّرَةً عَنْ هَذَا لِلْوَضْعِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَحْتَضِرُ
إِثْبَاتَهَا هُنَا .

يقينهم بشأنها ، وكيف قتهم بيقائنها بعد فناء أبدانها ؟ قلت : علمت أني لأجد^(١) ما أريد من حديث النفس عند أصحابنا الباقين ، أعني أبا الوفاء علي بن يحيى السامري والمري والقومي والصوفي وغلّام زحل^(٢) والصاغاني ، وكذلك غيرهم أعني ابن عبدان وابن يعقوب وابن لالا وابن بُكش^(٣) وابن قوسين^(٤) والحرائي ، لأن هؤلاء ليسوا يحرثون هذه الأرض ، ولا يرقون هذا البر ولا يجهزون هذا المتاع ولا يتعاملون به ؛ هذا ينظر في المرض والصحة والداء والبواء ، وهذا يستبر الشمس والقمر ، وليس فيهم من يذكر كلمة في النفس والعقل والإله ، حتى كأنه محذور عليهم ، أو قبيح عندهم .

وقلت : إن هؤلاء القوم — أعني الطائفة الأولى — متفقون في الاعتراف بأنها جوهر باق خالد ؛ فأما اليقين فما الحكم به لهم ، لأنهم لو كانوا على ذلك — أعني واجدين لليقين ذاتين لحلاوته — لما كدحوا للدنيا التي تزول عنهم ويزولون عنها مضطرين ؛ فلو أنهم كانوا على تلج^(٥) من النفس ، ويقظة من العقل ، وأستبصار من القلب ، وسكون من البرهان ، لما تعجلوا هذه اللذات المنقوصة ، والأوطار الفاضحة ، والشهوات الخسيسة ، مع التبعات الكثيرة والأوزار الثقيلة ؛ ولا عجب فإنه إذا كانت الركاكة^(٦) المائقة تمنع الإنسان

(١) هنا في الأصل راء وجب بعد قوله « لا » ولعلها زيادة من الناسخ .

(٢) غلام زحل : لقب لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن كان متجلا حذا ، توفي سنة ٣٧٦ .

(٣) في الأصل « بكس » بالسين . وقد ورد اسمه في أخبار الحكماء لتقطعي بالسين .

(٤) ابن قوسين : طبيب مشهور في زمانه ، كان يهوديا وأسلم ، وعمل مغالة في الرد على اليهود .

(٥) تلج النفس : راحتها وإطمئنانها وسكونها إلى الشيء .

(٦) الركاكة : الضعف . أو لعل صوابه : « الزمالة » إذ الركاكة كثيرا ما تستعمل في ضعف العقل والرأي . والمراد هنا ما يحس البدن ، كما يقتضيه سياق ما يأتي .

من الصَّوَرِ والمُتَغَيَّرِ ، ومن سرعة الخطو ، لأن الحركة قد بطلت بالزَّكَاةِ الداخلة عليه في أعضائه وآلاته ، فأئى عجب من أن تكون النفس التي أَسْتَعْبَدَتْهَا الشهوات الغالبة ^(١) ، والعقيدة الرديئة ، والأفعال القبيحة مَعْقُوفَةٌ مَمْنُوعَةٌ من الصعود إلى مَعَانِي الدَّلَالَةِ وتَحَارِقُ النجوم وعالم الرُّوح ومَقْعَدِ الصِّدْقِ ومَقَامِ الأَمْنِ ومَحَلِّ الكَرَامَةِ ومَرَادِ الخُلْدِ وبلد الأبد ومعانٍ ^(٢) السَّريَّةِ .

(٤) قال : هذا كلام تام ؛ وسأسألك بعد هذا عن النفس وما تَحْفَظُ عنهم فيها لكن تَمَّ لى ما كُنَّا فيه ، كيف عِلِّمُ أبى سليمان بالنجوم وأحكامها ؟ قلت : لا يتجاوز التقويم . ثم قال : فما تقول فى الأحكام ؟ قلت : أنشئت منذ أيام : علم النجوم على العقول وبال وطلاب حق لا يُنال محال

وقلت أيضا : علم الأحكام لا يجوز فى الحكمة أن يكون مدركا مكشوفاً مخاطباً به معروفا ؛ ولا يجوز أن يكون مقنوطاً منه مطرَحاً مجھولاً ؛ بل الحكمة توجب أن يتوسط هذا الفن بين الإصابة والخطأ حتى لا يُسْتَفْتَى عن القِيَادِ ^(٣) بالله أبداً ، ولا يقع اليأس من قبله أبداً ؛ وعلى هذا سخر الله الإنسان وقِيَضَ ^(٤) وخيَّرَه بين الأمور وفوضه ؛ ومنَعَ ^(٥) من الثقة والطمأنينة إلا فى معرفته وتوحيده وتقديسه وتمجيده ، والرجوع إليه ؛ انظر إلى حديث الطب فإنَّ عنده الصناعة تَوسَّطَتِ الصَّوَابَ والخطأ ، لتكون الحكمة سارية فيها ، واللطف مَهْوداً بها ؛ لأن الطب كما يَرَأَى به العليل ، قد يَهْلِكُ معه العليل ؛ فليس بسبب أن بعض

(١) « المألوية » .

(٢) اللسان : للنزل .

(٣) « الكيام » .

(٤) فى الأصل : « وقِيضَ له » ، واللام زيادة من التاسخ .

(٥) ورد فى الأصل قبل هذه الكلمة « حاء وياء » ولم تتبين الصواب فيهما ؛ ولعلهما

من زيادات التاسخ لاستقامة الكلام بهنهما .

الدَّبَرَيْنِ بالطَّبِّ هَلَكٌ لَا يُبْنَى أَنْ يُنْظَرَ فِي الطَّبِّ ؛ وَلَيْسَ بِسَبَبِ أَنْ بَعْضَ الْمَرْضَى
 بِرَأٍ بِالطَّبِّ وَجِبَ أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهِ ؛ أَنْظِرْ إِلَى هَذَا التَّوَسُّطِ فِي هَذِهِ الْحَالِ لِيَكُونَ
 التَّدْبِيرُ الْإِلَهِيُّ وَالْأَمْرُ الرَّبُّوبِيُّ نَافِذَيْنِ فِي هَذِهِ الْخَلَائِقِ بِوَسَاطَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ؛
 وَلِتَكُونَ لِلصَّلَاحَةِ بَالَتَهُ غَايَتَهَا ؛ وَهَذِهِ سِيَاسَةُ دَارِ الْقَنَاءِ ، الْجَامِعَةُ لِسُكَّانِهَا عَلَى
 الْبَأْسَاءِ وَالنَّهْمَاءِ ؛ وَهَكَذَا ، فَانْظُرْ إِلَى حَدِيثِ الْبَحْرِ وَرُكُوبِ الْبَأْسِ الْمُتَيَقِّنِ فِيهِ ،
 وَجُوبِ الطُّولِ وَالْعَرَضِ وَإِصَابَةِ الرِّيحِ ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ ، كَيْفَ تَوَسَّطَ بَيْنَ السَّلَامَةِ
 وَالْعَطَبِ ، وَالنَّجَاةِ وَالْهَلَكَةِ ، فَلَوْ أَسْتَمَرَّتِ السَّلَامَةُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْ يَفْرِقُ
 وَيَهْلِكُ ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَامَّةٌ ؛ وَلَوْ أَسْتَمَرَّتِ الْهَلَكَةُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْ
 يَسْلَمُ وَيَنْجُو ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَامَّةٌ ؛ فَالْحِكْمَةُ إِذَا مَا تَوَسَّطَ هَذَا الْأَمْرُ
 حَتَّى يُشْكِرَ اللَّهُ مَنْ يَنْجُو ، وَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ مَنْ يَهْلِكُ . قُلْتُ : وَبَعْدَ هَذَا فَبِذَا
 الْعِلْمِ ^(١) حَوِيسَ غَامِضٍ عَمِيقٍ ، وَقَدْ قَدَّ الْعُلَمَاءُ بِهِ ، لِللَّهِمُونَ فِيهِ ؛ وَمَمُولُ أَهْلِهِ
 عَلَى الْحَدْسِ وَالظَّنِّ ، وَعَلَى بَعْضِ التَّجَارِبِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَكْذِبُ مَرَّةً وَتَصْدُقُ
 مَرَّةً ؛ وَبِالصَّدَقِ يَمُوتُ الْإِنْسَانُ ، وَيَا لِكُذْبِ يَعْرِى مِنْ فَوَائِدِهِ ؛ فَالْنَقْصُ قَدْ
 دَخَلَهُ ، وَالْخَلَلُ قَدْ شَمِلَهُ ؛ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يُوَهَّبَ لَهُ زَمَانٌ عَزِيزٌ ، فَوَرَاهُ مَا هُوَ
 أَمُّ مِنْهُ وَأَجْدَرُ ، وَأَرْشَدُ وَأَهْدَى .

(٥) قَالَ : هَذَا حَسَنٌ ، حَدَّثَنِي بِالنِّبْيِ أَفَدْتَ الْيَوْمَ . قُلْتُ : قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ :
 الْعِلْمُ صُورَةُ الْمَعْلُومِ فِي نَفْسِ الْعَالِمِ ، وَأَنْفُسُ الْعُلَمَاءِ عَالِمَةٌ بِالْفِعْلِ ، وَأَنْفُسُ الْمُتَعَلِّمِينَ عَالِمَةٌ ^(٢)
 بِالْقُوَّةِ . وَالتَّعْلِيمُ هُوَ إِيرَازُ مَا بِالْقُوَّةِ إِلَى التَّعْمَلِ . وَالتَّعْلَمُ هُوَ بَرُوزُ مَا هُوَ بِالْقُوَّةِ إِلَى
 التَّقْلِيلِ . وَالنَّفْسُ الْفَلَكِيَّةُ عَالِمَةٌ بِالْفِعْلِ ، وَالنَّفْسُ الْجَزْئِيَّةُ عَالِمَةٌ بِالْقُوَّةِ ؛ وَكُلُّ

(١) يريد علم النجوم وأحكامها .

(٢) في الأصل : « علامة » .

نفس جزئية تكون أكثر معلوماً وأحكم مصنوعاً فهي أقرب إلى النفس الفلكية تشبهاً بها ، وتصيراً لها^(١) .

- (٦) قال : هذا في الحُسن نهاية ، وقد أكتهل الليل ، وهذا يحتاج إلى بدء زمان ، وتفرغ قلب ، وإصغاء جديد . هات خاتمة المجلس . قلت له : قرأنا يوم الجمعة على أبي عبيد الله للرزباني لعبد الله بن مُصعب :

إِذَا أَسْتَمَعْتُ مِنْكَ بِلَحْظِ طَرْفٍ حَتَّى نَصَفَى وَمَاتَ عَلَيْكَ نَصْفِي
تَلَذُّدُ مَقَلَّتِي وَيَذُوبُ جِسْمِي وَعَيْشِي مِنْكَ مَقْرُونٌ بِحَتْفِي
فَلَوْ أَبْصَرْتُ قِيَّ وَالْإِيلَ دَاجٍ وَخَذِي قَدْ تَوَسَّطَ بَطْنُ كَتْفِي
وَدَمْعِي يَسْتَهْلُ مِنَ الْمَآقِي إِذَا لَرَأَيْتَ مَا بِي فَوْقَ وَصْفِي
وَأَنْصَرَفْتُ .

الليلة الثالثة

- (١) قال لي ليلة أخرى : حدثني أبو الوفاء عنك حديث الخراساني ، فأريد أن أسمعه منك . قال : كنت قائماً عشية على زُنبيرة^(٢) الجسري [الجانب] الشرقي والحاج يدخلون ، وجماعهم قد سدت عرض الجسر — أنتظر جوازها وخفة الطريق منها ، فرأيت شيخنا من أهل خُراسان ذَكَرَ لي أنه من أهل سَنجَان^(٣) وأقام خلفَ الجمال يسوقها ، ويحفظ الرجال ألقى عليها ، حتى نظر إلى الجانب الغربي

(١) يقال : تصير أياه : إذا نزع إليه في شبهة .

(٢) في الأصل زُبيرة والزُبَيْرِتان هما السفيتان اللتان في الجسر في الجانب المرقى من

بغداد يمر عليهما السالكون كما في عيون الأتبا ١/١٧٩ .

(٣) في الأصل : « سحاب » ؛ ولم نجد هذا الاسم فيما راجعناه من الكتب للؤلؤة

في أسماء البلاد . وسنجان : قرية بمر .

فرأى الجذع عليه ابنُ بَقِيَّة — وكان وزيراً صلبه للملك لذنوب كانت له — فقال :
لا إله إلا الله ، ما أعجب أمور الدنيا وما أقلُّ المفكر في غيرها وغيرِها ، ضد
الدولة تحت الأرض وعلوه فوق الأرض ! .

قال : هكنا حدثني أبو الوفاء ، ولذلك أستأذنتُ في دفنه ، وكان كلام
الشيخ سبباً في ذلك .

(٢) قال : بلغني أن أبا سليمان يزور في أيام الجمعة رسلَ سجستانَ لَمَّا ^(١) ويظلُّ
عندهم طاعماً ناعماً ، ويأنسُ بأنك معه ، فمن يحضر ^(٢) ذلك المكان ؟ قلت : جماعة ؛
وأخبر من كان في هذا الأسبوع للماضي ابنُ جَبَلَةَ الكاتب ، وابنُ برمويه ^(٣) ، وابنُ
الناظر ^(٤) أبو منصور وأخوه ، وأبو سليمان وبندار ^(٥) الغني ^(٦) وغزال الراقص ، وعلم ^(٧)
وراء الستارة . فقال : ما الذي حفظت من حديث ^(٨) عنهم ، وما يجوز أن يلقي
إلينا منهم ؟ قلت : سمعتُ أشياء ، ولست أحبُّ أن أسميَ نفسي بنقل الحديث
وإعادة الأحوال فأكون غامزاً وساعياً ومفسداً . قال : معاذ الله من هذا ، إنما
تدلُّ على رشد وخير ، وتُضِلُّ ^(٩) عن غيٍّ وسوء ، وهذا يلزم كلَّ من آثر الصلاح
الخاصَّ والمأمَّ لنفسه وللناس ، وأعتقد الشفقة ، وحسَّ على قبول النصيحة ؛ والنبيَّ

(١) الم : الجمع ؟ يريد أنه يزورهم مجتمعين .

(٢) « يحضر » .

(٣) في الأصل : « ابنُ زمويه » ، وقد ورد ذكر ابن برمويه في كتاب ذيل تجارب
الأمم ؛ وهو الحسن بن برمويه ، كان كاتباً لوالته مصمم الدولة وكان ممن تأمره على الإيقاع
بإبن سمدان وقتله ، ثم استوزر ابن برمويه لمصمم الدولة مشتركاً في الوزارة مع أبي القاسم
عبد العزيز بن يوسف .

(٤) في الأصل : « ابن الناظر » ، وهو من رجال مصمم الدولة .

(٥) في الأصل : « يكنان » ؛ وهو تحريف .

(٦) « للفقى » .

(٧) علم : اسم جارية .

(٨) في الأصل : « حديثنا » والثون والألف زيادة من الناسخ .

(٩) « تضل » .

صلى الله عليه وسلم قد سمع مثل هذا وسأل عنه ، وكذلك الخلفاء بعده ، وكلُّ أحد محتاج إلى معرفة الأحوال إذا رجع إلى مرتبة عالية أو محطولة . فقلتُ وجدتُ ابنَ برمويه ^(١) يذكرُ أشياء هي متعلقة بجانبك ، ويرى أنها لو لم تكن لكان مجلسك أشرف ، ودولتك أعز ، وأيامك أطوم ، ووليّك أحد ، وعدوك أكث . قال ^(٢) : ما هذا الاسترسالُ كُلُّه [إلى] ابنِ شاهويه ^(٣) ؟ وما هذا الكلفُ بهرام ^(٤) ؟ وما هذا التعصّبُ لابنِ مكين ^(٥) ؟ وما هذا السكونُ إلى ابنِ طاهر ^(٦) ؟ وما هذا التمويلُ على ابنِ عبدان ^(٧) ؟ وما من هؤلاء أحدٌ إلّا يرش ^(٨) عدوه ويثيره ويضلُّ صاحبه ويُقويه ^(٩) . أما ابنُ شاهويه فشيخُ إزرء ^(١٠) وصاحبُ محرقة ^(١١)

(١) « زمويه » .

(٢) قال ، أى ابنِ برمويه المحدث عنه .

(٣) ابنُ شاهويه هذا هو غير ابنِ شاهويه الفقيه الذى مر ذكره في مقدمة الكتاب . أما هنا فكان علامة كبريا من عمالِ مصمم الدولة ، قام بالدعوة له ببيان حق أذعنت له سنة ٣٧٤ ، ثم غضب عليه مصمم الدولة وجبسه مع ابنِ سعدان ، ثم نجما من القتل بأعبوية ، ثم عفى عنه سنة ٣٧٥ .

(٤) هو أبو سعيد بهرام بن أردشير ، كان من رجالِ مصمم الدولة ، وكان صديقا لابنِ سعدان . يقول ابنُ سعدان في وصفه : « إني أرى حديثه آتق من اللئى إذا أدركت والدنيا إذا ملكت ، وإن تمازجنا بالغفل والروح والرأى والتدبير ... ليزيد على حال توأمين تراكضا في رحم وتراضا من مدى ونوشيا في مهد » . وقد قبض عليه مع ابنِ سعدان وقتل معه سنة ٣٧٥ .

(٥) في الأصل « ابنُ مكيناج » والجمع زائدة ، وما أثبتناه عن ذيلِ تجارب الأمم وقد كان أبو علي بنِ مكين صاحب ديوان الخزانة لمضد الدولة كما عمل من بعده لمصمم الدولة . (٦) هو أبو عبد الله بن طاهر ، كان نائبا عن أبي نصر ساپور كما كان من رجالِ مصمم الدولة قتل سنة ٣٨٠ .

(٧) « ابنِ عمان » .

(٨) يرش عدوه الخ كناية عن هويته للعدو وإعاقته على النكاية ، وأصله من راش السهم يرشه إذا ألقى به الريش ليكون أسرع إلى الهدف .

(٩) في الأصل : « يصل صاحبه ويقويه » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(١٠) الإزرء : الفس والتليس . يقال : أزرى به إذا أدخل عليه أمرا يريد أن يلبسه عليه .

(١١) المحرقة : الحق والكذب .

وكذب ظاهر، كثير الإيهام، شديد التمثية، لا يرجع إلى وُد صادق، ولا إلى عقد صحيح وعهد محفوظ؛ وإنما كان الماضي يقربه لفرض كان له فيه من جهة هؤلاء المحرّين القرامطة، وكان أيضاً مذكوم^(١) الهيئة، فكان لا يَنْبَس^(٢) إلا بما يقوّيه ويحرّسُ حاله، واليوم هو رَخِي اللَّبَب^(٣)، جاذب لكل سبب؛ وليس هناك كفاية ولا صيانة^(٤) ولا ديانة ولا سرودة؛ وبعد، فهو مشنوم نَكْد، ثقيل الرّوح، شديد البُهت^(٥) قوله الإفساد وعادته تأجيل^(٦) للهُنأ والشّهانةُ بالسائر^(٧) والتشفي من اللنكوب.

وأما جُزَام فرجل مجوسىّ معجّب ذميم، لا يعرف الوفاء ولا يرجع إلى حفاظ، غرضه^(٨) أن يتبجّع في الدنيا بجاهه، ولا يبالي أين صار بماقبتة؛ وهو يَحْضُ^(٩) مع ذلك عليه في كل ما هو مديره ومدبّره.

وأما ابن مكينا، فرجل نصرانيّ أرعن خسيس، ماجاء يوما بخير قطّ لا في رأى ولا في عمل ولا في توسط؛ وأصحابنا يلقّبونه بققا وهو «منهمك»^(١٠)

(١) مذكوما بالهيئة.

(٢) ينبس: يتكلم.

(٣) رخي اللب، أى متنع الحال. وهو مجاز؛ وأصل اللب ما يهد من سيور السرج في البة من صدر البابة لينع استئثار الرجل.

(٤) «صناعة».

(٥) البهت: الكذب والباطل.

(٦) في الأصل: «تعجيل» وسياق السلام يقتضى ما أمّنتنا. وللهنأ مصدر ميمي.

(٧) «بالنار»؛ وهو تصنيف.

(٨) «مرسته».

(٩) يحض مع ذلك الخ، أى يغرى الناس بالوزير ويفسد قلوبهم عليه.

(١٠) وردت هذه البارة في الأصل بحرفة الحروف، سهل أكثرها من النقط؛ وما أمّنتاه أقرب إلى الرسم الوارد في الأصل، كما أن سياق الكلام الآتى يقتضيه.

بين الذائذ « ههُ أن يتحصى دَنَّ الشراب في نَفْسٍ أو نَفْسِينَ ، ثم يسقط كالخِذع اليابس لا لسان ولا إنسان .

وأما ابن طاهر فرجل يدعى للناس أَنَّهُ لولا مكانته وكفايته وحسبه ورأيه ومشورته لكانت هذه الوزارة سرايا ، وهذه للملكة خرابا ؛ هذا مع الشر^(١) الذي في طبعه وعادته ؛ فإن جرى خيرٌ أُنْتَحَلَ ، وزعم أَنَّهُ من نتائج رأيه^(٢) ؛ وإن وقع شرٌ عصبه برأس صاحبه ، وادَّعى أَنَّهُ استبد^(٣) به ؛ ومع هذا فهو يعيب^(٤) هذه المرأة .

وما أدرى كيف أَسْتَكْفَى^(٥) هذه الجماعة حوله ؟ وكيف يُظَاهَر^(٦) هو بها ويسكن إليها ؟ وما فيهم إلا من وَكَّده الرجس والإفساد والأخذ بالمصانعة وإغراء الأولياء بما يعود بالوبال على البرى والسقيم وعلى الزكى والظنين^(٧) ؛ هؤلاء سباع ضارية ، وكلاب عاوية ؛ وعقارب لساعة ، وأفاع نهباشة ، وفي الله هذا الإنسان العر^(٨) المبارك الكريم الرحيم ، فإنه شريف النفس طاهر الطوية^(٩) ، لئن المريكة ، كثير البيانة ، وهذه أخلاق لاتصلح اليوم مع الناس ، قال الشاعر^(١٠) :

ومن لا يَذُدُّ عن حوضه بسلاحه يهدمُ ومن لا يظلم الناس يظلم
وقال :

ومن لا يَذُدُّ عن حوضه الناس أو يكن له جانب يشتدُّ إنْ لَان جانبُ

(١) « السر » .

(٢) « حاج زلته » .

(٣) « أسيد » .

(٤) في الأصل : « عيب لهذه » .

(٥) « استكفيت » والهاء زيادة من الناسخ .

(٦) يظاهر : يماون .

(٧) الزكى : الطاهر النقي . والظنين : التهم .

(٨) « الحير » .

(٩) « طاهر الخوة » .

(١٠) الشاعر زهير بن أبي سلمى .

يَطَّأُ حَوْصَه السُّتُورِدُونَ وَتَنْشَهُ شَوَائِبُ لَا تَبْقَى عَلَيْهَا النِّقَائِبُ^(١)
وما ضاع قولهم : لَا تَكُنْ حُلُومًا فَتُوكَلَّ ، وَلَا مَرًّا فَتُتَافَ . لَيْسَ الْحَذَرُ بَقِي^(٢)
فَكَيْفَ أَتَهُورُ ، أَهْمُنَا لِحَى تُسَحَّبُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَطَوَارِقُ تُتَوَقَّعُ كُلَّ لَيْلَةٍ ! وَالتَّوَكُّلُ
وَالْأَسْتِسْلَامُ يَلِيقَانِ^(٣) بِأَهْلِ الدِّينِ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ؛ فَأَمَّا أَصْحَابُ الدُّنْيَا وَأَرْبَابُ
الْمُرَاتِبِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَدْعُوا الْمُوِينَا جَانِبًا ، وَيَشْتَرُوا لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ ؛ وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ
وَيَكُونُ ضَرْمُهُمْ أَكْثَرُ ، وَشَرْمُهُمْ أَغْلَبُ ؛ وَزَهَبَتِ خَيْرٌ مِنْ رَحْمَتِ .

ولهذا قال الأعرابي :

أَنَا الْعَلَامُ الْأَعْسَرُ الْخَيْرُ فِيّ وَالشَّرُّ
وَالشَّرُّ فِيّ أَكْثَرُ

وهذا معنى بديع ، وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ الْبِدَاءَ بِالشَّرِّ خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنِّي أَتَقَيُّ
بِالشَّرِّ ، وَإِذَا أَجْبَلَ الشَّرَّ قُلْتُ لَهُ : مَرْحَبًا ، وَأَدْفَعُ الشَّرَّ وَلَوْ بِالشَّرِّ ، وَالْحَلِيدُ
بِالْحَلِيدِ يُفْلِحُ^(٤) . وَقَدْ قَالَ الْآخَرُ^(٥) :

وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانُ

وقال ابن دارة :

إِذَا كُنْتُ يَوْمًا طَالِبَ الْقَوْمِ فَأُطْرَحُ مَقَالَتُهُمْ وَأَذْهَبَ بِهِمْ كُلُّ مَذْهَبٍ
وَقَارِبُ بَنِي حِلْمٍ وَبَاعِذُ بِجَاهِلٍ جَلُوبٌ عَلَيْكَ الشَّرُّ مِنْ كُلِّ جَلْبٍ
فَإِنْ حَدِّثُوا^(٦) فَأَقْسُوا وَإِنْ هَمَّ تَقَاعَسُوا لَيْسَتْ مَسْكُوتًا مِمَّا يَرِيدُونَ فَأُحْذَبُ

(١) شَوَائِبُ ، أَيُ عِيُوبٌ تَخَالُفُ أَخْلَاقَهُ . وَالنِّقَائِبُ : السَّيِّئَاتُ وَالْأَخْلَاقُ ، الْوَاحِدَةُ نَقِيبَةٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « لَيْتَ الْخُذْرُوقِي » وَقَوْلُهُ بِمَدِّ « فَكَيْفَ » الْخُ يَفْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ .

(٣) « يَلِيقَانِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) « يَفْلِحُ » يَنْتَقِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « نَجَاةٌ لَكَ » وَقَوْلُهُ « لَكَ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) حَدِّثُوا : مِنَ الْحَدِيثِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ خُرُوجُ الظَّهْرِ وَدُخُولُ الصِّدْرِ وَالْبَطْنِ .
وَالْقَسُّ بِالتَّحْرِيكِ : عَكْسُهُ .

وإن حلبوا خَلْقِينَ^(١) فأحلب ثلاثة وإن ركبوا يوما لك الشر فاركب
وقال الحاج بن يوسف أبو محمد — وهو من رجالات العرب وقد قهر العجم
بالدهاء والزكاة — « لو أخذتُ من الناس مائة ألف ، كان أرضى عني من أن
أفرق فيهم مائة ألف ». كان الناس بالأمس مزمومين^(٢) مخطومين ، يقوم كل واحد
بنفسه على نفسه ، ويتهم غده لما جناه في أمسه ؛ لأن المال السعيد ساسهم ،
وقوم زينهم ، وقلم أظفارهم ؛ وشغلهم بالحاجة عن البطر والأشر ، وبالكفاية
عن القلق والضجر ؛ وتقدم^(٣) إليهم بترك الخوض فيما لا مرجوع له بخير ؛
وكانوا لا يشكرون الله على نعمته عليهم به ، وإحسانه إليهم بمكانه ، فسليوهم
فتنفس خناقهم ، وأوسع نطاقهم ، فامتطى كل واحد هواه ، وبوشك أن يقع
في مهواة .

قال : وههنا أشياء أخرى غير هذه ، ولكن من يسمع ويقبل ؟ ومع هذا
فالأمور صائرة إلى مصايرها ، كما أنها صادرة عن مصادر ها .

فقال له ابن جبلة : ما عندى إلا أن الوزير — أبقاه الله — عارف بهم
ومستبطن لأمرهم ؛ مع العشرة القديمة ، والملازمة للتصلة ، والخبرة الواقعة ؛
ولكن [لا بد]^(٤) لمن كان في محله ورفعته من جماعة يقر بهم ، ويرجع إليهم
ويسمع منهم ، وينظر بأعينهم ، ويصغي بأذانهم ، ويتناول بأيديهم . فقال له
مجاوبا : إن كان عارفا^(٥) بهم ، ومستبطنا لأمرهم ، وخيرا بشأنهم ؛ فلم سلطهم
وبسطهم ، وحدد أنيابهم ، وقوى أسنانهم ، وفتح أشداقهم ، وطول أعناقهم

(١) الخلف : الضرع .

(٢) في الأصل « مرمومين مخطومين » ؛ وهو تحريف . وسياق الكلام الآتي يدل
يقتضى ما أمينا . ومزمومين مخطومين ، من الزمام والخطام .

(٣) تقدم إليه بكذا أمره به .

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ولا تعطى البارة بدونها .

(٥) « قارفا بهم مشكبتنا » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

وقطّع أربابهم ؛ وأبطرهم فأسكرهم ، حتى صاروا يجهلون أقدارهم ، وينسون ما كانوا فيه من القلة والذلة ؟ هلاً^(١) رتب كل واحد منهم فيما تظهر به كفايته ولا يرفعه إلى ما يظن معه الظن الفاسد ، ولم يضحك في وجوههم ، وبنقى^(٢) على جنائهم ؟ أما بلغه أن ابن يوسف قال^(٣) : تشبّه بأبن شاهويه لأنه قد أعدّه للهرب إلى القرامطة إن دمه أمر ؟ وأنسه بهرام إنما هو لاستمداد^(٤) الفساد منه وتقديمه لابن طاهر للسرقة على يده ، وفرحه بأبن مكينا^(٥) للسخرة به وتقريبه لابن الحجاج للسنف ، ولتجه بأبن هرون للهزء واللبس .

قال له ابن جبلة : من أراد أن يحسن القبيح عند رضاه ، ويقبح الحسن عند سُخطه فعَل ، ولا يخلو أحد تهب ريحه^(٦) ، ويعلو شأنه ، ويتقدُّ أمره ونهيه من حاسد وقار^(٧) ، ومُدخل ومُرَجِف ، على هذه الأمور بُنيت الدار ، وعليها جرت الأقدار ، إن كنت تنكر هذا الرهط ، فأعرف له^(٨) الرهط الآخر ؛ فإنك تعرف بذلك حُسن اختياره وجَميل انتقائه ومحمود رأيه .

قال : من هم ؟ قال : أبو الوفاء المهندس ، وابن زرعة المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، ومسكويه ، والأهوازيّ والمسجدى فأين^(٩) هؤلاء النامطة^(١٠) ؟

(١) « على » .

(٢) « بنقى » .

(٣) « طال » .

(٤) « الاستمداد » .

(٥) « ابن مكيناج » .

(٦) تهب ريحه : كناية عن نهوض الحظ وقيام الدولة .

(٧) قارف ، أى كاذب ظالم . والمدخل : العائب ، من التدخل بالتحريك وسكون الحاء

بمعنى السب .

(٨) له ، أى للوزير .

(٩) « فالآن » .

(١٠) النامطة : الذين لا يشكرون النعمة . ويشير بهذا الوصف إلى الجماعة اللصم ذكرهم

وهم ابن شاهويه وبهرام الخ . يريد أين هؤلاء من هؤلاء .

قومٌ منهم أن يأكلوا رغيفا ويشربوا قدحا ، لأمٌ ممن يُقتبس من عليهم
ولامٌ ^(١) يتكفون له نصحا ، وهيبته ^(٢) تنوهم عن ذكر شيء في الدولة من تلقائهم
إلا أن يكون شيء يتعلق بهم على معنى خاص ؛ فهو ينود ^(٣) هكذا وهكذا حتى
يبلغ منهم ما قدر عليه .

فلما سمع الوزير هذا كله قال : سألتني إليك في جواب هذه المسألة ما تخدمني
به إن لاقيتهم في مجلس آخر على وجه يُخفي ^(٤) أنك له ملقن مُحَكِّل كأنك
سأله عنه غير حافل به ؛ وقد تقطع الليل ، ويحتاج في هذا الحديث إلى استئناف
زمان ، بعد استيفاء حِجام ؛ ثم أنشدت قول الشاعر :

إني لأصفح عن قومي وألبسهم على الضائن حتى تبرأ البئر

ثم قال : ما المثير ؟ قلت : هي الضائن التي ذكرها في خشو البيت ، واحداها
مِثْرَةٌ ، كأنه أراد وألبسهم على الضائن [حتى تبرأ الضائن ^(٥)] فرجع من لفظ إلى
لفظ ضرورة القافية لما كان معناها واحدا ؛ قال : لمن هذا البيت ؟ قلت : لا أخفظ
أسمَ شاعره ، ولكن أخفظ منه أبيتا . قال : هاتبا ؛ فأنشدت أول ذلك :
يأئبها الرجل المزجي أذيتَه ^(٦) هل أنت عن قولك الموراء مزدجرُ
إني إذا عدَّ مِبْطَلًا ^(٧) إلى أمد لا يستطيع حِضاري للقرف البطرُ ^(٨)

(١) « لا هو » .

(٢) « عتقهم » .

(٣) ينود : يحرك ويقلب . والمراد أنه يلوِّح هكذا وهكذا بالكلام .

(٤) « الخفي » .

(٥) هذه البارة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، ولا يستقيم الكلام بدونها ، فإن

قوله : « وألبسهم على الضائن » من لفظ البيت ، فلا يصح أن يقال فيه : « كأنه أراد » .

(٦) « أذيتَه » .

(٧) « مد مبطاء » .

(٨) الحضار ، بكسر الحاء والمخاضرة : اللقالب في الحضر بضمها ، وهو المد والسرير .

لاقى قتاتى مصراراً عَشَوَزَةً^(١) لا قادح قد تبناها ولا خور
إنى لأصنع عن قومي وألبسهم على الضفان حتى تبرا المنور
قال : أكتبها . قلت : أفضل ، وأنصرف ، فأعاد على بعد ذلك شيئاً مما كان .

الليلة الرابعة

(١) قال لى بعد ذلك فى ليلة أخرى : كيف رضاك عن أبى الوفاء^(٢) ؟ قلت :
أرضى رضا بآتم شكر وأحد ثناء ؛ أخذ يلى ، ونظر فى معاشى ، ونشطنى
وبشرنى ، ورعى عهدى ، ثم ختم هذا كله بالنعمة الكبرى ، وقعدنى بها القلادة
الحسنى ، وشملنى بهذه الخدمة ، وأذاقنى حلاوة هذه اللزىة ، وأوجهنى عند نظرائى .
قال : هات شيئاً من النزل . فأنشده :

كلانا سواء فى الهوى غير أنها تجلّد أحياناً وما بى تجلّد

== والمفر من الحيل : ما أمه مربية وأبوه أعجمى . والبطر بكسر الطاء : من البطر بالبحريك ؛
وهو هنا بمعنى التبحر والعمش والانهيار . يريد أنه يبحر ويهش حين يسابق أسرع منه فيقصر
عن مسابقته بسبب ذلك . ويقال للبعير القطوف إذا جرى جرياً واسع الخطو قصرت خطاه عن
مباراته : « قد أبطره ذرعه » أى حمله على أكثر من طوقه .

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

لاقى قتاتى مصراراً عسورة لا قادح قد تبناها ولا خور
وفى ببنى ألقاظه تحريف ظاهر . ومصراراً ، أى ذات صرر ، أى صوت . والعرب يصفون
القناة الجيدة بأنها تصوت عند غزها ، كما يدل على ذلك بيت عمرو بن كلثوم الآتى . والعشوزة :
الصلبة الشديدة اللزقة ، قال عمرو بن كلثوم يصف قاة :

عَشَوَزَةٌ إِذَا غُزِتْ أَرَّتْ تَشَجَّ قَهْلًا لِلتَّصَفِّ وَالْجِينَا

والتفادح : أكل يقع فى الشجر . والمصدع فى السود .

(٢) يريد أبى الوفاء للهندس ، وهو محمود بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس ، مولده
بيوزيان من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨ ، وانتقل إلى العراق سنة ٣٤٨ ، وكان إماماً فى الحساب
والهندسة والجبر والفلك ؛ توفى سنة ٣٨٧ كما فى ابن الأثير أوسنة ٣٨٨ كما فى تاريخ المسكباء .
وهو الذى ألف أبو حيان له هذا الكتاب .

تخاف وعيد الكاشحين وإنما جنوتى عليها [حين] أنهى وأبمد
ثم قال : غالب ظنى أن نصرا غلام خواشاذة^(١) ما هرب من فئائى إبراهيم^(٢)
وتجسيرك ؛ فإن ذلك عبد ، ولا جراءة له على مثل هذا التدود والتدود ، فقد
قال لى القائل : إنك من خلصانه .

قلت : والله الذى لا إله إلا هو ما كان بينى وبينه ما يقتضى هذا الأنس
وهذا الاسترسال ، إنما كنا نلتقى على زنبرية^(٣) باب الجسر بالشاى وعند
البيارستان وعلى باب أبى الوفاء ؛ وإنما ركنت إليه لمرقته^(٤) وتاسومته
عند ما كنت رأيته عند صاحبه بالرسم سنة تسع وستين وهو متوجه إلى
قابوس وجرجان ، فى اللذة الدائمة والحال للربوطة^(٥) ؛ ولو كبس لى بحرف
من هذا^(٦) ، أو كنت أشعر بأقل شيء منه ، لكنت أقوله لأبى الوفاء
قضاء لحقه ، ووفاء بما له فى عنق من مننه وخوفا من هذا الظن بى ، وقصورا
عن اللائمة لى .

قال : أفأترف أحدا تسأله عنه ممن كان يخالطه ويباسطه ؟ قلت :
ما رأيته إلا وحده ؛ ولم كان زمان التلاقى ؟ كان أقل من شهر ، أفى هذا
القدر يتوكد الأنس وترتمع الحشمة وتستحكم الثقة ويقع الاسترسال والتشاور ؟

(١) خواشاذة هو أبو نصر خواشاذة كان فارسيا من كبار رجال شرف الدولة البويهى
وكان سفيرا فى الاتفاق وعقد الصلح بين شرف الدولة وصمصام الدولة .

(٢) انظر تفسير هذا اللفظ فى الحاشية رقم ٢ صفحة ٤١ .

(٣) المرقعة : من لبس الصوفية ، لما فيها من الرقع . والتاسومة : كلمة شائعة الاستعمال
عند العامة فى نوع من النعال البالية يليه الفقراء ؛ ولم نجد فيها راجعاه من كتب اللغة ، كما
أنها لم ترد فيها بين أيدينا من الكتب للزلفة فى الألفاظ العامية والسخيلة .

(٤) لعله يريد بالربوطة فى هذا اللومع ، الواقعة عند حد من الفاقة لا تنتقل عنه .

(٥) من هذا ، أى من أمره به .

هذا بعيد . قال : هذا المتخلف^(١) كنتُ قد قرَّبته ورتَّبته ، ووعدته ومنَّيته ؛ وقدمت إلى أبي الوفاء بالإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وإذْ كَارَى بأمره في الوقت بعد الوقت ، حتى أزيده نباهة وتقديما ، فترك هذا كله وطوى الأرضَ كأنَّه هارب من جنس ، أو خائف من عذاب . ويقال في الأثر : إن بعض الصَّيِّحِينَ^(٢) قال : فهُ قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ، ما أكثر من يفر من هذه الكرامة ، ويقوى — على تَرْفِ جَمٍّ — على الهوان ، ويصبر على البلاء ، ويقلق في المافية ! إنَّ السجايا لختلفة ، وإنَّ الطباع لمتعادية ؛ قلما يرى شخصان يتساكلان في الظاهر إلا يتباينان في الباطن .

قلتُ : كذلك هو .

(٣) قال : حدثني لم أمتنع من النفوذ مع ابن موسى إلى الجبل فيما رَسَمْنَا له أن يتوجه فيه ؟ ولقد أطلتُ التعجب من هذا وكرَّرْتُهُ على أبي الوفاء .

قلتُ : معنى من ذلك ثلاثة أشياء : أحدها أن ابن موسى لم يكن من شكلي « ولا أشدَّ للصدِّ »^(٤) هونا^(٥) من مصاحبة الصدِّ^(٥) ، لأنَّه سوداوى وجَمَد . والآخر أنه قيل : ينبغي أن تكون عينا عليه ، وأنا لو قررت لك الحديث لما رأيته [لا تما^(٦)] بحالي ، فكيف إذا قرئتُ برجل باطل^(٧) لو مرَّ بوجهه أمرى

(١) يريد بالتخلف : هنا التلام الآبى ، لتخلفه عن متابعة مولاة .

(٢) الصيحيون : نسبة إلى الصيغ ، وهو من أسماء السوء ، يريد المتجدين المتسلفة قلوبهم بالعالم العلوى .

(٣) وردت هذه البارة التي بين هاتين اللامتين في الأصل معرفة لا معنى لها وما أثبتناه هو أقرب الحروف إلى الرسم الوارد في الأصل ، كما أن سياق الكلام يقتضيه .

(٤) الهون : القل والهوان .

(٥) « الصك » .

(٦) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها سافطة من الأصل ، ولله يريد أنه لو اكتفى بنقل حقيقة الحديث لما كان ذلك لامتا بحاله لا في هذا العمل من وصفه بالسعاية والوشاية .

(٧) يريد بالباطل أنه يأخذ بالشبهات والظنون الباطلة .

لَتَعْدَهَنِي^(١) من أعلى جبل في الطريق . والآخَرُ أَنِّي كنت أَقْدِمُ مع هذا كله على ابن عَبَّاد — وهو رجل أساء إليَّ وأوحشني ، وحاول على لسان صاحبه ابن شاهويه أَنْ أَقْلِبَ إِلَيْهِ ثَانِيًا ؛ وكنت أكره ذلك ، وما كنتُ^(٢) آمِنُ ما يكون منه ومَنِّي ، والمجنون^(٣) اللطاع ، مهروب منه بالطباع .

وبعد ، فليس لي [حَاجَةٌ] ^(٤) في مثل هذه الخدمة ، لأنَّ صدر العمر خلا مِنِّي عاريا من هذه الأحوال ، وكان وسطه أضعفَ سَمَلًا ، وأبعد من القيام به والقيام عليه .

فقال : ما كان عندي هذا كله .

قال : إِنِّي أريد أن أسألك عن ابن عَبَّاد فقد أُنْتَجَمَتِ وخبرته وحضرتَ^(٥) مجلسه ، وعن أخلاقه ومذهبه وعادته ، وعن علمه وبلاغته ، وغالب ما هو عليه ، ومغلوب ما لديه ؛ فإِذَا أُظُنُّ أَنِّي أَجِدُ مثلك في الخبر عنه ، والوصف له ، على أَنِّي قد شاهدته بِهَمْدَانٍ لَمَّا وَافَى ، ولكنتي لم أَعْجُمُهُ ، لأنَّ اللَّيْثَ كان قليلا ، والشَّغْلَ كان عظيمًا ، والمائقَ كان واقعا .

فقلت : إِنِّي رجل مظلوم من^(٦) جهته ، وعاتبٌ عليه في معاملتي ، وشديدُ النفيظ لحرمانِي ، وإن وصفته أُرَبِّيتُ^(٧) منتصِفًا^(٨) ، وانتصفتُ منه مسرِفًا^(٩) ،

(١) دعهه : دخرجه .

(٢) « وما أكتب » .

(٣) « والمجنون » .

(٤) موضع هذا اللفظ في الأصل حروف مطبوعة تتمنر قراءتها ، وسياق الكلام يقضي ما أُنْتَجَمَ أو ما يفيد معناه .

(٥) « أمر » .

(٦) أُرَبِّيتُ : زدت .

(٧) ورد في الأصل بعد هذه الكلمة لام وميم ؛ وللهما من زيادات النسخ ، لاستقامة الكلام بدونهما .

(٨) « مشتركا » ، وقد ورد بعد هذا الكلمة في الأصل حاء وياء ؛ وللهما من زيادات النسخ .

فلو كنت مُعتدل الحال بين الرضا والغضب ، أو عارياً منهما جملة ، كان الوصف أصدق ، والصدق به أخلق ؛ على أنى عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد أودعتها قسى النزير ، ولقضى الطويل والقصير ، وهى فى المسودة ولا جسارة لى على تحريرها ، فإن جانبه مهيب ، ولكره ديب ، وقد قال الشاعر :

إلى أن يغيب^(١) المرء يرجى ويُتقى ولا يعلم الإنسان ما فى الغيب

قال : دع هذا كله ، وأنسخ لى الرسالة من المسودة ، ولا يمنعك ذلك فإن العين لا ترمقها والأذن لا تسمعها واليد لا تنسخها .

وبعد ، فما سألتك إلا وصفه بما جُبِلَ عليه ، أو بما كسب^(٢) هو يديه من خير وشر ؛ وهذا غير منكر ولا مكروه ، لأمر الله تعالى ، فإنه مع علمه الواسع ، وكرمه السامع ، يصف الحسن واللىء ، ويُثنى على هذا ويُثَنُّ^(٣) على ذاك ؛ فأذكر لى من أمره ما خف اللفظ به وسبق الخاطر إليه وحضر السبب له .

قلت : إن الرجل كثير المحفوظ حاضر الجواب فصيح اللسان ؛ قد نتف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافاً ؛ والقالب عليه كلام المتكلمين المعترلة ، وكتابته مهجنة بطرائقهم ، ومناظرته مشوبة^(٤) ببارة الكتاب ؛ وهو شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين فى أجزائها كالمهندس والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والتدديد ؛ وليس [عنده]^(٥) بالجزء

(١) يغيب ، أى يموت . وفى الأصل « يمشى » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) « كتب » بالياء .

(٣) « ينثر على ذلك » ، أى يخبر عنه بذنوبه ، يقال : « تنا على فلان ذنوبه » ، إذا أخبر بها عنه وأشاعها .

(٤) « كنا فى معجم الأدياء . والذى فى الأصل : « مسترقة » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة التى بين مربعين فى الأصل ؛ ومكبتها كلمة مطبوعة بتصغر قراءتها .

الإلمى خبر ، ولا له فيه عين^(١) ولا أثر ؛ وهو حسن الصيام بالتروض والقوافي ؛
ويقول الشعر ، وليس بذلك ؛ وفي يديته غزارة . وأما رويته^(٢) فغزارة ؛ وطالعه
الجزءاء ، والشعرى قريبة منه ؛ ويتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية ، ولا
يرجع إلى الرقة والرأفة والرحمة ، والناس كلهم محججون عنه ، لجرأته وسلطته
واقتراره وبسطته ؛ شديد العقاب طفيف الثواب ، طويل العتاب ؛ بذىء
اللسان ؛ يعطى كثيرا قليلا (أعنى يعطى الكثير القليل) ، مغلوب بحجارة
الرأس ، سريع الغضب ، بسيد القيمة^(٣) قريب الطيرة ، حسود حقود
حديد ، وحسده وقف على أهل الفضل ، وحفده سار إلى أهل الكفاية ؛ أما
الكتاب والمتصرفون فيخافون سطوته ، وأما المنتجعون^(٤) فيخافون جفوته ؛
وقد قتل خلقا ، وأهلك ناسا ، ونفى أمة ، ونحوه وتسنتا وتجبرا وزهوا ؛ وهو مع
هذا يمدحه الصبي ، ويحلبه النبي ؛ لأن المدخل عليه واسع ، واللأني إليه
سهل ؛ وذلك بأن يقال : مولانا يتقدم بأن أعار شيئا من كلامه ، ورسائل
منشوره ومنظومه ؛ فما جبت الأرض إليه^(٥) من فرغاة ومصر وتغليس إلا
لأستفيد كلامه وأفصح به ، وأتلم البلاغة منه ؛ لكننا رسائل مولانا صور
قرآن ، وفقره فيها آيات فرقان ؛ واحتجاجه من ابتدائها إلى انتهائها برهان
فوق برهان ؛ فسبحان من جمع العالم في واحد ، وأبرز جميع قدرته في شخص .

(١) « جين ولا لير » .

(٢) كذا في معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٦ الطبعة الأولى . والقي في الأصل : « يديته »
ولا يستقيم مع العبارة السابقة .

(٣) « النية » . والتصحيح عن معجم ياقوت . والقيته : الرجة .

(٤) « للكنجفون » .

(٥) « إلا من فرغاة » وقوله « إلا » زيادة من النسخ .

فيلين عند ذلك ويلذوب ، ويلقى عن كل مهم له ، وينسى كل فريضة عليه ويتقدم إلى الخازن ^(١) بأن يُخرج إليه رسالته مع الورق ^(٢) والورق ويسهل ^(٣) له الإذن عليه ، والوصول إليه ، والتمكّن من مجلسه ؛ فهذا هذا .

ثم يعمل في أوقات كالعيد والفضل شِمرًا ، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنجم ، ويقول : قد نعلتُك هذه القصيدة ، امدحني بها في جملة الشعراء ، وكن الثالث من الهمج ^(٤) المُشْدِين ^(٥) . فيعمل أبو عيسى — وهو بغدادى محكك ^(٦) قد شاخ على الخدائع وتحنّك — ويُشْد ، فيقول له عند سماعه شعره في نفسه ووصفه بلسانه ، ومدحه من تحبيره : أعذ يا أبا عيسى ، فإنك — والله — مُجيد زه يا أبا عيسى والله ، قد صفا ذهنك ، وزادت قريحتك ، وتنقحت قوافيك ؛ ليس هذا من الطراز الأول حين أنشدتنا في العيد الماضي ، مجالسنا تُخرج الناس وتَهَب لهم الذكاء ، وتزيد لهم القطنة ، وتحول الكودن ^(٧) عتيقا ، والحمر ^(٨) جوادا ؛ ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة ستيه ؛ وعطية هنية ؛ وينيظ الجماعة من الشعراء وغيرهم ، لأنهم يلحون أن أبا عيسى لا يقرض مضراعا ولا يرن بيتا ولا يذوق عروضا .

قال يوما : من في الدار ؟ فهيل له : أبو القاسم الكاتب وابن ثابت ؛ ففعل

(١) « الخازن » .

(٢) يريد بأحد الورقين : الغرام للضرورة ، وهو يفتح الرأى وكسرهما .

(٣) كذا في سبج الأدياء ج ٢ ص ٢٧٧ الطبعة الأولى . والحق في الأصل : « وويلهم » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) « للهمج » ، وفي حروفه قلب .

(٥) « للفدين » وما أعتناه عن سبج الأدياء .

(٦) محكك ، أى يجرب مدرب .

(٧) الكودن : القرس المبيّن . والحق : عكسه .

(٨) الحمر : القرس المبيّن .

في الحال يبتين ، وقال لإنسان بين يديه : إذا أذنتُ لهذين فأدخلُ بعدها ساعة .
وقل : « قد قلت »^(١) يبتين ، فإن رسمتَ لي إنشادها أنشدتُ ، وأزعم أنك .
بُدِيتَ بهما ، ولا تجزع من تأفُّق بك ، ولا تجزع من نُكْرَى عليك ، ودفعَ
البيتين إليه ، وأمره بالخروج إلى الصحن ؛ وأذن للرجلين حتى وصلا ؛ فلما
جلسا وأنسا^(٢) دخل الآخر^(٣) على تقيئتهما^(٤) ، ووقف للخدمة ، وأخذ
يتلفظُ يرى أنه يقرضُ شعرا ؛ ثم قال : يا مولانا ، قد حضرني بيتان ، فإن
أنت أذنتَ لي أنشدتُ . قال : أنت إنسان أخرقُ سخيْف ، لا تقول شيئا ،
فيه خير ، اكفني أمرَك وشِعرك . قال : يا مولانا ، هي بديهي ، فإن نُكْرَتْنِي^(٥)
ظلمتني ؛ وعلى كلِّ حال فأسمع ، فإن كانا بارعين وإلا فسامِلني بما تحب^(٦) .
قال : أنت لجوج ، هات . فأنشد :

يأيتها الصاحب تاج الملا لا تجعلني نُهْرَةً الشامتِ
بملحدٍ يُكفني أبا قاسمٍ ومُجَبَّرٍ^(٧) يُعزِّي إلى ثابتِ

قال : فانتك الله ، لقد أحسنتَ وأنت مسمي . قال لي أبو القاسم : فكذتُ
أنتَقاً غيظا ، لأنِّي علمتُ أنه من قَمَلاته للمروفة ؛ وكان ذلك الجاهل لا يقرضُ .

(١) ورد في الأصل بعد قوله : « قلت » جيم وميم وهما زيادة من الناسخ ، لاستقامة الكلام بدونها ، ولأنهما لم يردا في مجسم الأدياء . ويلاحظ أن في هذه النسخة كتبنا من الحروف الزائدة .

(٢) كذا في مجسم الأدياء . والتي في الأصل : « موانسا » ؛ وهو تحريف .

(٣) « الأجر » وما أئتمناه من مجسم الأدياء .

(٤) « قيائتهما » ؛ وهو تحريف . « ودخل على تقيئتهما » ، أي على أثرهما . وتقيئة .

القيء : حينه وزمنه .

(٥) « تكسرتني » ؛ وهو تحريف . وفي مجسم الأدياء « كسرتني » .

(٦) « يجب » .

(٧) « مجبر » بفتح الميم ، أي منسوب إلى منهج المجبرة بالتحريك ، وم فرقة يقولون : ليس

ليس البعد قسرة ، وإن الحركات الإرادية بمثابة الرعدة والرعدة .

بيتا . ثم حدثني الخادم الحديث بنصفه .

والذي غَطَّه في نفسه وحمله على الإعجاب بفضله والاستبداد برأيه ، أنه لم يُعَبِّه قط بتخطئة ، ولا قبول بتسوية ؛ ولا قيل له : أخطأت أو قصرت أو لحت أو غلطت أو أخلت ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيِّدنا ، وصدق مولانا ، وفقه دؤره ، والله بلاؤه ، مارأينا مثله ، ولا سمعنا من يقاربه ، من (أبنُ عبدِ كان) مضافا إليه ؟ ومن (أبنُ ثوابه) مقيسا عليه ؟ ومن (إبراهيم بن العباس) الصولي [إذا جُمع بينهما] من (صريع النواني) من (أشجع السلمي) إذا سلك طريقهما ، ومتَّح برشائهما ، وقدَح بزَنْدِهما ؟ قد استدرِك مولانا على (الخليل) في التروض ، وعلى (أبي عمرو بن العلاء) في اللغة وعلى (أبي يوسف) في القضاء ، وعلى (الإسكافي) في الموازنة ، وعلى (أبنُ نُوبخت) في الآراء والذِّيانات ، وعلى (أبنُ مُجاهد) في القراءات ؛ وعلى (أبنُ جرير) في التفسير ، وعلى (أرسطوطاليس) في المنطق ، وعلى (الكِنْدِي) في الجزء^(١) ، وعلى (أبنُ سيرين) في العبارة ، وعلى (أبي العِثَاء) في البديهة ، وعلى (أبنُ أبي خالد) في الخط ، وعلى (الجاحظ) في الحيوان ، وعلى (سهل بن هرون) في الفقر ، وعلى (روحنا) في الطب ؛ وعلى (أبنُ رَبن) في الفردوس ، وعلى (عيسى بن دأب) في الرواية ، وعلى (الواقدي) في الحفظ ، وعلى (التجار) في البدل^(٢) ، وعلى (ابن ثوابه) في التنقيح^(٣) ، وعلى (السري السقطي) في الخطرات والوساوس ، وعلى (مزبد)^(٤)

(١) يريد الجزء الذي لا يجزأ ، وهو ما يسمى بالجوهر الفرد .

(٢) « ابن ربن » هو علي بن ربن كان طليبا مضمهورا ، ألف كتابا اسمه فردوس الحكمة ، وكان يهوديا ثم أسلم على يد المصم .

(٣) البدل : اسم كتاب في الكلام لأبي عبد الله الحسين بن محمد التجار .

(٤) في معجم الأدياء « وعلى بن ثوابه في التنقيح » .

(٥) هو أبو إسحاق يزيد اللذان اشتهر بنوادره للضحكة وبسرعة خاطر . ولطيف ملحه .

في النواذر ، وعلى (أبي الحسن الترويض) في أستخراج المعنى ، وعلى (نبي بركمك) في المجد ، وعلى (ذو الرياستين) في التدبير ، وعلى (سطيح) في السكّهانة ، وعلى (ابن الحنّيا خالد بن سنان التّبسي) في دعواه^(١) ؛ هو والله أولى بقول (أبي شريح) أوس بن حجر التميمي) في (فضالة بن كلفة) :

الألمى الذى يظن بك الظن* كأن قد رأى وقد سمعا

قد يسبق للدخ إلى من [لا^(٢)] يستحقّه ، ويصير المال إلى من لا يليق به أن يكون ميّلا^(٣) حتى إذا وجد من كان لذلك مستحقا منحه ووُفّر عليه .

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه يتلوّى ويتبسّم ، ويظهر فرحا ويتبسّم ويقول : ولا كذا^(٤) ؛ ثمرة السبق لهم ، وقصّرنا أن نلحقهم ، أو تقفوا أثرهم ونشق غبارهم أو رد غمارهم . وهو في كل ذلك يتشاكى ويتحابل ، ويلوى شدقه ، ويتلع ريقه ، ويرد كالآخذ ، يأخذ كالمتمنع ، وينضب في عرض الرضا ، ويرضى في كبوس الغضب ، ويتهاك ويتمالك ، ويتقابل^(٥) ويتمايل ؛ ويحاكي المومسات ، ويخرّج في أحباب الساجات ؛ ومع هذا كله يظن أن هذا خاف على تقاد الأخلاق وجهابذة الأحوال ، والذين قد فرغهم الله لتنتيم

(١) خالد بن سنان رووا أنه كان نيبا وكان في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وكان بأرض عيسى . ولم نجد فيما بين أيدينا من الكتب من لقه بابن الحيا ، وقد ورد كنيته في مصب الأدياء بأبي الحيا .

(٢) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ والياق يقتضيهما .

(٣) « ميتا » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به اللنى . واللّيل ، ذو اللال .

(٤) « ولا كذا » : كلمة ظاهرها الرغبة في الاقتصاد في المدح ، وباطنها المثل على الإكثار منه .

(٥) « ويتقابل » ، أى يتقابل أجزاؤه بعضها ببعض ، وذلك إذا استوى في مجلسه ولم يعمل إلى ناحية .

الأمر، واستخراج مافى الصدور، واعتبار الأسباب؛ وذلك أنه ليس بمجيد العقل، ولا خالص الحق؛ وكل كدر بالتركيب قلما يصفو، وكل مركب على الكدر قلما يمتدل؛ إلا أن الانحراف متى كان إلى جانب العقل كان أصح من أن يكون إلى طرف الحق؛ والكامل عزيز، والبرى من الآفات معدوم؛ إلا أن الليل إذا قبض الله له طيبا حاذقا رفيقا ناعما كان إلى الغاية أقرب، وللشفاء أرجى، ومن المطلب أبعد، وبالأحتياط أعلی، أعنى أن الماثل إذا عرف من نفسه عيوباً ممدودة، وأخلاقاً مدخولة، استطلب لها عقله، وتطبب فيها بقله، وتولى تديرها برأيه ورأى خلصانه، فننى ما أمكن فيه، وأصلح ما قبيل إصلاحه، وقلل ما أستطاع تقليله؛ فقد يجد الإنسان الرمنص في عينه فينخيه، ويبتلى بالبرص في بدنه فيخفيه.

وقد أفسده أيضاً ثقة صاحبه^(١) به، وتعويله عليه، وقلة سماعه من الناصح فيه؛ فنذر^(٢) بازدهاء اللال والعلم والأقتدار والأمر والكفاية وطاعة الرجال وتصديق الجلساء والمادة الغالبة؛ وهو فى الأصل مجدود^(٣) لا جرم ليس يقوله مكان دلالاً وترفاً، وعجباً وتبها وصلفاً؛ وأنذراء^(٤) على الناس، وأزدراء للصغار والكبار، وجبها للصادر والوارد؛ وفى الجملة صغار^(٥) آفاته كبيرة، وذنوبه جمّة * ولكن الفنى رب غفور * قال: ما صدر هذا البيت؟ فأشدته الآيات، وهى

(١) يريد بصاحبه: لللك اتى استوزره، وهو مؤيد الدولة أو غير الدولة أخوه
فعلما قد استوزره.

(٢) «نذر» بالقاف والمال.

(٣) المجدود: المخطوط.

(٤) الاندراء: الانتفاع والتهم.

(٥) «نلر».

لمروة بن الوزد في الجاهلية ، وكان يقال له عمرو الصالح ، لأنه كان يؤويهم
ويحسن إليهم كثيرا :

ذَرَيْنِي لِلْفَتَى أَسَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَبَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرُ
وَيُقَصِّبُهُ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَنَهْرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الْفَتَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْفَتَى رَبٌّ غَفُورُ

قال : لا شك أن السودة جامعة لهذا كله . قلت : تلك تُجَزَّع^(١)
في دَسْتٍ كَاغْدٍ فرعوني . قال : أجد^(٢) تحريرها ، وعلى بها ، ولك الضمان
ألا يراها إنسان ، ولا يدور بذكرها لسان .

(٥) قلت : السمع والطاعة . قال : قد تركنا من حديثه ما هو أولى مما مر بنا ؛
كيف بلاغته من بلاغة ابن العميد ؟ وأين طريقته من طريقة ابن يوسف
والصابي ؟ قلت : قد سألت جماعة عن هذا ، فأجابني كل واحد بحجوب إذا
حكيت عنه كان ما يقال فيه الصق ، وكنت من الحكم عليه وله أبد .

قال : صف هذا ؛ قلت : سألت ابن عبيد الكاتب عن ابن عباد في كتابه
فقال : يرتفع عن المتعلمين فيها بدرجة أو بدرجتين . وقال علي بن القاسم : هو
مجنون الكلام ، تارة تبدو^(٣) لك منه بلاغة قس ، وتارة يلقاك ببى باقل ؛ تحريف
كثير في المعاني ، وإحالة في الوضع ، وغلط في السجع ، وشُرود عن الطبع .

(١) تجزئ ، أى تجزأ . والهمس : أربع وعشرون ورقة ، كما في للمجم القاموس
الإنجلىزى لاستانباس . والكاغد : الورق ، مغرب . وفرعونى ، أى مصرى .

(٢) في الأصل : « أجد » ؛ والميم زيادة من الناسخ .

(٣) « كنو » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

وقال ابن المرزبان : هو كثير السرقة ، سبى الإنفاق ، ردى القلب
والعكس ، فرُوقه^(١) في إirاده ، هزيمته قبل هُجومه^(٢) . [وإيجامه^(٣)]
أظهر من إقدامه . وقال الصابي : هو مجتهد غير موفق ، وفاضل غير منطوق^(٤)
ولو خطأ كان أسرع له ، كما أنه لما عدا كان أبطأ عليه ؛ وطباع^(٥) الجلي
مخالف لطباع العراقي ، يثب^(٦) مقاربا فيقع بعيدا ، ويتناول صاعدا فيتقاعس قعيدا .
وقال علي بن جعفر : هم كانت الطبائع^(٧) ! هو يكذب نفسه بحسن الظن
في البلاغة ، وطباعه تصدق عنه بالتخلف ، فهو يشين اللفظ ويحيل المعنى ، فأما
شينه اللفظ فبالجفوة والنلظة والإخلال والفجاجة ؛ وأما إحالته فبالإبعاد عن
حومة القصد والإرادة ؛ والمجيب أنه يحفظ العلم والرم^(٨) من النثر والنظم ؛ ثم إذا
أدعاهما يقع دونهما سقوطا ، أو يتجاوزهما قروطا^(٩) ؛ هذا مع الكبر للمقوت
والتشيع الظاهر ، والدعوى العارية من البيئة العادلة .

(٦) وما أحسن ما كتب به أحمد بن إسماعيل بن الخصيب إلى آخر : الكبر
— أعزك الله — معرض يستوى فيه التنبه ذكرا ، والخالل قدرا ، ليس

(١) الفروقة : التديد الفرق بالتحريك ، وهو الفزع .

(٢) هجومه .

(٣) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تصغر قراءتها ، والسياق يقتضي
ما أجبنا أو إثبات ما يبعد معناه .

(٤) غير منطوق ، أى غير بليغ النطق .

(٥) الطباع : الطبع ، يستعمل مفردا كما هنا وجما .

(٦) يثبته .

(٧) يتصحب بهذه العبارة من أصل الطبائع التي تخالف صاحبها فتصدق عنه إذا كذب
نفسه ، كما يدل على ذلك سياق الكلام الآتي .

(٨) العلم والرم : العدد الكثير . يقال : جاء بالعلم والرم . والعم في الأصل : الماء
الكثير ، أو ما ساقه الماء من غشاء . والرم : النثرى . والذى في الأصل : الكظم وأكرم .
وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٩) القروط : التقدم . وفي الأصل : « قروطا » وهو تصحيف .

أمامه حاجب يمنعه ، ولا دونه حاجز يحظره ؛ والناس أشدّ تحفظاً على الرئيس المحظوظ ، وأكثَر اجتلاء لأفعاله ، وتلبّعا لمعاييه ، وتصفّحا لأخلاقه ، وتنقيراً^(١) عن خصاله منهم عن خامل لا يُعبأ به ، وساقط لا يُكترث له ؛ فيسيرُ عيب الجليل^(٢) يقدح فيه ، وصغير الذنب يكبر منه ، وقليل النّم يُسرّع إليه ؛ ولابن هندو في هذا المعنى :

العيب في الرجل المذكور مذكورُ والعيب في الخامل المستورِ مستورُ
كفوقه^(٣) الظُّفْر تخفى من مهاتها ومثلها في سواد العين مشهورُ
وقال الزَّهيرى : قد نَجَمَ بأصْبَهان ابنُ لُبَّادٍ في غاية الرقاعة والوقاحة والخلاعة
وإن كان له يوم ، فسيتشقى به قوم ، سمعته يقول هذا سنة اثنتين وخمسين في مجلسٍ
من الفقهاء .

وقال ابن حبيب : قال بعض الحكماء : إن للنفس أمراضاً كأمراض البدن
إلا أن فضل أمراض النفس على أمراض البدن في الشرّ والضرر كفضل النفس
على البدن في الخير ؛ وصاحبنا^(٤) يعنى — ابن عباد — مريض عندنا ، صحيح
عند نفسه ، زَيْفٌ بنقدها ، جيّد بنقده ؛ ولو قامت^(٥) الشُّوق على ساقها ، وتَنَاصَفَ
التعاملون فيها ، ولم يقع إكراه في أخذٍ ولا إعطاء ، عُرِفَ البهرَجُ^(٦) الذى

(١) « وتنكيراً » ؛ بالكاف .

(٢) « الجليل » .

(٣) « فوقة » ، وهو تصغير . والفوف بفاءين : الياء التى يكون فى الأظفار
الواحدة فوفة .

(٤) موضع هذه الكلمة فى الأصل حروف مطموسة لم يظهر منها غير الواو
والمباد والألف .

(٥) « ظلت » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٦) « التهزج » . والبهرج : الردى .

ضرب خارج الدار^(١) والجيد الذى ضرب داخل الدار .
وقال أحمد بن محمد : إذا أنصفنا ألزمننا مزية المراقبين علينا بالطبع اللطيف
والتأخذ القريب ، والسجع اللئيم ، واللفظ الموثق ، والتأليف الحلو ، والشبوبة
الفالبة ، والموالة المقبولة فى السمع^(٢) ، الخالبة^(٣) للقلب^(٤) العابثة بالروح ، الزائدة
فى العقل ، المشعلة للتريحة ، الموقوفة^(٥) على فضل الأدب ، الدالة على غزارة
المغترف ، النائية عن عادة كثير من السلف والخلف ؛ وأبن عباد^(٦) على هذه الصناعة
أشياء كلها عليه لاله ، وخاذلته لا ناصرته ، ومسلمته لا منقذته ؛ فأول ما على به
أنه فقد الطبع ، وهو^(٧) المبود ؛ والثانى المادة وهى المؤاتية^(٨) ؛ والثالث الشغف
بالجاسى^(٩) من اللفظ وهو الاختيار الردى ؛ والرابع تتبع الوحش^(١٠) ، وهو الضلال
للبيين ؛ والخامس التهايب مع اللفظ دون المعنى ؛ والسادس استكراه المقصود
من المعنى ، واللفظ على التنبؤ ؛ والسابع التعاضل^(١١) المجهول بالأعراض ؛ والثامن
إلف الرسوم أفاصلة من غير تصفح ولا فحص ؛ والتاسع قلة الاعتنا^(١٢) بما كان
— للثقة الواقعة فى النفس — من القائل^(١٣) ، والمآثر تنفيق للتاع بالأقتدار فى

(١) يريد دار الضرب .

(٢) « السجع » .

(٣) فى الأصل : « الخالبة » بالجيم .

(٤) ورد فى الأصل بدقوله « لقلب » كاف ولام ، ولعلهما زيادة من الناسخ لاستقامة

الكلام بدونها .

(٥) « الموقوفة على فضل الأذن » . وفى هذه العبارة تحريف فى كلتين .

(٦) « وهو » واللام زيادة من الناسخ .

(٧) « المؤاتية » أى المساعدة للمينة .

(٨) الجاسى : الجاف السلب .

(٩) « التعاضل » بالطاء وهو تصحيف . وقال : « طائل الكلام » : إذا عقده ووالى

بعضه فوق بعض . « وطائل بالكلام » : أتى بالرجيع من القول وكرره .

(١٠) « الاعتنا » .

(١١) الغائب .

سُوقِ الْعِرْ ، وهذه كلها سبيل الضلالة ، وطرق الجحالة . قال : وليس شيء أقيم للنشئ من سوء الظن بنفسه ، والرجوع إلى غيره وإن كان دونه في الدرجة وليس في الدنيا محسوب^(١) إلا وهو محتاج إلى تنقيف ، والمستعين^(٢) أحرّم من المستبد ، ومن تفرّد لم يكمل ، ومن شاور لم ينقص ، وقد يستعجم المعنى كما يستعجم اللفظ ، ويشرّد اللفظ كما يند^(٣) المعنى ، وينثر النظم^(٤) كما ينظم النثر وينحل المعقد كما يعقد المنحل .

والدار على اجتلاب الحلاوة التذوقة بالطبع ، واجتناب الثبوة المبحوجة بالسمع ؛ والقرينة الصافية قد تكدر ، والقرينة الكدرة قد تصفو ، وشرّ آفات البلاغة الاستكراه ، وأنصح ناصحها الرضا بالغو . وقال : كان ابن المقفع يقف قلبه كثيرا ؛ ف قيل له في ذلك ، فقال : إن الكلام يزدحم في صدرى فيقف قلبي لأخيره .

والكتاب يُتصفح أكثر من تصفح الخطاب ، لأن الكاتب مختار والمخاطب^(٥) مضطر ؛ ومن يرّد عليه كتابك فليس يعلم أسرعت فيه أم أبطأت وإنما ينظر أصبت فيه أم أخطأت ، وأحسن أم أسأت ؛ فباطؤك خيرُ إصابتك كما أن إسرعتك غير مُفِّ^(٦) على غلطك .

قال : هذا كله مفيد فأين هو من غيره من أصحابنا ؟ قلت : في الجملة هو (٥)

(١) محسوب ، أي أحد معدود في الناس .

(٢) في الأصل : « والمستعمل أجزم من الشيك » ، وفي جميع ألفاظها تحريف لاسمى له .

(٣) « يرد » ، و « ينفد » مكان « يفسد » و « يند » .

(٤) « اللفظ » .

(٥) « المخاطب » .

(٦) « مف » .

أبلغ من ابن يوسف^(١) ، وأغزر وأحفظ وأروى وأجبر ركيته ، وأعذب مؤردا ، وأبعد من التفاوت ؛ وليس ابن يوسف من ابن عبّاد في شيء .

فأما ابن العميد فإني سمعت ابن الجبل يقول : سمعت ابن ثوبة يقول :
أول من أفسد الكلام أبو الفضل ، لأنه تخيل مذهب الجاحظ وظن أنه إن
تبمه لجهته ، وإن تلاه أدركه ، فوقع بهيدا من الجاحظ ، قريبا من نفسه ؛
ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مديّر بأشياء لا تلتقي عند كل إنسان
ولا يجتمع في صدر كل أحد : بالطبع والمنشأ والعلم والأصول والمادة والعر
والفراغ والسقي^(٢) والمنافسة والبلوغ ؛ وهذه مفايح قلما يملكها واحد ، وسواها^(٣)
مغالق قلما يتفك منها واحد .

وأما أبنته ذو الكفایتین ، فلو عاش كان أبلغ من أبيه ، كما كان أشعر
منه ؛ ولقد تشبهه بالجاحظ فأفتضح في مكابته لإخوانه ، وبجائته في كلامه
ومسائله لمعلمه التي دلتنا على سرقة وغارته^(٤) وسوء تأتیه^(٥) ، في تسرّه وتغطيه ؛
ومن شاء حكم نفسه ؛ وكان مع هذا أشد الناس أذعاء لكل غريبة ، وأبعد
الناس من كل قربة ؛ وهو نزّر^(٦) للماني ، شديد الكلف باللفظ ؛ وكان أحسد

(١) ابن يوسف الذي يرده هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف أحد أعيان الكتاب
في دولة بني بويه ، تله ديوان الرسائل لعبد الدولة طول أيامه ، وذهب الوزارة بعده دفعت
لأولاده ، وهو الذي دس لابن سمنان عند صبغام الدولة حتى سجنه ثم قله . وفي الجزء الثاني
من البقية نماذج من رسائله .

(٢) يريد بالمشق هنا : رغبته وميله إلى ما يزاوله من صناعة الكتابة .

(٣) « وويها » .

(٤) « وغارته » .

(٥) « تأليه » .

(٦) « يزور » .

الناس لمن خطَّ بالقلم ، أو بُلِّغَ باللسان ، أو فُلِّجَ^(١) في المناظرة ، أو [فَكِّهَ^(٢)]
بالنادرة ، أو اغْرَبَ في جواب ، أو أَسْعَ في خطاب ؛ ولقد لقيَ الناسُ منه الدوامَ
لهذه الأخلاق الخبيثة ؛ وقد ذُكِرَتْ ذلك في الرسالة ، وإذا بُيِّضَتْ وقت^(٣)
عليها من أولها إلى آخرها إن شاء الله ؛ وأنصرفتُ .

الليلة الخامسة

- (١) قال لي ليلة أخرى : ألا تتمَّ ما كتبنا به بدأنا . قلت : بلى .
فأما أبو إسحاق^(٤) فإنه أَحَبَّ^(٥) الناس للطريقة المستقيمة ، وأمضاهم على
الصَّحَّةِ الوُسطى ، وإنما يُنْقَمَ عليه قَلَّةُ نصيبه من النحو ؛ وليس ابنُ عبادٍ في
النحو بذلك ؛ ولا كان أيضا ابنُ المسيد إلاَّ ضعيفا ؛ وكان يذهب عنه الشيء
اليسير . وأبو إسحاق معانيه فلسفيَّة ، وطباعه عراقية ، وعاداته محمودة ؛ لا يَثْبُ
ولا يَرَسُب ، ولا يَكَلُّ ولا يَكُمُّ^(٦) ، ولا يَلْتَفِت وهو متوجِّه ، ولا يتوجَّه وهو
ملتفت . وقال^(٧) لنا : إمامي ابنُ عبدِ كان^(٨) ، وهو قد أوفى عليه ، وإن كان

(١) فُلِّجَ : فاز على خصمه وظفر به .

(٢) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ؛ وما أثبتناه أقرب
إلى ما ظهر من حروفها .

(٣) « ووقت » . والواو زيادة من التماسخ .

(٤) يريد بأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي كان كاتب الإنشاء ينفذ عن الخليفة
وعن من الدولة البويهية ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وقم عليه عضد الدولة مكاتبات
صدرت منه ، فلما ملك عضد الدولة أراد قتله فقتلوا فيه فأطلقه ، وألف له كتاب « التلخيص »
في أخبار بني بويه ، وأريد على الإسلام فأبى وظل على دين الصابئة إلى أن مات سنة ٣٨٤ كما
روى ابن خلكان . وقال ابن النديم إنه مات قبل سنة ٣٨٠ .

(٥) « جم » وسياق البشارة الآتية بعد يقتضى ما أثبتنا .

(٦) يكهم : يضنف .

(٧) وقال ، أى أبو إسحاق الصابي .

(٨) « ابن عبد كان » هو محمد بن عبد كان ، كان كاتباً للدولة الطولونية ، وكان بليغا مرسلا
فصيحا ، وله ديوان رسائل .

أَحَدَنِي عَلَى مِثَالِهِ ؛ وَفَنُونُهُ أَكْثَرُ ، وَمَأْخَذُهُ أَخْفَى ، وَخَاطِرُهُ أَوْقَدُ ، وَنَظَرُهُ أَتَقَدُّ ، وَرَوَّضُهُ أَنْصَرُ ، وَسِرَاجُهُ أَزْهَرُ ، وَيَزِيدُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَقَدَّمَ بِالْكِتَابِ « التَّاجِي » ، فَإِنَّهُ أَبَانَ عَنْ أُمُورٍ وَكَفَى فِي مَوَاضِعَ ، وَشَنَّ الْغَارَةَ فِي الصَّبِيحِ الْمُنِيرِ مَعَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، وَدَلَّ عَلَى التَّفَلُّسِ ، وَعَلَى الْأُطْلَاعِ عَلَى حَقَائِقِ السِّيَاسَةِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُهُ ^(١) لَكَانَ بِهِ أَعْرَقَ النَّاسَ فِي الْخَطَابَةِ ، وَأَعْرَقَ الْكِتَابَ فِي الْكِتَابَةِ ، هَذَا وَنَظْمُهُ مَشْهُورُهُ ، وَمَنْشُورُهُ مَنْظُومُهُ ؛ إِنَّمَا هُوَ ذَهَبٌ يُرِيضُ كَيْفَا سُبُكٍ فَهُوَ وَاحِدٌ ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ بِمَا يُصَاغُ مِنْهُ وَيَشْكَلُ عَلَيْهِ ؛ هَذَا مَعَ الظُّرْفِ النَّاصِعِ وَالتَّوَاضُعِ الْحَسَنِ ، وَاللَّهْجَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَالخُلُقِ الدِّمِثِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالزَّمَانِ ، وَالْخَبِيرَةِ بِأَصْنَافِ النَّاسِ ؛ وَلَهُ فَنُونٌ مِنَ الْكَلَامِ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ ، وَمَا مَاتَ فِيهَا إِنْسَانٌ . وَإِنِّي لِأَزْهَمُ مَنْ لَا يَسْلَمُ لَهُ هَذَا الْوَصْفُ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ، وَإِنَّمَا عَلِمًا فَإِنْ كَانَ جَاهِلًا فَهُوَ مَعْدُورٌ ، وَإِنْ كَانَ عَلِمًا فَهُوَ مُلُومٌ ، لِأَنَّهُ يَدُلُّ مِنْ نَفْسِهِ — بِدَأْفِهِ مَا يَعْلَمُهُ — عَلَى حَسَدِهِ ، وَالْحَاسِدِ سَهِينٌ .

(٢) قَالَ : هَلْ كَانَ فِي زَمَانِ هَؤُلَاءِ مَنْ يُلَاقِي بِهِمْ ، وَيَدْخُلُ فِي زُمْرَتِهِمْ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، أَبُو طَالِبِ الْبَجْرَاحِيِّ مِنْ آلِ عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى كَتَبَ لِلتَّرْزِيَانِ مَلِكِ الدِّيَلَمِ بَعْدَ مَا أَنْتَصَحَ فَنَاءَ ابْنِ الْعَمِيدِ أَبِي الْفَضْلِ ، فَحَسَدَهُ وَطَرَدَهُ ، وَعَصَفَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى نَاجِيذِهِ نَدْمًا عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ ، وَلَقِيَ مِنْهُ ابْنُ أَبِي طَالِبِ الْأَمْرَيْنِ ؛ وَرِسَالَتُهُ مَبْثُوتَةٌ . وَأَبُو الْحَسَنِ الْفَلَكْسِيُّ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَوَقَعَ إِلَى الْمِرَاغَةِ وَنَوَاحِيهَا وَهُوَ حَسَنُ الدِّيَابِجَةِ ، رَقِيقُ حَوَاشِي الْقَلْظِ ؛ وَهُوَ أَحَدُهُمْ ^(٣) غَرَبًا ، وَأَغْرَزَهُمْ سَكْبًا ^(٤) ، وَأَبْسَدَهُمْ مُنَاحَا ^(٥) وَأَعَذَّبَهُمْ مُنَاحَا ^(٥) ، وَأَعْطَقَهُمْ لِلأَوَّلِ عَلَى

(١) « خَيْرُهُ » .

(٢) « وَأَجْدَمُ قَرِيْبًا » بِالْجَمِّ فِي الْأَوَّلِ وَالْقَافِ فِي الثَّانِي .

(٣) « وَأَعْرَضَهُمْ سَكْبًا » .

(٤) « مُنَاحَا » بِالتَّاءِ .

(٥) « مُنَاحَا » بِالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَالتَّخَانُ : لِلدَّاءِ الْبَارِدِ الْمَذْبُوحِ الصَّافِي .

الآخر وأنشروهم للباطن من الظاهر . وقرأتُ له :

« فَإِنْ رَأَى أَنْ يَنْظُرَ نَظْرَ رَاحِمٍ مَتَعَطِّفٍ ، إِلَى نَادِمٍ مَتَلَهِّفٍ ؛ وَيَجْعَلُ الْعَفْوَ
عَنْ فَرْطَتِهِ وَكُفْرَانِهِ ، صَدَقَةً عَنْ بَسْطَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ؛ فَأَجْدُرُ النَّاسِ بِالْإِغْتِفَارِ
أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْإِنْتِصَارِ ؛ فَمَلَكَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى — » .

وله مكاتبات واسعة بينه وبين رجل من أهل اللراغة يقال له : محمد بن
إبراهيم ، من أهل (سُرَّ مَنْ رَأَى) وفي الجملة ، الفضل في الناس مَبْثُوثٌ ، وهم منه
على جدود^(١) ؛ واللزول هو الماري من كِبُوسِهِ ، المتردد بين تحفقه وقصيه .

قال^(٢) : فكيف يتم له ما هو فيه مع هذه الصفات التي تذكرها ؟ قلتُ : والله
لو أن عبورا بلباء ، أو أمة وزهاء^(٣) أقيمت مُقَامَهُ ، لكانت الأمور على هذا
السياق . قال : وكيف ذاك ؟ قلتُ : قد أُمن أن يقال له : لِمَ قُلتَ ، ولم لِمَ
تفعل ؟ وهذا باب لا يتفق لأحد من خَدَمِ الملوك إلا بمجدد سعيد ، ولقد نُصحَ صاحبه
الهرَوِيُّ في أموال تاوية^(٤) ، وأمور من النظر عارية ؛ فَعَذَفَ بالرقصة إليه حتى
عَرَفَ ما فيها ، ثم قتل الراقع خنقا . هذا وهو يدين بالوعيد ، وله نظائر ، ولنظائره
نظائر ، ولكن ليس له ناظر ، ولا فيه مُناظر . وقال لي الثقة من أصحابه : ربما
شَرَعَ في أمر يُحْكَمُ فيه بالخطأ فيقلبه جَدُّه صوابا ، حتى كأنه عن وحى ؛ وأسرار
الله في خلقه عند الارتقاع والأنحطاط خَفِيَّةٌ في أستار النيب ، لا يهتدى إليها
ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا ولي مهذب ؛ ولو جرت الأمور على موضوع

(١) الجدود : المخطوط ، الواحد جد بالفتح .

(٢) قال ، أي الوزير ، والضمير في « له » يعود على ابن عباد .

(٣) الورهاء : الخفاء .

(٤) تاوية ، أي هالكة .

الرأى وقضية العقل ، لكان معلماً في مصطبة على شارع ، أو في دار ؛ فإنه يخرج الإنسان بتفهيمه وتشاؤمه ، وأستحقاره وأستكباره ، وإعادته وإبدائه ، وهذه أشكال تعجب الصبيان ولا تنفرهم من المعلمين ، ويكون فرحهم بها سبباً للملازمة والحرص على التعلم والحفظ والرواية والدراسة .

- (٤) قال : هذا قدر كافٍ إلى أن تبييض الرسالة ؛ هات ملحة الوداع . قلت : قال أبو العيناء : قال أبو دعلج : قال المهدي : بايع ؛ قلت : أبايكم [علام ؟ قال^(١)] : على ما بويج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم صفين . قال كريز أبو سيار المسعي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدرك صفين ، إنما كانت صفين بين علي ومعاوية . فقال دوست بن رباط الفقيمي أبو شعيب : قد علم الأمير هذا ، ولكن أحب التسهيل على الناس ، وأنصرفت .

الليلة السادسة

- (١) ثم حضرته ليلة أخرى فأول ما فاتح به المجلس أن قال : أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب ؟

قلت : الأم عند العلماء أربع : الروم ، والعرب ، وفارس ، والهند ؛ وثلاث من هؤلاء عجم ، وصعب أن يقال : العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة ، مع جوامع ما لها ، وقاريق ما عندها . قال : إنما أريد بهذا القُرْس . فقلت : قبل أن أحكم بشيء من تلقاء نفسي ، أروى كلاماً لأبن المقفع ، وهو أصيل في القُرْس عريق في العجم ، مفضل بين أهل الفضل ؛ وهو صاحب (اليتيمة) القاتل :

(١) ما بين اللربين لم يرد بالأسل ؛ والسياق يقتضيه .

تركت أصحاب الرسائل بعد هذا الكتاب في خضاح من الكلام ، قال : هات
على بركة الله وعونه . قلت : قال شبيب بن شبة : إنا لوقوف في عرصة اليربوع
— وهو موقف الأشراف ومجتمع الناس وقد حضر أعيان النصر — إذ طلع
أبن اللقّع ، فافينا أحد إلّا هشّ له ، وأرتاح إلى مساءلته ، وسررنا بطلمته ؛
فقال : ما يقفكم على متون دوابكم في هذا الموضع ؟ فوالله لو بث الخليفة إلى
أهل الأرض يتنّى مثلكم ما أصاب أحدا سواكم ، فهل لكم في دار ابن برثن
في ظلّ ممدود ، وواقية من الشمس ، واستقبال من الشمال ، وترويح للدواب
والفئان ، وتمتد الأرض فاتها خير بساط وأوطؤ ، ويسمع بعضنا من بعض
فهو أمدّ للجلس ، وأدّر للحديث . فسارعنا إلى ذلك ، ونزلنا عن دوابنا في دار
ابن برثن فنسّم الشمال ، إذ أقبل علينا أبن اللقّع ، فقال : أئى الأم أعقل ؟
فقلنا أنه يريد الفرس ، قلنا : فارس أعقل الأم ، قصد مقاربتة ، وتنوخي
مصانته . فقال : كلا ، ليس ذلك لما ولا فيها ، هم قوم علّوا قنطرا ، ومثّل لهم
فامتثلوا وأقتدوا ^(١) وبذّثوا بأمر فصاروا إلى أتباعه ، ليس لهم استنباط ولا
استخراج . قلنا له : الزوم . فقال : ليس ذلك عندها ، بل لهم أبدان وثيقة
وهم أصحاب بناء ^(٢) وهندسة ، لا يعرفون سواها ، ولا يحسنون غيرها .

قلنا : فالصين . قال : أصحاب أثاث وصنعة ، لا فكر لها ولا روية . قلنا :
فالترك . قال : سباع لليراش . قلنا : فالهند . قال : أصحاب وهم وعرق ^(٣) وشعبذة
وحيلة . قلنا : فالزنج . قال : بهائم هائلة ^(٤) . فرددنا الأمر إليه . قال : العرب .

(١) « وامتدوا » .

(٢) « بناء » ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « الحرق » . والشعبذة والشعفة : واحد ، وهي أخذ كالسرترى

التي بنى ما عليه أصله في رأى العين .

(٤) هائلة ، أى هائلة . وفي الأصل : « هائلة » .

فَتَلَحَّظْنَا وَهَمَّسَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ ، فَمَازَلْنَا ذَلِكَ مَنَا ، وَامْتَنَعَ لَوْنُهُ ، ثُمَّ قَالَ :
كَأَنَّكُمْ تَنْظُرُونَ فِي مَقَارِبَتِكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ وَلَا فِيكُمْ
وَلَكِنْ كَرِهْتُ [إِنْ] قَاتَنِي الْأَمْرُ أَنْ يَفُوتَنِي الصَّوَابُ ، وَلَكِنْ [لَا^(١)] أَدْعُكُمْ
حَتَّى أَتَيْنَ لَكُمْ لَمْ أَقُلْتُ ذَلِكَ ، لِأَخْرَجَ مِنْ ظِلَّةِ الْمَدَارَةِ ، وَتَوَهَّرَ الْمَصَانِمَةُ ؛ إِنْ
الْعَرَبُ لَيْسَ لَهَا أَوَّلُ تَوَهُمَةٍ^(٢) وَلَا كِتَابٌ يَدُلُّهَا ، أَهْلُ بِلَدٍ قَفَرٌ ، وَوَحْشَةٌ مِنَ
الْإِنْسِ ، أَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي وَحْدَتِهِ إِلَى فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَعَقْلِهِ ؛ وَعَلِمُوا
أَنَّ مَعَاشَهُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَوَسَّعُوا كُلَّ شَيْءٍ بِسِمَتِهِ ، وَنَسَبُوهُ إِلَى جَنْسِهِ
وَعَرَفُوا مَصْلَحَةَ ذَلِكَ فِي رَطْبِهِ وَيَابَسِهِ ، وَأَوْقَاتِهِ وَأَزْمَنْتِهِ ، وَمَا يَصْلُحُ مِنْهُ فِي الشَّاةِ
وَالْبَعِيرِ ؛ ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى الزَّمَانِ وَأَخْتَلَفَ لِحُلُولِهِ رِبْعِيًّا وَصَيْفِيًّا ، وَقَيْظِيًّا وَشَتَوِيًّا ؛
ثُمَّ عَلِمُوا أَنَّ شَرِبَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ ، فَوَضَعُوا لِنَظَرِهِ الْأَنْوَاءَ ؛ وَعَرَفُوا تَغْيِيرَ الزَّمَانِ
لِحُلُولِهِ مَنَازِلَهُ مِنَ السَّنَةِ ؛ وَاحْتَاجُوا إِلَى الْإِثْثَارِ فِي الْأَرْضِ ، فَجَلَّوْا نَجْمِ
السَّمَاءِ أَدَلَّةً عَلَى أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَقْطَارِهَا ، فَسَلَكُوا بِهَا الْبِلَادَ ؛ وَجَلَّوْا بَيْنَهُمْ
شَيْئًا يَتَهَوَّنَ بِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَرْغَبُهُمْ فِي الْجَمِيلِ ، وَيَتَجَنَّبُونَ بِهِ عَلَى الدَّاءِ
وَيَحْفَظُهُمْ عَلَى الْمَكْرَمِ ؛ حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي فَتْحٍ مِنَ الْأَرْضِ يَصِفُ
الْمَكْرَمَ فَمَا يُبْقِي مِنْ نَفْعِهَا شَيْئًا ، وَيُسْرِفُ فِي ذِمِّ السَّوَادِ فَلَا يَقْصُرُ ؛ لَيْسَ
لَهُمْ كَلَامٌ إِلَّا وَهُمْ يُحَاسِنُونَ بِهِ عَلَى أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ثُمَّ حَفِظَ الْجَارُ وَبَذَلَ الْمَالُ
وَأَبْنَاءُ التَّحَامُدِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَصِيبُ ذَلِكَ بِعَقْلِهِ ، وَيَسْتَخْرِجُهُ بِفُطْنَتِهِ وَفِكْرَتِهِ
فَلَا يَتَلَطَّوْنَ وَلَا يَتَأَدَّبُونَ ، بَلْ نَحَازُ^(٣) مُؤَدَّبَةً ، وَعَقُولٌ عَارِفَةٌ ؛ فَلِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ :

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والبيان يقتضيها .

(٢) « كَرِهَتْ » ، وهو تحريف لا معنى له . وتوهمه ، أى تتوخاه وتقصده
وتتبع ما ينسب لها .

(٣) النحاز : العادات والطبائع ، الواحدة نحيزة . وفي الأصل : « يكابر » وهو تحريف .

إنهم أعقل الأمم ، لصحة الفطرة^(١) وأعتدال البينة وصواب الفكر وذكاء الفهم .
هذا آخر الحديث .

قال^(٢) : ما أحسن ما قال ابن اللقنم ! وما أحسن ما قصصته وما أنيت به !
هات الآن ما عندك من مسموع ومستنبط .

قلتُ : إن كان ما قال هذا الرجل البارغ في أدبه للقدم بقبله كافيا^(٣)
فلا زيادة عليه فضل مستغنى عنه ، وإعقابُه بما هو مثله لا فائدة فيه .

فقال : حدّ^(٤) الوصف في التزيين والتفصيل مختلف الدلائل على ما يُعتقد
صوابه وخطؤه ، متباين ؛ وهذه مسألة — أعنى تفضيل أمة على أمة — من أمهات
ما تدارأ الناس عليه وتَدافَعُوا فيه ؛ ولم يرجعوا منذ تناقشوا الكلام في هذا الباب
إلى صلح متين وأتفاق ظاهر . قلتُ : بالواجب ما وقع هذا ، فإن الفارسي ليس
في فطرته ولا عادته ولا منشئه أن يعترف بفضل العربي ، ولا في جبلة^(٥) العربي
وديدنه أن يقر بفضل الفارسي . وكذلك الهندي والرومي والتركي والديلمي ؛
وبعد ، فأعتبر الفضل والشرف موقوف على شيئين : أحدهما ما خص به قوم
دون قوم في أيام النشأة بالأختيار للجيد والريء ، والرأى الصائب والقائل ، والنظر
في الأوّل والآخر . وإذا وقف الأمرُ على هذا فلكل أمة فضائل ورذائل
ولكل قوم محاسن ومساوٍ ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلّها وعقدّها
كمال وتقصير ؛ وهذا يقضي بأن الخيرات والفضائل والشور والنقائص مُفَصَّلة
على جميع الصلّات ، مفصولة بين كلهم .

(١) في الأصل : « الفكرة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه تسميه
الآن في صفحة ٧٦ سطر ١٥ .

(٢) قال : أي الوزير .

(٣) « ما حد » و « ما » زيادة من الناسخ ، فإن سياق الكلام الآن بعد لا يقتضي الاستغناء .

(٤) « حيلة » .

فلقُرُس السياسة والآداب والحدود والرسوم؛ وللقُرُس العلم والحكمة؛ وللهند الفكر والروية والخفة^(١) والسحر والأناة؛ وللتُّرك الشجاعة والإقدام؛ وللزنُّج الصبر والكَد والفرح؛ وللمرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذِّمام والخطابة والبيان.

ثم إن هذه الفضائل المذكورة، في هذه الأمم المشهورة، ليست لكل واحد من أفرادها، بل هي الشائعة بينها؛ ثم في جملتها^(٢) من هو عارٍ من جميعها، وموسوم بأضدادها، يعنى أنه لا تخلو القُرُس من جاهل بالسياسة، خالٍ من الأدب، داخل في الرِّعاع والهيج؛ وكذلك العرب لا تخلو من جبانٍ جاهل طيَّاش بخيلٍ عبي^(٣) وكذلك الهند والزرُّوم وغيرهم؛ فلي هذا إذا قوبل أهلُ الفضل والكمال من الزُّوم بأهل الفضل والكمال من القُرُس، تلاقوا على صراطٍ مستقيم، ولم يكن بينهم تفاوتٌ إلَّا في مقادير الفضل وحدود الكمال، وتلك لا تخص^(٤) بل تلم. وكذلك إذا قوبل أهلُ النقص والذيلة من أمة بأهل النقص والخساسة من أمة أخرى، تلاقوا على نهج واحد، ولم يقع بينهم [تفاوت^(٥)] إلَّا في الأقدار والحدود؛ وتلك لا يُلْتَفَت إليها، ولا يمار^(٦) عليها؛ فقد بان بهذا الكشف أن الأمم كلها تقاسمت الفضائل والنقائص بأضطرار الفطرة، وأختيار الفكرة. ولم يكن بعد ذلك إلَّا ما يتنازعه الناس بينهم بالنسبة الترابية، والعادة المنشئية

(١) في الأصل: «لغة»، ولم نجد من معانيها ما يناسب السياق. ولعل صوابه ما أفتتجنا. ويريد بالهفة: الشوذة، فإنها خفة في اليد. وقد سبق وصف الهنود بذلك.

(٢) «أجبتها».

(٣) «غبي».

(٤) في الأصل: «يحصل بل تلم» ومعنى الكلمتين لا يناسب السياق. ويريد أنها لا تخص أمة دون أمة، بل تجمع الأمم كلها.

(٥) موضع هذه الكلمة حروف مطبوسة في الأصل تتعذر قراءتها.

(٦) يمار: يباب.

والهوى الطالب من النفس الغضبية ، والنزاع الهائج من القوة الشهوية .
وهاهنا شيء آخر ، وهو أصل كبير لا يجوز أن يخلو كلامنا من الدلالة عليه
والإيحاء إليه .

[وهو أن ^(١)] كل أمة لها زمان على ضدها ^(٢) ، وهذا يبين مكشوف إذا
أرسلت ومهلك في دولة يونان والإسكندر ، لما غلبَ وساس وملاك ورأس وفتى
ورثى ورسَم ودبّر وأمر ، وحثّ وزجر ، ومحا وسطر ، وفل وأخير ؛ وكذلك
إذا عطلت إلى حديث كسرى أنوشروان وجدت هذه الأحوال بأعيانها ، وإن
كانت في غُلف غير غُلف الأول ، ومعارض غير معارض المتقدم ؛ ولهذا قال
أبو مسلم صاحب الدولة حين قيل له : أى الناس وجدتهم أشجع ؟ قال : كل
قوم في إقبال دولتهم شجوان . وقد صدق ؛ وعلى هذا كل أمة في مبدأ سعادتها
أفضل وأعجب وأشجع وأعجب وأسخى وأجود وأخطب وأنطق وأزأى وأصدق ؛
وهذا الاعتبار ينساق من شيء عام لجميع الأمم ، إلى شيء شامل لأمة أمة
إلى شيء حار لطائفة طائفة ، إلى شيء غالب على قبيلة قبيلة ، إلى شيء معتاد
في بيت بيت ، إلى شيء خاص بشخص شخص وإنسان إنسان ؛ وهذا التحول
من أمة إلى أمة ، يشير ^(٣) إلى فيض جود الله تعالى على ^(٤) جميع بريته وخليقته
بحسب استجابتهم لقبوله ، واستعدادهم على تناول الدهر في نيل ذلك من فضله
ومن رزق إلى هذه الرتبة بعين لا قدّى بها ، أبصر الحق عياناً بلا مرية ، وأخبر

(١) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) ضدها ، أى لها زمان تكون لها فيه الدولة والغلبة على عدوها . وفي الأصل :
« ضد هنا » وقوله : « ذا » زيادة من النسخ كما يدل عليه سياق الكلام الآتي .

(٣) « وهو يشير » . والظاهر أن قوله « وهو » زيادة من النسخ .

(٤) « إلى » .

عنه بلا [فريه^(١)] ؛ ومتى صدق نظرك في مبادئ الأحوال وأوائل الأمور
وضح لك هذا كله كالنهار إذا مَتَّع^(٢) ، وأستنار كالقمر إذا طلع ؛ ولم يبق
حينئذ ريب في عرفان الحق وحصول الصواب ، إلا ما يكتاث بالهوى ، ويستج
بالتعصب ، ويَجْلِبُ اللَّجاج ، ويخرج إلى التَّحَكُّك^(٣) ؛ فهناك يطيح^(٤) المعنى
ويضل المراد ، فإذا آثرت أن تعرف صحة هذا الحكم وصواب هذا الرأي ،
فاسمع ما أرويه : قال إسحاق بن إبراهيم اللوصلي : انصرف العباس بن مرداس
السلمي من مكة فقال : « يا بني سلم ، إني رأيت أمرا ، وسيكون خيرا ، رأيت
بني عبد المطلب كأن قلوبهم الرِّمَّاح الرُّدِينِيَّة^(٥) ، وكأن وجوههم بدور الشُّجَّة
وكان عمامتهم فوق الرجال أَلْوِيَّة ، وكأنَّ منطلقهم مطرُ الوَبْل على الصَّخْل ؛
وإن الله إذا أراد أمرا^(٦) غَرَسَ له غَرْسا ، وإن أولئك غَرَسَ اللهُ ؛ فترقبوا ثمرته
وَتَوَكَّفُوا^(٧) غَيْثه ، وَتَقَيُّوا ظِلَّالَه ، واستبشروا بنعمة الله عليكم به . » ولقد قرع
العباس بهذا الكلام باب السيب ، وشعر بالمستور ، وأحسن بالخافي ، وأطلع عقله
على المستر ، وأهتدى بلطف حاجسه إلى الأمر المُزْمَع ، والحادثِ المتوقَّع ؛ وهذا
شيء فاش في العرب ، لطول وحدثها ، وصفاء فكرتها ، وجودة بَيِّنَتِها
وأعتدال هَيْئَتِها ، وصحَّة فِطْرَتِها ، وخلاء ذَرْعِها ، وأتقاد طَبْعِها ، وسَعَة لَفْظِها
وتصاريف كلامِها في أسمائها وأفعالها وحروفها ، وجَوَّالِها في اشتقاقاتها ، وما أخذها

(١) هنا كلمة مطبوسة الحروف في الأصل تنصرف قراءتها . واستقامة الكلام تقتضي
ما أثبتنا أو ما يغيد هنا المعنى .

(٢) متع التمار : ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال .

(٣) التحك : للنازعة والتمادي في اللجاج .

(٤) « يطيح » .

(٥) الرماح الردينية : نسبة إلى ردينة ، وهي امرأة من العرب كانت تقوم الرماح .

(٦) « أمرا » .

(٧) الحرفان الأولان من هذه الكلمة في الأصل مطبوسان تنصرف قراءتهما ؛ وسياق

الكلام يقتضي ما أثبتنا . ومعنى « توكفوا غيظه » ارقبوه وانظروه .

البديعة في أستماعاتها ، وغرائب تصرفها في أختصاصاتها ، ولطف كنياتها في مقابلة تصرفاتها ، وفنون تبحرهما^(١) في أكناف مقاصدها ، وعجيب مقاربتها^(٢) في حركات لفظها ؛ وهذا وأضعافه مسلم لهم ، وموفر عليهم ، ومعروف فيهم ومنسوب إليهم ، مع الشجاعة والنجدة والذمام^(٣) والضيافة والفطنة والخطابة والحيمية والأنتة والحفاظ والوفاء ، والبذل والسخاء ، والتهاك في حب الثناء والنكل^(٤) الشديد عن النعم والمجاه ؛ إلى غير ذلك مما خُصت به في جاهليتها قبل الإسلام ، مما لا سبيل إلى دفعه وجحوده ، والبهت فيه ، والمكابرة عليه ؛ وقد سمعنا لغات كثيرة — وإن لم نستوعبها — من جميع الأمم ، كلغة أصحابنا العجم والروم والمند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج ، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع^(٥) المريية ، أعنى الفرج التي في كلماتها ، والقضاء الذي نجده بين حروفها ، والمساواة التي بين مخارجها ، والمادة التي ندوها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تُجحد في أبيتها ؛ وإذا شئت أن تعرف حقيقة هذا القول ، وحة هذا الحكم ، فألحظ عرض^(٦) اللغات التي هو بين أشدها تلابسا وتداخلا ، وتراؤفا وتماظلا^(٧) وتفسرا وتوضعا^(٨) ، وإلى ما بعدها مما هو أسلس حروفا ، وأرق

(١) تبحرها ، أي اتساعها .

(٢) مقاربتها .

(٣) والذمام .

(٤) النكل بالتحريك : لفة في التكرار ، أي التكرار عن الشيء والتخلى عنه .

(٥) وردت هذا الكلمة في الأصل مطبوعة الحرفين الأولين ، ولم يظهر منها غير الواو والين .

(٦) « غرض » .

(٧) تماثل الكلام : تراكمه وتوالي بعضه فوق بعض . وكان زهير لا يماثل بين الكلام

أي لا يكرره .

(٨) في الأصل : « وهوذا » بالفتح والضم ؛ ولم نجد من معاني التفويض ما يناسب

السياق ، ولعل صوابه ما أئبنا كما يدل عليه عطفه على التفسير ، إذ مؤدى الكلمتين واحد .

لفظاً ، وأخفُ أسماً ؛ وألطفُ أوزاناً^(١) ، وأحضرُ عياناً ؛ وأحلى مخرجاً
وأجلى منهجاً^(٢) وأعلى^(٣) مدرجاً ؛ وأعدلُ عدلاً ، وأوضحُ فضلاً ، وأصحُّ وصلاً
إلى أن تنزل^(٤) إلى لغة بعد لغة ، ثم تنتهي إلى العربية ، فإنك تحكم بأن للبدا
الذي أشرنا إليه في الموائس والأغراض ، سرى^(٥) قليلاً قليلاً حتى وقف على
العربية في الإفصاح والإيماض .

وهذا شيء يجده^(٦) كل من كان صحيحَ البنية ، بريثاً من الآفة ، متنزهاً
عن الهوى والمصيبة ، محباً للإنصاف في الخصومة^(٧) ، متحرراً للحق في
الحكومة ، غير مسترق^(٨) بالتقليد ، ولا خدوع بالإلف ، ولا مسخر^(٩)
بالمادة ، وإني لأعجب كثيراً ممن يرجع إلى فضل واسع ، وعلم جامع ؛ وعقل
سديد ، وأدب كثير ، إذا أبى هذا الذي وصفته ، وأنكر ما ذكرته ؛ وأعجب
أيضاً فضل عجب من الجيهاً^(١٠) في كتابه وهو يسبُّ العرب ، ويتناول

(١) « أوزاناً » .

(٢) في الأصل : « وأخطر » ومعناه لا يناسب السياق . ويريد بقوله : أحضر عياناً :
أنها شديدة الظهور .

(٣) « متجهك » .

(٤) « وللاً » .

(٥) « ترك » .

(٦) « سرى » ؛ والتاء زيادة من التاسخ .

(٧) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير المال والماء . وسياق الكلام يقتضي
إثباتها على هذا الوجه .

(٨) « الخصوصية » .

(٩) في الأصل : « مستغراً » . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(١٠) « مستخرناً » .

(١١) الجيهاً : نسبة إلى جيهان مدينة بخراسان . وقد سهر بهذه النسبة اثنان : أحدهما
أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر وزير السامانية بيخاري ، كان أديباً فاضلاً من الكتب كتاب
آين نامه وكتب أخرى ؛ وجيهاني آخر اسمه محمد بن أحمد كان كنفك وزيراً للسامانيين . =

أعراضها ويحط من أقدارها ، ويقول : يأكلون اليرابيع والضباب والبحرذان
والحيئات ويتعاورون ^(١) ويتساورون ، ويتهاجون ويتفاحشون ، وكأنهم قد
سُلخوا من فضائل البشر ، ولبسوا أهب الخنازير . قال : ولهذا كان كسرى
يسمى ملك العرب : « سَكَنَ شاه » ، أى ملك الكلاب . قال : وهذا ^(٢)
لسنة شبههم بالكلاب وجرائها ، والذئاب وأطلائها ^(٣) وكلاما كثيرا من هذا
الصوب أرفع قدره عن مثله ، وإن كان يضع من نفسه بفضل قوله . أنراه
لا يعلم لو نزل ^(٤) ذلك القفر وتلك الجزيرة وذلك المكان الخاوي وتلك القياقي
والتوامي ، كل كسرى كان فى القُرس ، وكل قيصر كان فى الروم ، وكل
بَلْهُور ^(٥) كان بالهند ، وكل يقفور كان بخراسان ، وكل خاقان كان بالترك
وكل أخشاد ^(٦) كان بفرغانة وكل صَبْهَند ^(٧) كان من أسكنان ^(٨) وأردوان

== قال فيه ياقوت : كان أدبيا فاضلا شهما جسورا . وقد ترجم لكلهما ياقوت . وقال ابن التميمي
فى الأخير : إنه من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويطنون الزندقة ويصنفون نصرة
الأمينية . والظاهر أن الأخير هو المراد هنا .

(١) يتساورون ، أى يذكر بعضهم عورة بعض .

(٢) « ولهذا » ؟ واللام زيادة من التاسخ .

(٣) أطلائها : أولادها .

(٤) فى الأصل : « كوتر » وبعد الراء حرف مطموس يشبه أن يكون « لاما » .

(٥) بلهور : لقب لكل عظيم من ملوك الهند ، مثل به سيويه فى كتابه ، وفسره السيراقى .

(٦) أخشاد وأخشيد لقب كان لملوك فرغانة ، ولهذا لقب الرضى بأبى الباسى عماد بن

طنج صاحب مصر والشام بالأخشيد ، لأنه كان فرغانيا . وفرغانة مدينة وكورة واسعة وراء
النهر متاخمة لبلاد تركستان .

(٧) فى الأصل : « شبه » بالثين ؟ وفيه تحريف وهمس حرفين إذ لم نجد بالمعنى المناسب

فيما رجسته من معجمات اللتين العربية والفارسية ، ولعل صوابه ما أثبتنا ، فقد ورد فى شفاء

الغليل أن صبهند معناه الأمير ؛ وهو عربى ورد فى شعر جرير . وفى كتاب الألفاظ الفارسية

للربرية أن صبهند بالفارسية معناه قائد السكر وهو مركب من كلمتين « سپه » أى عسكر

و « بد » أى صاحب .

(٨) له « أشكيشان » كما فى معجم البلدان ، وحى من قرى أصبهان . وأردوان :

ويقال فيه : أردوال ، بلدة صغيرة بين واسط والجليل وبلاد خوزستان .

ما كانوا يَتَدُونُ هذه الأحوال لأنَّ من جاعَ أكل ما وجد ، وطِعم ما لَحِقَ^(١) ،
وَشَرِبَ ما قَدَّرَ عليه ، حَبَّ الحياة ، وطلبًا للبقاء ، وجزعًا من الموت ، وهربًا من
الْقَنَاء . أتري أنوشروان إذا وقع إلى فيافي بني أسد وَبَرَ^(٢) (وبار^(٣)) وسُفوح
طِيبِية^(٤) ، وَرَمَلَ بَيْرِينَ وساحَةِ هَبِير^(٥) ، وجاع وعَطَشَ وعَرِيَ ، أما كان
يأكل اليزْبُوعَ والجُرْذَان ؛ وما كان يشرب بَوْلَ الجمل وماء البئر ، وما أَسْنَفَ في
تلك الرَّهْدَاتِ ؟ أو ما كان يلبس البُرْجُدَ^(٦) والخَيْصَصَةَ^(٧) وَالسَّمْلَ^(٨) من الثياب
وما هو دونه وَأَحْشَنَ ؟ بلى والله ، وَيَأْكُلُ حشراتِ الأرضِ وَنَباتَ الجبال ، وَكُلُّ
ما حَمَضَ وَتَرَّ ، وَخُبَّ وَضَرَّ ، هذا جَهْلٌ من قائله ، وَحَيْفٌ مِنْ مُنتَحِلِهِ ؛ على أن
العرب — رحمك الله — أَحْسَنُ الناسِ حالًا وعيشًا إذا جادتْهم السماء ، وصَدَقَتْهم
الأنواء^(٩) ؛ وأزْدانتِ الأرضُ ، فَهَدَّتِ الثَّمارُ ، وَأَطْرَدَتِ الأودية ، وَكَثُرَ اللَّهْنُ
وَالْأَقِطُ^(١٠) وَالْجُبْنُ وَالْقَمْحُ وَالرُّطَبُ وَالتَّمْرُ وَالْقَمْحُ ، وقامت لهم الأسواقُ ، وطابت

(١) « بالحق » .

(٢) وبار : أرض واسعة يولد اليمن زهاء ثلثة فرسخ في مثلها ، وهي ما بين الشعر
إلى تخوم صنعاء .

(٣) طيبة : بلدة عند زروود . ويريد سفوح الجبال التي هناك .

(٤) المبير : رمل قرب زروود بطريق مكة . وفي الأصل : « هبير » بتقديم الياء على الباء
ولم نجده فيها واجتهاد من الكتب .

(٥) البرجد : كساء غليظ من صوف أحر . وقال بعضهم : هو كساء ضخم مخطط يصلح
للخباء وغيره .

(٦) الخيصصة : كساء أسود مريح له علفان .

(٧) السمل من الثياب : الخلق البالي .

(٨) الأنواء : الأمطار ؛ الواحد نوء . وأصل النوء سقوط نجم في المغرب وطلوع
نجم بجياله من ساعته في المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى هذه
الأنواء .

(٩) الأقط : شيء يجتذ من الخيش النسي يطبخ ثم يترك حتى يعمل . وقيل : من
اللبن الحليب .

لِزَامٍ وَفَنَا الْخِصْبَ ، وَتَوَالَى النَّجَاحُ ، وَأَتَّصَلَتِ الْمَيِّرَةُ ، وَصَدَّقَ الْمَصَابُ ^(١) وَأَرْفَعَ ^(٢) النَّتِيجَ ، وَتَلَاَقَتِ الْقَبَائِلُ عَلَى الْمُحَاضِرِ ^(٣) ، وَتَقَاوَلُوا ^(٤) وَتَضَافَعُوا ، وَتَعَادَلُوا وَتَزَاوَرُوا وَتَنَاشَدُوا ؛ وَعَقَدُوا الدِّنْمَ ، وَنَطَقُوا بِالْحِكْمِ ؛ وَقَرَّوْا الطَّرَاقَ وَوَصَلُوا الْغَفَاةَ ، وَزَوَّدُوا السَّابِلَةَ ، وَأَرْشَدُوا الضَّالَّالَ ، وَقَامُوا بِالْحِمَالَاتِ ^(٥) وَفَكَّرُوا الْأَمْرَى ، وَتَدَاعَوْا ^(٦) الْجَفَلَى ، وَتَضَافَعُوا النَّقَرَى ، وَتَنَافَسُوا فِي أَفْهَالِ الْمَعْرُوفِ ؛ هَذَا وَهَمٌّ فِي مَسَاقِطِ رَمُوسِهِمْ ، بَيْنَ جِبَالِهِمْ وَرَمَالِهِمْ ، وَمُنَاشَى أَبْنَاهِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، وَمَوَالِدِ أَهْلِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، عَلَى جَاهِلِيَّتِهِمُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ ، وَقَدْ رَأَيْتَ حِينَ هَبَّتْ رِيحُهُمْ وَأَشْرَقَتْ دَوْلَتُهُمْ بِالْدَّعْوَةِ ، وَأَنْتَشَرَتْ دَعْوَتُهُمْ بِالْمِلَّةِ ، وَعَزَّتْ مِلَّتُهُمْ بِالنَّبُوَّةِ ، وَغَلَبَتْ نَبِيُّوهُمْ بِالشَّرِيعَةِ ، وَرَسَخَتْ شَرِيعَتُهُمْ بِالْخِلَافَةِ ، وَنُفِضَتْ خِلَافَتُهُمْ بِالسِّيَاسَةِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ ، كَيْفَ تَحَوَّلَتْ جَمِيعُ مُحَاسِنِ الْأُمَمِ إِلَيْهِمْ وَكَيْفَ وَقَعَتْ فُضَائِلُ الْأَجْيَالِ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ طَلِبُوهَا وَكَدَحُوا ^(٧) فِي حِيَازَتِهَا أَوْ تَعَبُوا فِي نَيْلِهَا ، بَلْ جَاءَتْهُمْ ^(٨) هَذِهِ الْمُنَاقِبُ وَالْمَغَاخِرُ ، وَهَذِهِ النُّوَادِرُ مِنَ الْمَآثِرِ عَفْوًا ^(٩) ، وَقَطَعْتَ بَيْنَ أَطْنَابِ بَيُوتِهِمْ سَهْوًا رَهْوًا ^(١٠) ؛ وَهَكَذَا يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ

(١) المصاب : اللقيد . يريد المكان الذي يقصدونه للاحتجاج ، من صاب يصوب إذا قصد .

(٢) أرفع له للعاش : وسعه .

(٣) المحاضر : التناول ، لحضور القبائل واجتماعها عليها ، الواحد محضر بفتح الميم والضاد .

(٤) « وتقاوَلُوا » بالنين والزاي ؛ وهو تصحيف .

(٥) الحِمَالَاتُ بفتح الحاء : البساتين والفرامات يحملها قوم عن قوم .

(٦) تداعوا الجفلى ، أى دعا بعضهم بعضاً إلى الطعام دعوة عامة لا تخصم فيها .

والنقري : الدعوة الخاصة ، قال طرفة : (نحن في الشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الأدب فينا ينتشر) وتضافوا أى كرهوا ، من طاف القى . يسانه .

(٧) « وقدحوا » بالقاف .

(٨) « جلتهم » .

(٩) « عفو » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(١٠) سهوا رهوا ، أى عفو بلا مشقة . يقال : آناه هذا الأمر سهوا رهوا ، أى في سهولة ورفق .

تولاه الله بتوفيقه ، وساقه إلى أهله بتأييده ، وحلّ مستحقّيه بأختياره ؛ ولا غالب لأمر الله ، ولا مبدل لحكم الله ، ولذلك قال الله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) . والله في خلقه أسرار ، تنصرف بها دوائر الليل والنهار ، وتذللها تجارى الأقدار ، حتى يُنتهى بمحبوبها ومكروها إلى القرار .

عزّ إلها معبودا ، وجلّ ربّا محمّدا مقصودا . وبعد ، فالذى لا شك فيه من وصف الغرب ، ولا جاحد له من حالها ، أنه ليس على وجه الأرض جيل من الناس ينزلون القفر ، ويتنصّصون السحاب والقطر ؛ ويمالجون الإبل والخيل والنعم وغيرها ، ويستبدّون في مصالحهم بكلّ ما عندها ، وبكلّ ما قلّ وكثّر ، وبكلّ ما سهّل وعسّر ؛ ويرجون الخير من السماء في صوبها^(١) ، ومن الأرض في نباتها ؛ مع مراعاة الألوان بعد الألوان ، وثقة بالحال بعد الحال وتبصرة فيما يُفعل ويُجتنب ؛ ما للعرب فيما قدّمنا وصفه ، وكرّرنا شرحه من علمهم بالخشب والجذب ، واللّين والقسوة ، والحرّ والبرّد ، والرياح المختلفة والسحاب الكاذبة ، والخيال الصادقة ، والأنواء المحمودة والمذمومة ، والأسباب الشريفة السجيية .

وهذا لأنهم مع توحّشهم مستأنسون ، وفي بواديهم حاضرون ، فقد أجمع لهم من عادات الحاضرة أحسنّ المادات ، ومن أخلاق البادية أظهر الأخلاق . وهذا المعنى على هذا النظم قد عدّمه أصحاب المذنب وأرباب الحضّر ، لأن الدناءة والرّفقة والكيس والتهنّ والخلافة والخذاع والحيلة والمكر والخبّ تعلّب

(١) « صوبها » بالتاء ؛ وهو تصحيف .

على هؤلاء وتَمْلِكهم ، لأن مدار أمرهم على المعاملات السيئة ، والكذب في الحس^(١) ، والخلف في الوعد .

- (٤) والرب قد قدسها الله عن هذا الباب بأسره ، وجعلها على أشرف الأخلاق بقدرته ؛ ولهذا تجد أحدهم وهو في بته^(٢) حافيا حاسرا يذكر الكرم ، ويفتخر بالحمة ، ويتنحل النجدة ، ويحتمل الكل^(٣) ، ويضعك في وجه الضيف ويستقبله بالبشر ، ويقول : * أحدثه إن الحديث من القرى * ثم لا يقنع بئس الشرف وفعل الخير والصبر على النوائب حتى يحض الصغير والكبير على ذلك ويدعو إليه ، ويستنهض نحوه ، ويكلفه مجهوده وعفوه .

وقد قيل لرجل منهم في يوم شات وهو يمشي في سبل^(٤) : أما تجد البرد يأخا الرب ؟ فقال : أمشي الخيزلي^(٥) ويكفيني حسي . والقاسي لا يحسن هذا النمط ، ولا يذوق هذا المنى ولا يحلم بهذه اللطيفة ؛ وكذلك الروي^(٦) والهندي وغيرهما من جميع النجم .

- (٥) ومما يدل على تحضرهم في باديتهم ، وتبذيرهم في تحضرهم ، وتحليمهم بأشرف أحوال الأمرين ، أسواقهم التي لهم في الجاهلية ، مثل دومة^(٧) الجندل بقرى

(١) في الأصل : « الحسة » والتاء زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « بيت » والياء زيادة من الناسخ . والبت : كساء غليظ من صوف

أو وبر .

(٣) الكل : الضيف ؛ يقال هو يحمل الكل ، أي يمون الضيفاء الذين لا يستطيعون الكسب ويقوم بأمرهم .

(٤) السبل من الثياب : الخلق البالي .

(٥) « الخيزلي » وهو تصحيف . والخيزلي : مشية فيها تناقل واعتكاك ، كالخيزلي .

(٦) دومة الجندل : حصن وقرى بين النام واللدنية قرب جبلى طى وبينها وبين دمشق

سبع مراحل ، وكانت منازل لسكناة من كلب .

كلب^(١) وهي النصف بين العراق والشام ، كان ينزلها الناسُ أوَّل يوم من شهر ربيع الأول ، فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء ، والأخذ والمطاء ؛ وكان يعشَّرم أكيدر^(٢) دومة ، وربما غلبت على السوق كلب فيعشَّرم^(٣) بعض رؤساء كلب ؛ فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر ، ثم ينتقلون إلى سوق هَجَرَ^(٤) ، وهو المشقَر^(٥) في شهر ربيع الآخر ، فتقوم أسواقهم ؛ وكان يعشَّرم المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دَارِم ، ثم يرتحلون نحو عُمان^(٦) ، فتقوم سوقهم بديار دَبَا^(٧) ، ثم بصحار^(٨) ، ثم يرتحلون فينزلون إِرَم^(٩) ، وقرى الشحر^(١٠) فتقوم أسواقهم أيتاما ، ثم يرتحلون فينزلون عَدَنَ أبين ، ومن سوق عَدَنَ تُشَتَرى اللطائم^(١١) وأنواع الطَّيب ، ولم يكن في الأرض أكثر طيبا ، ولا أحق صناعا للطَّيب من عَدَنَ ؛ ثم يرتحلون فينزلون الراية من حضرموت ، ومنهم من

(١) في الأصل : « كلب » والياء زيادة من الناسخ .

(٢) أكيدر ، هو صاحب دومة الجندل .

(٣) يعشَّرم ، أى يأخذ منهم العشر .

(٤) مدينة هجر : قاعدة البحرين . وقيل : ناحية البحرين كلها هجر . قال ياقوت :

وهو الصواب .

(٥) المشقَر : حصن بالبحرين قديم كان لبد القيس على حصننا لهم آخر يقال له : الصفا

قبل مدينة هجر .

(٦) ذكر صاحب بلوغ الأرب أن هذه السوق كانت هوم في أول يوم من جمادى الآخرة .

(٧) عمان : كورة عربية على ساحل البحر ، وهي في شرق هجر .

(٨) في الأصل : « بدعا » وهو تحريف . قال ياقوت : « دبا سوق من أسواق العرب

ببَآن ، وهي مدينة قديمة معهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها ، وكانت قديمة

قصة عمان » .

(٩) صحر : بلدة ببَآن كانت فيما مضى قصة هذه الكورة ، وهي على البحر وتلي الجبل .

(١٠) إرم : فلاة قرب عدن كما في كتاب صفة جزيرة العرب .

(١١) الفجر : سقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن و عمان .

(١٢) اللطائم : نوافج المسك ، أى سرره ، الواحد لطيمة .

يجوزها ويرد صنماء ، فتقوم أسواقهم بها ، ومنها كانت تُجلب آلة الخرز والأدم والبرود ، وكانت تُجلب إليها من معافر^(١) ، وهي معدن البرود والخير^(٢) ثم يرتحلون إلى عكاظ وذى المجاز فى الأشهر الحرم ، فتقوم أسواقهم بها ، فيتناشدون ويتحاجون ويتحاذون ، ومن له أسير يسي فى فدائه ، ومن له حكومة أرتفع إلى الذى يقوم بأمر الحكومة من بنى تميم ، وكان آخرهم الأقرع بن حابس ؛ ثم يقفون برفة ، ويقضون ما عليهم من مناسكهم ؛ ثم يتوجهون إلى أوطانهم . وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة ، فيحضرها من قرب من العرب ومن بعد . هذا حديثهم ، وهم همّل لاعتلم إلا بالسودد ، ولا معقل لهم إلا السيف ، ولا حصون إلا الخيل ، ولا غفر إلا بالبلاغة .

- (١) ثم لما ملكوا الثور والقصور والجنان والأودية والأنهار والمادن والقلاع والثدن والبلدان والسهل والجبل والبر والبحر ، لم يقعدوا عن شأو^(٣) من تقدم بألاف سنين ، ولم يعجزوا عن شئ كان لهم ؛ بل أبروا عليهم وزادوا ، وأضربوا وأفادوا ؛ وهذا الحكم ظاهر معروف ، وحاضر مكشوف ؛ ليس إلى مرده سبيل ولا لجاحده^(٤) ومنكره دليل .

فليستحي الجهماني^(٥) بعد هذا البيان والكشف والإيضاح ، بالإيناف من القدح والسفّه اللذين حشا بهما كتابه ، وليرفع نفسه عما يشين العقل ، ولا تقبله حكام العدل ؛ وصاحب العلم الرصين ، والأدب المكين ؛ لا يسلط

(١) فى الأصل : « معافر » والياء زيادة من الناسخ . وسافر : غلاف باليمن تنسب إليه الثياب المافرية .

(٢) فى الأصل : « والخير » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه الكلمة فى الأصل مكثا : شا « و » والصواب ما أمبنا .

(٤) « مجاحدة » ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « الجمانى » .

خصمه على عرضة بلسانه ، ولا يستدعى مُرّ الجواب بتعرضه ويرمى بالميسور في غالب أمره ؛ فإنّ العصيّة في الحق ربّما خذلت صاحبها وأسلمته ؛ وأيدت عورته ، واجتلبت مساءته ^(١) ؛ فكيف إذا كانت في الباطل ونموذ بالله أن نكون لفضل أمة من الأمم جاحدين ، كما نموذ به أن نكون بنقص أمة من الأمم جاهلين . فإنّ جاحد الحق يدلّ من نفسه على مهانة ، وجاهل النقص يدلّ من نفسه على قصور ؛ فهذا هذا ؛ وفي الجملة للمسئلة ، والدعوة المرسلّة ، أن أهل البرّ وأصحاب الصّحارىّ الذين وطّأهم الأرض ، وغطّوهم السماء ، هم في السدد أكثر وعلى بسيط الأرض أجول ، ومن الترفّه والرفاهية أبعد ، وبالحول والقوّة أعلّق وإلى الفكرة والقطنة أنزع ^(٢) ، وعلى الصالح والنافع أوقع ، ومن المخازى آنف وللقباح أعيف ؛ وهذا للدواعى الظاهرة ، والحاجات ^(٣) الضروريّة ، والعلائق الخاصّة ^(٤) على الألفة والمودة ، والشدائد اللؤذية ، والعوارض اللازبة ^(٥) ؛ ولهذا يقال : عيبُ النّفى أنّه يورث البلادة ، وفضيلة الفقر أنّه يبعث الحيلة ؛ وهذا معنى كريم ، لا يُقرّ به إلّا كلّ نقّاب عليم .

(٧) وقال الجيهانيّ أيضا : ممّا يدلّ على شرفنا وتقّدّمنا وعزّتنا وعلوّ مكاننا ، أن الله أغاض علينا النّعم ، ووسّع لدينا القسّم وبرّأنا الجنان والأرياف ، ونعمنا وأترقنا . ولم يفعل هذا بالقرب ، بل أشقّاهم ^(٦) وعذبهم ، وضيّق عليهم وحرّمهم ،

(١) « ماته » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « أقرع » .

(٣) في الأصل : « وإلى الحاجات » وقوله « إلى » زيادة من الناسخ .

(٤) في الأصل : « الخاصرة » والراء زيادة من الناسخ .

(٥) اللازبة ، أي النّاتجة الشديدة .

(٦) « سقام » .

وَجَمْعُهُمْ فِي جَزِيرَةِ حَرَجَةٍ ، وَرُقْمَةٌ صَغِيرَةٌ ، وَسَقَامٌ ^(١) بَارْتَقٌ ضَالِحٌ ؛ وَبِهَذَا يُعَمُّ أَنَّ الْخُصُوصَ بِالنِّعْمَةِ وَالْقَصُودَ بِالكَرَامَةِ فَوْقَ الْقَصُودِ بِالْإِهَانَةِ .

فَأُطَالُ هَذَا الْبَابَ بِمَا ظَنُّنَا أَنَّهُ قَدْ ظَنَّرَ بَشْيَءَ لَا جَوَابَ عَنْهُ ، وَلَا مُقَابِلَ لَهُ ؛ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ لَمَا خَفِيَ عَلَى غَيْرِهِ وَتَجَلَّى لَهُ ، بَلْ قَدْ خَصَّتِ الْعَرَبُ بِمَعْنَى هَذَا بِأَشْيَاءَ تَطُولُ حَسْرَةُ ^(٢) مَنْ فَاتَتْهُ عَلَيْهَا ، وَلَا يَفِيدُ أَلْفَاظُهُ بِالنَّيِظِ إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ دَلَّ كَلَامُهُ عَلَى أَنَّهُ جَاهِلٌ بِالنِّعْمَةِ ، غَافِلٌ عَمَّا هُوَ سِرُّ الْحِكْمَةِ .

وَعِنْدَهُ أَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا لَبَسَ الثَّوبَ النَّاعِمَ ، وَأَكَلَ الْخَبْزَ الْخَوَّارِي ^(٣) وَرَكِبَ الْجَوَادَ ، وَتَقَلَّبَ عَلَى الْحَشِيَّةِ ، وَشَرِبَ الرَّحِيقَ ، وَبَاشَرَ الْحَسَنَاءَ ، هُوَ أَشْرَفُ مِنَ الْعَالِمِ إِذَا لَبَسَ الْأَطْيَارَ ، وَطَعِمَ الشُّبَّ ، وَشَرِبَ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ ، وَتَوَسَّدَ الْأَرْضَ ، وَقَعَّ بِالْيَسِيرِ وَرَخِيَ الْمِيشَ ، وَسَلَا عَنْ الْفُضُولِ ؛ هَذَا خَطَأٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَمَرْدُودٌ مِنَ الْحُكْمِ ، عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلًا ، ثُمَّ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْحِجَابِ ، وَأَصْحَابِ التَّقَى وَالْثَنِّ ؛ وَعَلَى طَرِيقَتِهِ أَيْضًا أَنَّ الْبَصِيرَ أَشْرَفُ مِنَ الْأَعْمَى ، وَالْفَنَى أَفْضَلُ مِنَ الْفَقِيرِ .

أَلَا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَدَارَ عَلَى الْعَقْلِ الَّذِي مَنَ حُرْمُهُ فَهُوَ أَنْقَصُ مِنْ كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعَلَى الدِّينِ الَّذِي مَنَ عَرِيٌّ مِنْهُ فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ كُلِّ مُوسِرٍ ؛ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى ضَرِيرَيْنِ : أَحَدُ الضَّرِيرَيْنِ عَمَّ بِهِ عِبَادَهُ ، وَغَمْرُ بَفْضِهِ خَلِيقَتَهُ ، بَدَلًا بِلَا أَسْتَحْضَاقٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ وَزَوَّجَ وَكَفَلَ وَحَفِظَ وَنَقَشَ وَكَلَأَ وَحَرَسَ وَأَهْمَلَ وَأَفْضَلَ وَوَهَّبَ وَأَجَزَلَ ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَدْلُ الْخَلُوطُ بِالْإِجْسَانِ ، وَالتَّسْوِيَةُ الْعُمُومَةُ بِالْفَضْلِ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ سَاقِطًا مِنْهَا الْحَرْفُ الْأَخِيرُ ، وَهُوَ الْفَافُ ، وَأَرْقُ ، أَيْ أَكْثَرُ مِنْ رَقٍّ لِلْمَاءِ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَفَرَحَ إِذَا كَدَرَ . وَضَاحٌ ، أَيْ مُتَعَرِّضٌ لِلشَّسِ .

(٢) « حَرَّة » .

(٣) الْخَوَّارِيُّ : لِبَابِ الْبَقِيقِ وَخَالِصِهِ .

والقدرةُ المشتعلةُ على الحكمة ؛ والضرب الثاني هو الذي يُستحقّ بالعمل والأجهد والسعي والأرتياد ، والأختبار والأعتقاد ؛ ليكون جزاءً وثواباً ، ولهذا حرّم الماصي الخالف ، وأنال الطائع للموافق ؛ فقد بان الآن أن المداير ليس بالجنان والترف ، ولا بالذهب والفضة ، ولا بالوبر والتدر .

وقد مر^(١) هذا الكلام كله فليسكن من الجباني جأشه ، وليفارق طيشه ؛ وليعلم أن من أنصف أعطى بيده ، وسلم الفضل لأهله ؛ فإن التواضع للحق رفة والترفع بالباطل ضمة^(٢) .

(٨) وهما بقتية ينبغي أن يُتبصر فيها ؛ من عرف النقص البحت ، والنقص الشوب بالزيادة ؛ والفضل الصرف ، والفضل المزوج بالنقص لم يحد بالموى الثموي فضلاً ، ولم يدع للمصيبة الرديّة شرقاً ، ولم يُنكر بالحسد مزية ؛ والخلق كلهم في نعم الله تعالى مشتركون ، وفي أياديهم مغسوسون وبمواهبه متفاضلون ، وعلى قدرته متصرفون ؛ وإلى مشيئته صائرون ، وعن حكمته مخبرون ، ولآلائه ذاكرون ، ولنعمائه شاكرون ، ولأياديهم ناشرون ، وعلى اختلاف قضائه صابرون ، ولثوابه بالחסنات مستحقون ، ولعقابه بالسيئات مستوجبون ، ولمفوه برحمته منتظرون ، والله خير بما يعملون ، وبصير بما يُسرون وما يُعلنون مع الجماعة ، وأبرسليان يقول : التَّوْبَةُ أَذْهَبَ مَعَ صَفْوِ الْعَقْلِ ؛ ولئلكم^(٣) بذكر الحاسن أئبده ، وعن أضدادها أنزه . ولو كانت رزقيتهم في وزن بديتهم ، كان الكمال ؛ ولكن لما عزّ الكمال فيهم ، عزّ

(١) « وقدم » .

(٢) « ضمة » .

(٣) « كقرب » .

(٤) في الأصل : « لهم » واللام زيادة من الناسخ .

أيضا^(١) في غيرهم من الأمم ، فالأُم كلها شرع واحد في علم الكل إلا أنهم متفاضلون بعد هذا فيما نالوه بالخَلقة الأولى ، وبالأختيار الثاني ؛ وأختلفت أبصارهم في هذا للوضع ، فأما ما مُنِعَ الإنسان في الأول فلا عتب عليه فيه ، لأنه لا يقال للأعمى : لِمَ لا تكون بصيرا ، ولا يقال للطويل : لِمَ لا تكون قصيرا وقد يقال للقصير : سَدَّدَ طَرَفَكَ ، وأَكْحَلْ عَيْنَكَ ، ومُدَّ^(٢) ناظِرَكَ ؛ كما يقال للطويل : تَطَامَن ، في هذا الزَّفَاقِ حتى تَدْخُلَ ، وتَقَاصِرَ حتى تَصِلَ ؛ وأما ما لم يُنَمَّه الإنسان في الأول ، بل أُعْطِيَهِ ووُهِبَ لَهُ ، فهو فيه مُطَلَّبٌ بما عليه وله كما أنه مُطَالَبٌ بما له وعليه .

(١) وقال الجبّهاني أيضا : ليس للعرب كتاب إقليدس ولا المجسطي ولا الموسيقى ولا كتاب الفلاحة ، ولا العطب ولا العلاج ، ولا ما يجري في مصالح الأبدان ، ويدخل في خواص الأنفس .

فليعلم الجبّهاني أن هذا كله لم ينوع إلهي لا بنوع بشري ، كما أن هذا كله لنيرم بنوع بشري لا بنوع إلهي ، وأعني بالإلهي والبشري الطباعي والصناعي ؛ على أن إلهي^(٣) هؤلاء قدما زجه بشري هؤلاء ، وبشري هؤلاء قد شابه إلهي هؤلاء ؛ ولو علم هذا الزاري لتعلم أن المجسطي وما ذكره ليس للفرس أيضا ، وما عندي أنه مكابر فيدعي هذا لم . فإن قال : هو لليونان ، ويونان من الصِّجَم ، والفرس من الصِّجَم ، فأنا أُخْرِجُ^(٤) هذه التفضيلة من الصِّجَم إلى الصِّجَم فهذا منه حيف على نفسه ، وشهادة على نفسه ؛ لأنه لو فخر يونان لم يستطع أن

(١) رحمت هذه العبارة في الأصل هكذا : « عذابا » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وقد » بالفتح ؛ وهو تحريف وما أبتناه أولى بالسياق .

(٣) في الأصل : « إلهي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « أخرج » ؛ وهو تصحيف .

يتبعى هذا للفُرس ، ولا يمكنه أن يقول : نحن أيضاً عَجَمٌ ، وفضيلتكم في هذه الكتب والصناعة متصلة بنا ، وراجعة إلينا . ومتى قال جِبَّةٌ ^(١) بالمكروه وقوبل بالقُدْع ^(٢) ، وقيل له : صه ، ^(٣) كما يقال للجاهل — إن لم يقل له : « اخسأ » ، كما يقال — في كل ^(٤) الأحاديث ، وإن أغفلته ^(٥) ظلمتُ نفسي ؛ ومن حاجي خصمه غلب .

(١٠) قال القاضي أبو حامد المروزي ^(٦) : لو كانت الفضائل كلها بعقداً وسمطها ، ونظماً وثرها ، مجموعة للفُرس ، ومصبوبة على أروسهم ، ومسلقة بآذانهم ، وطالمة من جباههم ؛ لكان لا ينبغي أن يذكروا شأنها ، وأن يحرسوا عن دِقِّها وجِلِّها ، مع نيكهم الأمهات والأخوات والبنات فإن هذا شيء كريه بالطباع ، وضعيف بالتأبع ، ومردود عند كل ذى فطرة سليمة ، ومستبشع في نفس كل من له جبلة ^(٧) معتدلة . قال : ومن تمام طغيانهم ، وشدة بهتانهم ، أنهم زعموا أن هذا ياذن من الله تعالى ، وبشرية أتت من عند الله ، والله تعالى حرم الخبائث من اللطومات فكيف حَلَّلَ ^(٨) الخبائث من اللنكوحات ؟

(١) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير الباء والماء والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) القُدْع : الشتم والرمى بالفضح وسوء القول .

(٣) في الأصل : « تأكل » وهي زيادة لا معنى لها .

(٤) في « كل » وهو تحريف لا ينظم معناه .

(٥) « أغفلته » بالعين والفاء ؛ وهو تصحيف .

(٦) هو القاضي أبو حامد أحمد بن يونس البصري المروزي ، كان عالماً بفنون العلوم الدينية والأدبية . قال فيه أبو حيان : « كان مجرباً يتدقق حفظاً للسير ، وقياماً بالأخبار ، واستنباطاً للسنن ، وثباتاً على الجدل وصبراً في الخصام » . وكان يقول فيه : « لاه أنبل من رأيته في عمرى » . توفي سنة ٣٦٢ .

(٧) « لكيم » ؛ وهو تحريف لا معنى له ، وسياق الكلام يقتضى إثبات ما يفيد معنى الجبلة كما أثبتنا وإن كان بعيداً عن الرسم للوجود في الأصل .

(٨) « على » .

قال : وكذب القوم ، لم يكن زرادشت نبيا ، ولو كان نبيا لذكره الله تعالى في عرض الأنبياء الذين نوه بأسمائهم وردد ذكرهم في كتابه ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سئوا بهم سنة أهل الكتاب » لأنه لا كتاب لهم من عند الله منزل على مبلغ عنه . وإنما هو خرافة خدعهم بها زرادشت بقوة الملك الذي قبل ذلك منه وسجل الناس عليه طوعا وكرها ، وترغيبا وترهيبا ؛ وكيف يبعث الله نبيا يدعو إلى الإلهين أثنين ؟ وهذا مستحيل بالعقل ، وما خلق الله العقل إلا ليشهد بالحق للصحق والباطل للبطل ؛ ولو كان شرعا لكان ذلك شائما عند أهل الكتابين ، أعني اليهود والنصارى ؛ وكذلك عند الصابئين ، وهم كانوا أكثر الناس عناية بالأديان والبحث عنها ، والتوصل إلى معرفة حقائقها ، ليكونوا من دينهم على ثقة ؛ فكيف صارت النصارى تعرف عيسى ، واليهود تعرف موسى ؛ ومحمد — صلى الله عليه وسلم — يذكرهما ويذكر غيرهما ، كداود وسليمان ويحيى وزكريا ، وغير هؤلاء ، ولا يذكر زرادشت بالنبوة وأنه جاء من عند الله تعالى بالصدق والحق كما جاء موسى وعيسى (١) لكنني بُعثت ناسخا لكل شريعة ، ومجددا لشريعة خصى الله بها من بين العرب .

قال : وهذا بيان نافع في كذبهم ؛ وإنما جاءوا إلى وحي فرقومه ، وإلى حرام بالعقل فأباحوه ، وإلى خبيث بالطبع فارتكبهوه وإلى قبيح في العادة فاستحسنوه . وقد وجدنا في البهائم ما إذا أنزى الفحل منها على أمه لم يطاوع ، وإذا أكره وخدع وعرف غضب على أهله وندغهم ، وشرر عليهم ؛ فما تقول في خلق لا ترضاه البهيمة ، ولا تطاوعه (٢) فيه الطبيعة ، بل يأباه حسه مع كُلوله (٣)

(١) يلاحظ أن موضع هذه التعليل كلام ساقط من الأصل قيا يظهر لنا .

(٢) تطاوعه ، أي تطاوع الفحل .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « ككوكه » ؛ وهو تحريف .

وتبرُدْ شهوتُهُ مع أَشْتَمالِها ، ويرضاه هؤلاء القومُ مع عُجْبِهِم بِعقولهم ، وكِبَرِهِم في أَنفُسِهِم .

ولو كان زرادشت أَقامَ لهم على هذه الحَصَلَةِ اللّثِيمَةِ والقَلْعَةِ الذَّمِيمَةِ كلَّ آيَةٍ وكلَّ برهان ، ونثر عليهم نِجَمَ السَّيِّئِ ، وأطْلَعَ لهم الشمس من المغرب ، وفَتَّتْ لهم الجبال ، وغَيَّضَ لهم البحار ، وأَرَامَ الثَّرَيَّا تَمَشَّى على الأَرْضِ تَحْتَرِقُ السَّكَّكَ وتشهد له بالصدق ، لكان من الواجب بالعقل والنَّظِيرَةِ وَالْحَقِيقَةِ وبالأَقَةِ وبالتَقَرُّزِ وبالتَمَرُّزِ ألاَّ يَجِيبُوهُ إلى ذلك ، ويشْكُوا في كل آيَةٍ يرون منه ، ويَقْتُلُوهُ ، وَيُنْكَلُوا بِهِ .

ولكن بِمَثَلِ هذا العقل قبلوا من مَزْدَكْ ما قبلوه مرَّةً ، ولو عاملوا زرادشت بما عاملوا به مَزْدَكْ ما كان الأمرُ إلاَّ واحداً ، ولا كان الحقُّ إلاَّ منصورياً ، ولا كان الباطلُ إلاَّ مقهوراً ، ولكن اتَّفَقَ على مَزْدَكْ ملكٌ عاقلٌ فَوَضَعَ باطله ، واتَّفَقَ زرادشت ملكٌ ركيكٌ فَرَفَعَ باطله ؛ وما نَزَعَ اللهُ عنهم المُلْكَ إلاَّ بالحق ، كما قال تعالى : (فَلَمَّا أَسْفَوْنا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) . ثم قال : وبعدُ ، فكلُّ شَيْءٍ خارجٍ من الحِكمةِ الإِلَهِيَّةِ والعَقْلِيَّةِ والطَبِيعِيَّةِ فهو ساقطٌ بِهَرَجٍ ، ومردودٌ مَرْدُودٌ ، إذا ضلَّ جاهلٌ عُدِرَ بالجهل ، وإذا أتاها عالمٌ عُدِلَ للعِلْمِ .

قال : وكانت العرب بهذا الخُلُقِ الذَّمِيمِ ، وهذا الفعل اللّثِيمِ ، لو ضلَّته أَعْدَرُ ، لأنَّهم أَشدُّ غُلَّةً من غيرهم وأكثرُ تَهَيُّجاً ، وأقوى على البِضَاعِ ، وأَوْثَبُ على النساءِ يَدْلِكُ على هذا غَزَلُهُم وعشْقُهُم ونظْمُهُم ونثرهم وفراغُهُم وشهوتُهُم ، وتزام مع هذه الدواعي والبواعث لم يستحسنوا هذا ولم يفسلوه ، ولو أكرههم على هذا مَكْرِهِ ودعاهم إليه داع لما أطلعوه ، ولذلك لم يَنْبَجِ مِنْهُمْ ناهجٌ بالحيلة

فدعا إلى هذا ؛ ولو كان لكان أول مَنْ دُقَّ رأسُه بالصد ، وُبِعج بطنُه بالخنجر ؛ وما منَعهم من هذا إلا الأقس الكريمة ، والطباع المتدلة ، والشكائم الشديدة ، والأرواح العتيقة ، والعادات الرضيّة ، والضرائب الطيّبة ؛ وكان وأد البنات عندهم أنقى للتماير ، وأطرَدَ للقبائح من هذا أَلقى أَسْتَحْسَنه زرادشت وقَبِل منه الفرس ، وهم يدعون الحُكم والعِلْم والعَزَم والعزم ، ولفرط جهلهم وغلبة شهوتهم غَفَلوا عما يجوز أن يكون الله سبحانه مبيحا له أو حائظا ، أو مطلقا أو مانعا ، أو محملا أو محرما ؛ هيات ما كَلَف الله أَهْل العقل القيامَ بالدين والتَصَفُّحَ للحق^(١) من الباطل إلا لما شَرَفهم به في العاجل ، وصرّضهم له في الآجل ؛ والمأقبة للمتقين .

قال أبو الحسن الأنصارى^(٢) — وكان حاضرا — الهند أَوْضَح عذرا في هذا الحديث لأنهم جالوه من باب القربة في بيوت الأصنام ، وبلغوا مرادهم بهذه الخديعة ، ولم ينسبوا إلى الله شيئا منه ، ولا أَسْتَجَازُوا الكَذِبَ عليه ، ولا عَقَلُوهُ أيضا على نبيٍّ من عند الله ، بل رأوه صوابا بالوضع^(٣) ثم طابت أَعْيُنهم من هذا القمل بالمران والمادة . وبعد ؛ فمقولهم مدخولة ، والبارع منهم قليل ، وهم إلى الإِفْكَ^(٤) والوهم والسَّحَرِ آمِيل ، وفي أبوابها أَدْخَلَ ؛ ثم قال أبو الحسن : انظر إلى جهل زرادشت في هذا الحُكم وإلى ضعف عقول الفرس في قبولهم منه هذا

(١) « بالحق » بالياء ، والسياق يقتضى اللام كما أثبتنا .

(٢) كذا بالأصل ولله الأنطاكى ، فإِنتا لم نجد فيها بيتَ أيدينا من الكتب من يقب بالأنصارى . وأبو الحسن الأنطاكى هو أبو القاسم علي بن أحمد أصله من أنطاكية ونزل بغداد ، وكان مهتدسا حاسبا له مشاركة في علوم الأوائل مع فصاحة لسانه وعذوبة بيانه . مات يضداد سنة ٣٧٦ .

(٣) « لوضع » ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) « الفكر » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

القل ، وخَيْرَ بينها وبين عقول العرب ، فأنهم قالوا : « اغتربوا لا تُضَوُّوا ^(١) » .
وأستفاض هذا منهم حتى سَمِعَ من صاحب الشريعة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك
أَنْ الضَّوْىَ مكروه ؛ والعرب قالت هذا بالإلهام ، لقرايحهم الصافية ، وأذهانهم
الواقدة ، وطينتهم الحرة ، وأعراقهم الكريمة ، وعاداتهم السليمة ؛ وإنما شربوا
بهذا لأن الضَّوْىَ الواصلَ إلى الأبدان هو سارٍ في العقول ، ولكن القُرْسُ عن
هذا السرِّ غافلون ، ولا يفتن لهذا وأمثاله إلا الأملئون الأحوذيتون ^(٢) ؛ ثم قال :
أنشد الأعمى عن العرب قولَ قائلهم في مدح صاحب له :

فَتَى لَمْ تَلِدْهُ بِنْتُ عَمِّ قَرِيبَةٍ قِيضَوِى وَقَدِضَوِى رَدِيدُ الْأَقَارِبِ
قال : وقالت العرب : « أضواه حقه » : إذا تقصَّه . قال : وقال آخر لولاه :
واقه لقد كفيتهك الضَّوْىَ ، وأخترت لك الخُزْوَلة .

وقال أيضا : العرب تقول : « ليس أضوى من القرائب ، ولا أنجب من
الغرائب » وقال الشاعر :

أُنذِرْتُ مَنْ كَانَ بَعِيدَ الْمَمِّ تَزْوِجَ أَوْلَادِ بَنَاتِ الْمَمِّ
ليس بناجٍ مِنْ ضَوْوَى أَوْ سَمِّ وَأَنْتِ إِنْ أَطْعَمْتَهُ لَا يَنْبِئِي
وقال الأسدى يفتخر :

ولست ^(٣) بضَاوٍ تَمُوجُ عِظَامُهُ ولادته في خاله بسد خاله
تَرَدَّدَ ^(٤) حَتَّى عَمَّهُ خَالُ أُمِّهِ إِلَى نَسَبِ أَدْنَى مِنَ السَّرِوَا حِدِ

(١) اغتربوا لا تضووا ، أى تروجوا في بلاد الأنساب لاق الأقارب لئلا تضوى أولادكم
بأى تحف وتضيف .

(٢) الأحوذى : الخاذق الشعر للأمور القاهرة لها لا يشذ عليه شيء . وفي الأساس :
« رجل أحوذى » : يسوق الأمور أحسن سباق لملته بها .

(٣) في الأصل : « وكنت » ، وهو تحريف ؛ ومقام الضمر يقتضى ما أثبتنا .

(٤) في الأصل : « تردده » والماء زيادة من التاسخ .

ثم قال : والعرب لم تُرد بهذا إلا نقص الذهن والعقل ، لأنها لو أرادت نقصان الجسم لكانت مخطئة ، لأنهم يريدون سمانة الجسم مع السلامة والصلابة .
ثم قال : وعلى هذا طباع الأرض ، ولذلك يقال : إذا كثرت المؤتفكات ^(١) زكت الأرض ، لأن الرياح إذا أختلفت حولت تراب أرض إلى أرض ، وإذا كان الأغتراب يؤثر من التراب إلى التراب ، فبالحرى ^(٢) أن يؤثر ^(٣) الإنسان في الإنسان بالأغتراب ، لأن الإنسان أيضا من التراب .

قال أبو حامد : فإظنك يقوم بمجهول آثار الطبيعة ، وأسرار الشريعة ^(٤) ؟
ما أذلهم الله باطلا ، ولا سلبهم ملكهم ظالما ، ولا ضربهم بالحرى والمهانة إلا أجزاء على سيرتهم القبيحة ، وكذبهم على الله بالجرأة والكابرة ، وما الله بظلام للمبيد .

فلما بلغ القول مداه قال ^(٥) : « الله » [در] ^(٦) هذا النفس الطويل والنفس ^(٧)
الغزير لقد كنت قريما إلى هذا النوع من الكلام ، ففرغ نفسك لرسمه في جزء لأنظر فيه ، وأشرب النفس حلاوته ، وأستفتح العقيم منه ؛ فإن الكلام إذا مر بالسمع خلق ، وإذا شاركه البصر بالقراءة من كتاب أسف ؛ والمخلق بعيد التنال ، والمُسِف حاضر العين ، والسموع إذا لم يملكه الحفظ

(١) للمؤتفكات : الرياح التي تهب الأرض ؛ أو التي تختلط بهاها .

(٢) في الأصل : « فيه لجرى » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) في الأصل : « يوحش » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد في الأصل بد قوله : « الصريعة » قوله « من الصريعة » وهي زيادة من

الناسخ لا تنسق مع الكلام .

(٥) أي الوزير .

(٦) « الله » والألف زيادة من الناسخ .

(٧) موضع هذه الكلمة في الأصل حرفان مطبوسان ؛ وسياق الجملة يقتضى ما أثبتنا .

تذكر منه الشيء بعد الشيء بالوهم الذي لا أنقاده ، والخيال الذي لا مرج عليه . قلت : أفضل سامعا مطيعا — إن شاء الله — .

الليلة السابعة

(١) ولما عدتُ إليه في مجلس آخر ، قال : سمعتُ صياحك اليوم في الباربع ابن عُبيد ، فقيم كتما ؟ قلتُ : كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه أحوج ، وهو بها أغنى من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا الكتابة الأولى جد ، والأخرى هنل ؛ ألا ترى أن التشاؤن والتضييق والكذب والخلع فيها أكثر ؛ وليس كذلك الحساب والتحصيل والأستدراك والتفصيل . قال : وبعد هذا فتلك صناعةٌ معروفة بالمبدأ ، موصولة بالناية ، حاضرة الجدوى ، سريعة المنفعة ؛ والبلاغة زخرفة وحيلة ، وهي شبيهة بالسراب ، كما أن الأخرى شبيهة بالماء . قال : ومن خسارة البلاغة أن أصحابها يُسترقعون ويُستحمقون ؛ وكان الكتاب قديما في دُور الخلفاء ومجالس الوزراء يقولون : اللهم إنا نعوذ بك من رقاعة للنشئين ، وحقارة للمعلمين ، وركاكة للنحويين ، والنشئ والمعلم والنحوي إخوة وإن كانوا تملأت ؛ والآفة تشملهم والمادة تجمعهم ، والنقص يفرمهم ، وإن أختلقت منازلهم ، وتباينت أحوالهم . قال : ولو لم يكن من صنعة الإنشاء إلا أن للملكة العريضة الواسعة يُكتفى فيها بمنشئ واحد ، ولا يُكتفى فيها بمائة كاتب حساب^(٢) وإذا كانت الحاجة إلى هذه أفس ، كانت الأخرى في نفسها أخس ؛ وبعد ، فصالح أحوال

(١) لم يرد جواب « لو » العلم به ، أي لكتفى كتابة الحساب غرا على كتابة الإنشاء ، أو ما يفيد هنا المعنى .

العامة والخاصة معلقة بالحساب ؛ على هذه البديلة ^(١) والوتيرة يجري الصنار والكبار والعليّة والسئلة ، وما زال أهل الحزم والتجارب يحنّون أولادهم ومن لم به عناية على تعلّم الحساب ، ويقولون لم : هو سلة الخبز . وهذا كلام مستفيض ؛ ومن عبّر عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرف أو موضوع غير موضعه وأنهم غيره ، وبلغ به إرادته ، وأبلغ غيره ، فقد كفى ؛ والزائد على الكفاية فضل والفضل يُستغنى عنه كثيرا ، والأصل يُفتقر إليه شديدا ، قال : ومن آفات هذه الكتابة أن أصحابها يُقرّفون بالريبة ، ورُمون بالآفة ، كآل الحسن بن ^(٢) وهب وآل ابن ثوبان . قال : هذه ملحمة منكّرة ؛ فما كان من الجواب ؟

- (٢) قلت : ما قام من مجلسه إلا بعد النلّ والقضاء ، وهكذا يكون حال من عاب القمر بالكفّ ، والشمس بالكسوف ، وأنحلّ الباطل ونصر للبطل ، وأبطل الحقّ وزرّى على الحقّ . قلت : أيّها الرجل ، قولك هذا كان يسلم لو كان الإنشاء والتحرير والبلاغة بآنية من صناعة الحساب والتحصيل والاستدراك وعمل الجماعة وعقد المؤامرة ^(٣) . فأما وهي متصلة بها وداخلة في جلّتها ومشتملة عليها وحاولية لها ، فكيف يطرد حُكْمُك وتسلم دعواك ؟ ألا ^(٤) تعلم أن أعمال

(١) الجديدة : الشاكلة ؛ يقال : عمل على جدبته ، أى على شاكسته .

(٢) يشير بهذه البارة إلى ما فعله الواثق بالله مع الحسن بن وهب كاتبه ، فقد حبسه وأغرمه أربعة عشر ألف دينار ، كما حبس كتابا آخرين وقبض منهم أموالا جمّة ، وذلك في سنة تسع وعشرين ومائتين . وإلى نكبة أبي الميثم بن ثوبان سنة ثلاث وعلافاة ، فقد حبس حتى مات في حبه بالكوفة بعد أن أخذ منه إسحاق بن عمران أموالا جزيلة لنفسه وللسلطان . ويقال : لأنه احتال على قتله خشية أن يقر عليه بما أخذ منه .

(٣) للمؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تشمل المؤامرة في كل ديوان تجمع جميع ما يحتاج إليه من استثمار واستدعاء توقيع .

(٤) في الأصل : « إلا أن تعلم » وأن زيادة من الناسخ .

الدواوين التي ينفرد أصحابها فيها بعمل الحساب فقيرة إلى إنشاء الكتب في فنون ما يصفونه ويتعاطونه ؛ بل لاسبيل لهم إلى العمل إلا بعد تقدمة هذه الكتب التي مدارها على الإفهام البليغ والبيان للكشوف والاحتجاج الواضح ، وذلك يوجد من الكتاب النشئ الذي عيَّته وعَضَّته ^(١) ، وهذه الدواوين معروفة ، والأعمال فيها موصوفة ؛ وأنا أحصيتها لك كي تعلم أنك غلط وعن الصواب فيها منحرف .

فنها ديوان الجيش ، وديوان بيت المال ، وديوان التوقيع والدار ، وديوان الخاتم ، وديوان القرض ^(٢) ، وديوان النقد والعميار ودور الضرب ، وديوان الظالم وديوان الشرطة والأحداث ؛ هذا إلى توابع هذه الدواوين مثل باب العين ^(٣) وللمؤامرات ، وباب النوادر ^(٤) والتواريخ ، وإدارة الكتب ومجالس الديوان وقبْل وبعد ، كما ^(٥) يلزم كاتب الحساب أن يعرف وجوه الأموال ^(٦) حتى إذا جباها وحصلها عمل الحساب أعمالها فيها ، فلا يُمكنه ^(٧) أن يجيئ ^(٨) إلا بالكتب البليغة والحجج اللازمة والطاقات المستعملة ، ومن تلك الوجوه التي ، وهو أرض العنوة وأرض الصلح وإحياء الأرض والقطائع والصفايا والمقاسمة والوضائع

(١) يقال : عضه بلسانه ، إذا تناوله بمكروه الكلام .

(٢) في الأصل : « القس » بالصاد المهملة ؛ وهو تصحيف ، والمراد بالقس : قس الكتب المختومة .

(٣) يريد بالعين : خراج العين ، وهو ما يقرر على البساتين والشجيرات والكروم والفلان ويسمخرج على حكم الضريبة عند إدراك كل صنف . وكان هذا في البلاد الشامية . انظر الجزء الثامن من نهاية الأرب ص ٢٦١ طبع دار الكتب المصرية .

(٤) لعل صوابه : « القادير » أي تغدير ما تخرجه الأرض من غلة .

(٥) « قفا » .

(٦) في الأصل : « الأعمال » وهو خطأ من النسخ ؛ ولعل صوابه ما أمبنا كما يقتضيه قوله

بعد : « حتى إذا جباها » .

(٧) في الأصل : « فيمكنه » والباقي يقتضى زيادة « لا » النافية .

(٨) « يجيئ » .

وجزية رؤوس أهل النعمة وصدقات الإبل والبقر والغنم وأخماس الثنائيم والمادان والركاز^(١) والمال المدفون ، وما يخرج من البحر وما يؤخذ من التجار إذا مروا بالماشر^(٢) واللقطه والضالة وميراث من لا وارث له ومال^(٣) الصدقة ؛ إلى غير ذلك من الأمور المحتاجة إلى المكاتبات البانعة على الرسوم المعتادة والمعادات الجارية ، كعهد ينشأ في إصلاح البريد وتقسيط الشرب ، وكتاب في العارة وإعادة ما قصص منها ، وفي^(٤) حَزْرِ النَّفْلَةِ^(٥) والدياس^(٦) ، وفي الدوالي والبواب والقرافات ، وفي القلب والقسمه ، وفي تقدير الحُصْر^(٧) للبكرة وفي للساحة وفي الطراز^(٨) ، وفي الجوالى^(٩) ، وفي قبض فرائض الصدقات ، وفي أفتاح الخراجات ، إلى غير ذلك من كُتُب^(١٠) المحاسين .

فإن قلت : « هذا كله مستغنى عنه » كبرت وبهت ، لأن مدار المال ودروزه ، وزيادته ووفوره على هذه الدواوين التي إما أن يكون حظ البلاغة فيها أكثر ، وإما أن يكون أثر الحساب فيها أظهر ، وإما أن يتكافأ ؛ فعلى جميع الأحوال لا يكون الكاتب كاملا ، ولا لأسمه مستحقا ، إلا بعد أن يهض

(١) الركاز ، هو دفين الجاهلية من الأموال .

(٢) الماشر ، هو القى يأخذ منهم مفر ما معهم .

(٣) « وفي مال » .

(٤) في الأصل « في » بقوط واو العطف ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) في الأصل « حرز العلم » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا يستقيم معناه ؛ والصواب

ما أثبتنا . والحزر : التقدير بالظن .

(٦) دياس الخططة : دراستها .

(٧) « الحصر » .

(٨) الطراز : قسم الماء في التهر كما ذكره صاحب مفاتيح العلوم في الكلام على مصطلح

كتاب ديوان الماء . ثم قال : وتسمى مقاسم المياه في بلاد ما وراء النهر : البرقات والزرقات .

(٩) يريد بالجوالى : مال الجوالى ، وهو الجزية للضرورة على أهل القمة ، والجوالى هم الذين

جاءوا عن أوطانهم .

(١٠) « كسوة » .

بهذه الأتصال ، وجميع إنبيأ أصولآ من الققه مخلوطه ^(١) بفروعها ، وآيآت من القرآن مضمومة إلى سمته ^(٢) فيها ، وأخبارآ كثيرة مختلفة في فنون شتى لتكون عدة عند الحاجة إليها ، مع الأمثال السائرة والآيآت النادرة ؛ والفقر البدية ؛ والتجارب المعهودة ، والمجالس المشهودة ، مع خط كتبر مسبوك ، ولفظ كوشي محوك ؛ ولهذا عن الكامل في هذه الصناعة ، حتى قال أصحابنا : ما نفلن أنه أجمع هذا كله إلا الجفر بن يحيى فإن كتابته كانت سوادية ، وبلاغته سحباتية ، وسياسته يونانية ، وآدابه عربية ^(٣) ، وشمائله عراقية ؛ أفلا ترى كيف غرق الحساب في غمار هذه الأبواب ؟ ثم اعلم أن البليغ مُستعمل بلاغته من العقل ، ومأخذه فيها من التمييز الصحيح ، وليس كذلك الحساب في متناوله [فلو ^(٤)] ظن ظان بأن مدار الملك على الحساب — [فهو ^(٥)] صحيح — ولكن بعد بلاغة المنشي ، لأن السلطان يأمر وينهى ويلطف ويخاطب ويحتج وينصف ويوعد ويعد ويضمن ويمتني ويلق الأمل ويؤكد الرجاء ويحسم المادة الضارة ويذيق الرعية حلاوة العدل ويجنبهم مرارة الجور ، ثم يحيى ، فإذا جى أحتاج إلى الحساب حتى يكون بالخاص عالما ، ثم يتقدم بتوزيع ذلك على الحساب حتى يكون من الغلط آمنا ، فانظر إلى المنزلتين كيف أختلفتا ؟ وكيف حصلت للزينة لإحداهما ؛ ولو أنصفت لعلت أن الصناعة جامعة بين الأمرين ، أعنى الحساب والبلاغة ؛ والإنسان لا يأتى إلى صناعة فيشققها نصفين ويشرف ^(٦) أحد النصفين على الآخر .

(١) « مخلوطه » .

(٢) إلى سمته فيها ، أى إلى تبره في فهمها .

(٣) « عقلية » .

(٤) هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم لينا بالأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها أو

إثبات ما يؤدى منها .

(٥) « يسرف » .

وأما قولك : « إحدى الصناعتين هزل والأخرى جد » فبئسما سَوَّلَتْ لك نفسك على البلاغة ، هي الجد ، وهي الجامعة لثمرات العقل ، لأنها تُحقِّق الحق وتُبطل الباطل على ما يجب أن يكون الأمر عليه ؛ ثم تحقيق الباطل وإبطال الحق لأغراض تختلف ، وأغراض تأتلف ، وأمور لا تخلو أحوال هذه الدنيا منها من خير وشر ، وإياه وإذعان ، وطاعة وعصيان ، وعدل وعدول ^(١) ، وكفر وإيمان ، والحاجة تدعو إلى صانع البلاغة وواضع الحكمة وصاحب البيان والخطابة ؛ وهذا هو حدّ العقل والآخر حدّ العمل .

وأما قولك : « الإنشاء صناعة بمجولة للبدي ، والحساب معروف للبدي » فقد خَرَفْتَ ^(٢) ، لأنّ مبدأها من العقل ، وممرّها على اللفظ ، وقرارها في الخطأ ؛ وأنت إذا قلتَ هذا دلّلتَ من نفسك على أنّه ليس لك [ما] ^(٣) تبصر ^(٤) به هذا المبدأ الشريف وهذا الأوّل اللطيف .

وأما قولك : « والبلاغة زخرفة وهي شبيهة بالسراب » فقد أَوْخِمْنا لك فيه ما كفى ، فإن لم يكف فانت محتاج إلى بينة أخرى .

وأما قولك : « إن أصحابها يُسترقّعون » فهذا شنع من القول ، ولو عرفت الصّدق ^(٥) فيه لم تنبس به ولم تنطق بحرف منه ، فإن فيه زراية على الساف الصالح والصدر الأوّل ، ولو وجب أن يُسترقّع البليغ إذا كان عاقلاً ، لوجب أن يُستعمل العمي ^(٦) إذا كان أحمق ؛ وهذا خُلف .

(١) يريد بالدول : الجور ، من عدل عن الطريق عدولا إذا نكب عنه وانحرف .

(٢) « صدقت » .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٤) « تبصر » .

(٥) « الصرف » .

(٦) « النهي » .

وأما قولك : « النشئ والعلم والنحوى إخوة فى الركابة » فإيتعلم الناس إلا من العلم والعالم والنحوى وإن ندر منهم واحد قليل البضاعة من الحق .

وأما قولك : « إن الملكة تكتفى بنشئ واحد » فقد صدقت ، وذلك أن هذا الواحد فى قوته ينى بأحاد كثيرة ، وهؤلاء الأحاد ليس فى جميعهم وفاء بهذا الواحد ، وهذا عليك لآلك . لكن بقى أن تفهم أنك محتاج إلى الأساكفة أكثر مما محتاج إلى المطارين ، ولا يدل هذا على أن الإسكاف أشرف من المطار ، والمطار دون الإسكاف ؛ والأطباء أقل من الخياطين ، ونحن إليهم أحوج ، ولا يدل على أن الطبيب دون الخياط .

وأما قولك : « ما زال الناس يحنون أولادهم على تعلم الحساب ويقولون : هوسلة الخبز » فهو كما قلت ، لأن الحاجة إليه عامة للكبار والصغار ؛ وأشرف الصناعات محتاج إليها أشرف الناس ، وأشرف الناس الملك ، فهو محتاج إلى البليغ والنشئ والمحرر ، لأنه لسانه الذى به ينطق ، وعينه التى بها يبصر ، وعيته التى منها يستخرج رأى ويستبصر فى الأمر ، ولأنه بهذه الخاصة لا يجوز أن يكون له شريك ، لأنه حامل الأسرار ، والمحدث بالمكنونات ، والنفضى إليه بينات الصدور .

وأما قولك : « من عبر عما فى نفسه بلفظ ملحون أو محرف وأهم غيره قد كفى » فكيف يصح هذا الحكم ويُقبل هذا رأى ؟ والكلام يتغير المراد فيه باختلاف الإعراب ، كما يتغير الحكم فيه باختلاف الأسماء ، وكما يتغير المفهوم باختلاف الأفعال ؛ وكما يتقلب المعنى باختلاف الحروف ؛ وقد قال رجل بالرى كان نبيلاً فى حاله جليلاً فى مرتبته عظيماً عند نفسه : « أقعد حتى تتغذى بنا » وهو يريد : « حتى تتغذى معنا » ؛ فأنظر إلى هذا المحال الذى ركب بلفظه

وإلى المراد الذى جائته بجهله ؛ ولهذا نظائر غير خافية عليك ولا ساقطة دونك وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلاّ بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوتها ؛ فانظر كيف وجدت فى استقلالها بنفسها ما يُقَلِّها ويُقَلِّ غيرَها ؛ وهذا أمر بديع وشأن عجيب .

وأما قولك : « ومن آفاتها أن أصحابها يُقرِّفون بالريبة ويُنالون بالعيب » فهذا ما لا يستحقّ الجواب ، وما يضرّ الشمس بُباحُ الكلاب ؛ وصيانة اللسان عن هذا النوع أحسن ؛ قال الله تعالى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ؛ وقال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لو كان المرء أقوم من قِدْحٍ لَوُجِدَ له غامر . وآل ابن وهب وابن ثوبان كانوا أنبل وأفضل وأعقل من أن يُظنَّ بهم ما لا يُظنُّ بخساس العبيد وسفهاء الناس وداعة^(١) الرعية وسفلة العامة ؛ على أنا ما سمعنا هذا إلاّ فى مجلس ابن عبيد ، منه وممن كان يخطب^(٢) فى هواه ، ويتحرى بمثل هذه الأحاديث رضاه ؛ وحسده لم فى صناعتهم يبعثه على هذه الأكاذيب عليهم ؛ فالمجب أن يظن أن كذبه على غيره ينفي الصدق عن نفسه ؛ ولو نزه^(٣) لسانه ومجلسه ومذهبه وأبوته لكان أولى به وأزین له ، ولكن النعمة والقدرة إذا عَدِمَتَا عقلا سألنا وحزما حلوسا وديننا متينا وطريقا قويا أَوْرَدَنَا ولم تُصدرا وَخَذَلْنَا ولم تَنْصُرَا ؛ ونسود بالله من نعمة تَحْصُرُ بلاء ، ومرحبا بلاء يورث يقظة ويكون تمحيصا لما قص من التقصير ؛ ولكن من هذا الذى يَشْرَبُ فلا يَسْكُرُ ولا يَشْتَلُ ؟ ومن هذا الذى إذا سَكِرَ عَقَلَ ؟ ومن هذا الذى إذا سحا لا يعتقب من شرايه تُخَارا يصدع الزاس ويمكن الرسواس ؟

(١) الداعة : المجلس الجبناء . والعبوس أيضا .

(٢) فى الأصل : « يحط » ؛ وهو تصحيف .

(٣) « سله » .

فقال : هذه جملة قائمة لمن أدعى دعواه أو نجا منجاءه ؛ وأنى لك هذا ؟
 لم لا تُدْخِلْ صاحبَ ديوانٍ ولم تَرْضَ لنفسك بهذا اللبوس ؟ قلتُ :
 « أنا رجلٌ حبُّ السلامة غالبٌ على ، والقناعةُ بالطفيفِ محبوبَةٌ عندى . »
 فقال : كنتَ عن الكسلِ بحبِّ السلامة ، وعن القسوةِ بالرضا باليسير .
 قلتُ : إذا كنتَ لا أُصِلُ إلى السلامة إلا بالقسوةِ ، ولا أُنْجِمَ الراحةَ إلا
 بالكسلِ ، فرحبا بهما .

فقال : لكلِّ إنسانٍ رأى وأختيارٌ وعادةٌ ومنشأٌ ومألوفٌ وقُرْآنٌ متى زُحِرِحَ
 عنها قَلْبُك ، ومتى أُرْبِعَ^(١) على سواها فَرِقٌ ؛ أَظُنُّ أَنَّهُ قد نَصَفَ اللَّيْلَ . قلتُ :
 لعله . قال : فى الدُّعَاةِ ؛ قد خَبَأَتْ لَكَ مَسْأَلَةٌ ، وسألتُها عليك بعدها — إن شاء
 الله تعالى — وانصرفتُ .

الليلة الثامنة

وقال لى مرةً أخرى : أوْصَلَ وهبُ بنُ يعينِ الرُّقْيَ^(٢) اليهودى رسالةً يقول
 فى عُرْضِها بعدَ التقْرِيطِ الطويلِ المريضِ : إن هنا طريقاً فى إدراكِ الفلسفةِ
 مذلةً مسلوكةً مختصرةً فسيحةً ، ليس على سالِكها كَدٌّ ولا شَقٌّ فى بلوغِ ما يريد
 من الحكمةِ ونيلِ ما يطلبُ من السعادةِ وتحصيلِ الفوزِ فى العاقبةِ ؛ وإن أحبابنا
 طَوَّلُوا وهَوَّلُوا وطَرَحُوا الشوكَ فى الطريقِ ، وَمَنَعُوا من الجوازِ عليه غشاً منهم وبمخلا
 ولَوْمْ طَباعَ وقلةً نصيحٍ وإتساباً للطالبِ وحسداً للراغبِ ، وذلك أنهم اتَّخَذُوا
 للنطقِ والمهندسةِ وما دخلَ فيها معيشةً ومكسبةً ، ومأكلةً ومشربةً ، فصار ذلك

(١) « أربع » .

(٢) ورد هذا الاسم فى اللغات ؛ وكان أبو حيان يسأله فى مسائل فلسفية .

كُور من حديد لطلّابِ الحكمة والمُحبّين للحقيقة والمتصفّحين لأنشاء العالم ..
وكلاما هذا معناه ، وإلى هذا يرجع مغزاه .

فكان من الجواب : قد عرفتُ مذهب ابن يعيش في هذا الباب ، وهو .
جارى ، وكتب هذه الرسالة على هذا الطراز بالأمس إلى التّلك السعيد سنة
سبعين ^(١) ، وتقرّب بها ، وتغنّته بالمسألة والتّفنّد له ، فإنّه شديد الفقر ، ظاهرُ
الخصاصة ، لاصق بالدّعاء ^(٢) ؛ وللّذى قاله وأدعاه ، وقصده وأنتحاه ، وجه واضح
وجّه ظاهرة ؛ وللّذى قاله أصحابنا — أعنى مخالفيه — وجهٌ أيضا وتأويل .
وللقولين أنصار ومُحمّة ، وحفظة ورعاة .

قال : هاتِ — على بركة الله — فإنّي أحب أن أسمع في هذا الخطب ^(٣) .
كلّ ما فيه وأكثر ما يتّصل به ؛ فكان من الجواب أن ابن يعيش يريد
بهذه الخطبة أن عمر الإنسان قصير ، وعِلْمُ العالم كثير ، وسِرّه ^(٤) مغمور ؛
وكيف لا يكون كذلك وهو ذو صفائح مركّبة بالوضع ^(٥) المحكم ، وذو نضائد
مزينة بالتأليف المحبّ المتقن ؛ والإنسان الباحث عنه وعمّا يحويه ذو قوى
متقاصرة ، وموانع معترضة ، ودواعٍ ضعيفة ، وإنه نفع هذه الأحوال منتبه .
بالحسن ، حالمٌ بالعقل ، عاشقٌ ^(٦) للشاهد ، ذاهل عن الغائب ، مستأنسٌ بالوطن .
الّذى ألقه ونشأ فيه ، مستوحشٌ من بلد لم يسافر إليه ولم يُبلّ به وإن كان صدر
عنه ^(٧) ، فليس له بذلك معرفة باقية ولا همة تامّة ؛ وإن الأولى بهذا الإنسان

(١) سنة الثلاثمائة .

(٢) الدعاء : الأرض لا نبات بها . والتراب . وهذه البارة كناية عن الفقر الشديد ..

(٣) الخطب : الشأن .

(٤) « وسره » .

(٥) « بالوصف » .

(٦) « ما شق » .

(٧) عنه ، أى عن البلد .

المنعوت بهذا الضعف والعجز أن يلتبس مسلكا إلى سعاده ونجاته قريبا ويمتصم بأسهل الأسباب على قدر جهده وطوقه ؛ وإن أقرب الطرق وأسهل الأسباب هو في معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى ، فإنه متى عرف هذه الجملّة بالتفصيل ، وأطلع على هذا التفصيل بالجملة ، قد فاز الفوز الأكبر ونال الملك الأعظم ، وكفى مؤونة عظيمة في قراءة الكتب الكبار ذوات الورق الكثير ، مع المناء المتصل في الدرس والتصحيح والنّصّب في المسألة والجواب ، والتنفير عن الحق والصواب ؛ وهذا الذي قاله ابن يعيش ليس بحيف ولا خارج عن حومة الحق ، وإن كان الأمر فيه أيضا صعبا وشاقا وهائلا وعاملا ، ولكن ليس لكل أحد هذه القوة الفائضة ، وهذه الخصوصية الناهضة ؛ وهذا الاستبصار الحسن ، وهذا الطبع الرّقاد ، والذهن النّفاذ ، والقرينة الصافية والاستبانة والتأمل ، لأن هذه القوة الإلهية ، فإن لم تكن إلهية فهي ملكية ؛ وإن لم تكن ملكية فهي في أفق البشرية ؛ وليس يوجد صاحب هذا النعت إلا في الشاذ النادر ، وفي دهر مديد بين أمة جمّة القدّ ؛ والفائق من كل شيء والباث من كل صنف عزيز في هذا العالم الوحشي ، كما أن الرديء والقاسد معدوم في هذا العالم الإلهي ، ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى : إن من يتكلم بالإعراب والصحة ولا يلحن ولا يخطئ ويمجى على السليقة الحميدة والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز ، وإن الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجّة وهذا اللشأ إلى أن يتعلم النحو ويقف على أحكامه ، ويمجى على منهاجه ، ويفي بشروطه في أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومبملاتها ؛ ومتى أتقن^(١) إنسان بهذه الحلية^(٢) وعلى هذا الثّجار ، فلمرى إنّه غنى عن تطويل

(١) اتقن إنسان ، أى وجد بطريق الاتفاق ، أى الصدقة .

(٢) له « الجبلّة » .

النحويين كما يستغنى قارضُ الشعر بالطبع عن علم العروض ، وهكذا يستغنى صاحبُ تلك القوة التي أشار إليها ابن يعيش عن ذلك ، ولكن أين ذاك القرد والشاذ والنادر ؟ فإن حضر فما تفعل معه إلا أن تقلده وتأخذ عنه وتتبعه .

وإنما المدار على أن تكون أنت بهذا الكمال حائزاً لهذه الغاية ، ولا سبيل لك إليها من تلقاء نفسك ، وإنما هو شيء يأتي من تلقاء غيرك ، فإذا بالضرورة وبالواجب ينبئ أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيين والمهندسين بالزحف والعناء والتكلف والدؤوب حتى تصير متشبهاً بذلك الرجل الفاضل والواحد الكامل والبدیع النادر ؛ فقد بان من هذا القدر صواب ما أشار إليه ابن يعيش وأنكشف أيضاً وجه ما حث عليه مخالفوه ؛ ولا عيب على المنقوص أن يطلب الزيادة ببذل المجهود ، وإن الكامل مربوط بما مُنح من العطية من غير طلب . وأما قوله في صدر كلامه : « إن القوم صدّوا عن الطريق وطرحوا الشوك فيه ، وأتخذوا نشر الحكمة فخاً للمثالة »^(١) المأجلة ، فما أبعد ، بل قارب الحق فإن متى^(٢) كان يُبلى ورقة بدرم مقتدرى وهو سكران لا يمتل ، ويتهكم ، وعنده أنه في ربح ، وهو من الأخسرين أعمالاً ، الأسفلين أحوالاً .

(٢) ثم إنى أيها الشيخ — أحياء الله لأهل العلم وأحبي بك طالبيه — ذكرتُ للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح [الفضل بن]^(٣) جعفر بن القرات بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر^(٤) متى وأختصرتها ؛ فقال لي : اكتب هذه

(١) الثالثة : حسن الحال ؛ ومنه قولهم : كلما زدت مثالة ، زاد ثلثه راحة ؛ والراحة : الحق .

(٢) « متى » .

(٣) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥ من هذا الجزء .

(٤) هاتان الكلمتان لم تردا بالأصل وقد أثبتناهما عن مجمل ياقوت . وأبو الفتح هذا كان وزيراً للفتنر الخليفة العباسي سنة عشرين وثلاثمائة .

(٥) موضع هذا الاسم حروف مطبوسة في الأصل ؛ وقد أميّنناه هكذا هنا من المقابلات

وأخذنا من الكلام الآن . وأبو بصير متى ، هو ابن يونس الفتناني من أهل دبر متى . كان =

الناظرة على التمام فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبوي بين هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يُعْتَمَ سماعه، وتَوَعَى فوائده، ولا يُتَهَاوَنَ بشيء منه. فكتبْتُ^(١) : حدثني أبو سعيد بلُغَ من هذه القصة . فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة .

لما أُنْقِذَ المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، قال الوزير ابن الفرات للجماعة — وفيهم الخالدي وأبن الأخشاد والكتبي وابن أبي بشر وأبن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهرى وعلي بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وأبن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى الملوّى ورسول ابن طنج من مصر والمرزباني صاحب آل سامان^(٢) — : ألا^(٣) يَتَدَبَّ منكم إنسان لِنَاظِرَةٍ مَتَى في حديث المنطق ، فإنه يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشرّ والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناها^(٤) من المنطق وملكناه من القيام به ، وأستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده ، فاطلما عليه من جهة اسمه على حقائقه . فأحجم القوم وأطرقوا قال ابن الفرات : والله إن فيكم لَمَنْ يَنِي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه وإني لأَعِدُّكُمْ في العلم بحارا ، وللدّين وأهله أنصارا ، ولالحق وطلّابه منارا ؛ فما هذا الترامز والتنازع اللذان^(٥) تَحِلُّونَ عنهما ؟ فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه فقال : أعزير أيها الوزير ، فإن العلم للصون في الصدر غير العلم المعروض في هذا

== نصرانيا طالا بالمنطق ، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في زمانه ، نزل بغداد بعد سنة عشرين وثلاثمائة ، وكانت وقته في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

(١) « وكنت » .

(٢) « سامان » .

(٣) « أن يتدب » .

(٤) « جريناه » .

(٥) في الأصل : « اللذين » .

الجلس على الأسماع المصبيحة^(١) والعيون المحدقة والعقول الحاذقة^(٢) والألباب النافذة؛ لأن هذا يستصحب الهيبة، والهيبة مكسرة، ويحتجب الحياء، والحياء متلب؛ وليس البراز في معركة خاصة كالصاع^(٣) في بقعة عامة.

قال ابن القرات: أنت لها يا أبا سعيد، فأعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار في قسك راجع إلى الجماعة بفضلك. قال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما رسمه هجنة، والأحتجاز عن رأيه إخلاد إلى التصغير؛ ونعوذ بالله من زلة القدم، وإياه نسأل حسن المونة في الحرب والسلام؛ ثم واجه متى [قال^(٤)]: حدثني عن النطق ما تعني [به]؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على سنن مرضي وطريقة معروفة.

قال متى: أعني به أنه آلة من آلات الكلام يُعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، كالميزان، فإني أعرف به الرُّجحان من النقصان، والسائل^(٥) من الجانح.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم للألوف والإعراب المعروف إذا كنّا نتكلم بالعريية؛ وفاسد المعنى من صالحه يُعرف بالعقل إذا كنّا نبحث بالعقل؛ وهبكَ عرفت الراجح من الناقص من

(١) «المنجبة».

(٢) في الأصل: «الجمامة» وهو تحريف. وفي معجم الأدياء ترجمة أبي سعيد السيرافي: الجمادة؛ وهو تحريف أيضا لا يستقيم به المعنى، ولعل صوابه ما أثبتنا.

(٣) الصاع: من صاع الصباغ أقراته: إذا حل عليهم ففرق جهم.

(٤) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل.

(٥) في الأصل: «والسائل» بالسين المهملة؛ وهو تصحيف. والسائل: المرتفع. والجانح: اللاتل.

طريق الوزن ، فمن لك^(١) بمعرفة للوزن أيما^(٢) هو حديد أو ذهب أو شبه^(٣) [أو رصاص]^(٤) ؟ فأراك بعد معرفة الوزن قعيلا إلى معرفة جوهر للوزن وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدّها ؛ فلي هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك ، وفي تحقيقه كان أجهادك ، إلا نقما يسيرا من وجه واحد ، وبقيت عليك وجوه ، فأنت^(٥) كما قال الأول^(٦) :

• حفظت شيئا وغابت عنك أشياء •

وبعد ، فقد ذهب عليك شيء هاهنا ، ليس كل ما في الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن ، وفيها ما يُكّال ، وفيها ما يُذرع ، وفيها ما يُسح [فيها ما]^(٧) يحزر وهذا وإن كان هكذا في الأجسام الرئية ، فإنه على ذلك أيضا في المقولات القرّة ؛ والإحساسات^(٨) ظلال العقول تحكيها بالتقريب والتبديد ، مع الشبه المحفوظ والمائلة الظاهرة . ودع هذا ؛ إذا كان المنطق وضعه^(٩) رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها ، فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيا وحكما لهم وعليهم ، ما شهد لهم به قبلوه ، وما أنكروه رفضوه ؟

(١) « من ذلك » .

(٢) « إني » .

(٣) الشبه بالتحريك : النحاس الأصفر .

(٤) الكلمة التي بين مربيين عن ياقوت .

(٥) في الأصل : « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) هو أبو نواس ؛ وأول البيت : قل لمن يدعي في العلم فلسفة • حفظت شيئا الخ .

(٧) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربيين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابلات

لأبي حيان .

(٨) « والاحتباس طلال العقول تحكيها » .

(٩) « وصفه » .

قال متى: إنما لزم ذلك لأن للنطق بحث^(١) عن الأغراض المعقولة والمعنوية، وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة؛ والناس في المعقولات سواء. ألا ترى أن أربعة وأربعة [ثمانية] سواء عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شئها المختلفة وطرائقها للتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة وأنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا، ولقد موّهت بهذا المثال، ولكم عادة بمثل هذا التموه؛ ولكن مع هذا أيضا إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا^(٢) باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمّت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال: نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الوضع: بلى. قال: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا. قال: أنت إذا لست تدعونا إلى علم للنطق، إنما تدعو إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا نفق بها؟ وقد صفت منذ زمان طويل، وبأد أهلها، وأقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريفها؛ على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحوّلة^(٣) بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى أخرى عربية؟

قال متى: يونان وإن بادت مع لنتها، فإن الترجمة حفظت الأغراض. وأدّت المعاني، وأخلصت الحقائق.

(١) «بحث».

(٢) ورد في الأصل بد قوله: «إلا» جيم وألف وذاك، وهي زيادة من الناسخ والصواب حذفها.

(٣) «مملوكة».

قال أبو سعيد : إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت ، وقومت
وما حرّفت ، ووزنت^(١) وما جرّفت ، وأنها [ما] أثباتت ولا حافت ، ولا
قصت ولا زادت ، ولا قدّمت ولا أخرت ، ولا أخلّت بمعنى الخاصّ والعامّ
ولا [بأخصّ الخاصّ^(٢) ولا] بأعمّ العامّ — وإن كان هذا لا يكون ، وليس هو
في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني — فكأنك تقول : لا حجة إلا عقول
يونان ، ولا برهان إلا ما وضعوه ، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه .

قال متى : لا ، ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة والبحث عن
ظواهر هذا العالم وباطنه ، وعن كلّ ما يتصل به ويفصل عنه ، وفضل عنايتهم
ظهر ما ظهر وأنتشر ما أنتشر وفشا ما فشا [ونشأ ما نشأ] من أنواع العلم وأصناف
الصنائع ؛ ولم نجد هذا لنبيهم .

قال أبو سعيد : أخطأت وتعمّيت وملت مع الهوى ، فإنّ علم العالم
مبثوث في العالم بين جميع من في العالم ، ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل محشوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جدد^(٣) الأرض ؛ ولهذا
غلب علم في مكان دون علم ، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة ؛ وهذا واضح
والزيادة عليه مشفّلة ؛ ومع هذا فإنما كان يصبح قولك وتسلم دعواك لو كانت
يونان معروفة من بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة ، والقطنة الظاهرة ، والبنية

(١) في الأصل : « ووريت وما حرّفت » ، وهو تصحيف في كلتا الكلمتين . يقال
جرّف فلان الشيء ، أي باعه أو اشتراه جزأفا بلا كيل ولا وزن .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل .

(٣) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابلات .

(٤) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض . وفي الأصل « جديد » ولم نجد من
معانيه ما يتناسب السياق .

الخالقة ، وأتهم لو أرادوا أن يخطئوا لما قدروا ، ولو قصدوا أن يكذبوا ما أستطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم ، والحق تكفل بهم ، والخطأ تبرأ منهم ؛ والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم ، والردائل بعلت من جواهرهم وعروقهم ؛ وهذا جهلٌ ممن يظنه بهم ، وعنادٌ ممن يدعيه لهم ؛ بل كانوا كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء ، ويلطون أشياء ويجهلون أشياء ، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور ، ويحسنون في أحوال ويسئون في أحوال ؛ وليس واضح المنطق يونانٌ بأسرها ، إنما هو رجل منهم ، وقد أخذ عمن قبله كما أخذ عنه من بعده ؛ وليس هو حجة على هذا الطلق الكثير والجم الغفير ، وله مخالفون منهم ومن غيرهم ؛ ومع هذا فالأختلاف في الرأي والنظر والبحث والسألة والجواب سنخ^(١) وطبيعة ، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلله أو يؤثر فيه ؟ [هيات^(٢)] هذا محال ، ولقد بقى العالم بعد منطقته على ما كان عليه قبل منطقته ؛ فأمسح وجهك بالسواة عن شيء لا استطاع لأنه منقطع بالفطرة والطباع ؛ وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تعاورنا بها ، وتجارنا فيها ، وتدارس أصحابك بمفهوم أهلها وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها ، لعلت أنك غنى عن [معاني^(٣)] يونان كما أنك غنى عن لغة [يونان .

وهاهنا مسألة ، تقول : إن الناس عقولهم مختلفة ، وأنصباؤهم منها متفاوتة . قال : نعم . قال : وهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالأكتساب ؟ قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به هذا الاختلاف

(١) السنخ : الأصل . وقد وردت هذه الكلمة في الأصل مهمة الحروف من النقط .

(٢) الكلمة التي بين مربعين عن معجم الأدباء .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل . وقد أجتناها عن اللقائيات ص ٧٣

الطبيعيّ والتفاوت الأصليّ ؟ قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا . قال أبو سعيد : فهل وصلتّه بجواب قاطع وبيان ناصح ؟ ودع هذا ؛ أسألك عن حرف واحد ، وهو دائر في كلام العرب ، ومعانيه متميّزة عند أهل العقل ؛ فأستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تُبدّل به وتُباهى بتفخيمه ، وهو (الوار) ما أحكامه ؟ وكيف مواقفه ؟ وهل هو على وجه أو وجوه ؟ فهبت متى وقال : هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه ، لأنه لا حاجة بالمنطق إليه ، وبالنحو حاجة شديدة إلى المنطق ، لأنّ المنطق يبحث عن المعنى ^(١) [والنحو يبحث ^(٢) عن اللفظ] ، فإن مر المنطق باللفظ فبالعرض ، وإن عثر النحو بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضع من المعنى .

فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأنّ الكلام ^(٣) والمنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار ^(٤) والترض [والتمنى ^(٥)] والهمي والحضّ والدعاء والنداء والطلب كلّها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة ، ألا ترى أنّ رجلا لو قال : « نطق زيد بالحقّ ولكن ماتكلم بالحقّ » ، وتكلم بالحقّ ولكن ما قال الحقّ ، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح ، وأبان المراد ولكن ما أوضح ، أو فاه بجاحته ولكن ما لفظ ، أو أخبر ولكن ما أنبا ، ، لكان في جميع هذا محرّفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه ، ومستعملا اللفظ على غير

(١) في الأصل : « اللفظ » ؟ وهو تبديل من التناسخ لا يستقيم به المعنى .

(٢) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ، وقد أثبتناها عن المقابسات ، إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٣) في المقابسات : « لأن النحو والمنطق » .

(٤) الظاهر أنّ في قوله « والاستخبار » تبديلا من التناسخ صوابه « والإنباء » بديل قوله في التثنية الآتي « أو أخبر ولكن ما أنبا » .

(٥) الكلمة التي بين مربعين عن معجم الأدباء .

شهادة [من] عقله^(١) وعقل غيره ؛ والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبعى والمعنى عقلى ؛ ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان ، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة [بأثر آخر^(٢) من الطبيعة] ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان ، لأن مسئلة المعنى عقل ، والعقل إلهى ؛ ومادة اللفظ طبعية ، وكل طبعى متهاف ؛ وقد بقيت أنت بلا أسم لصناعتك التى تنتحلها ، وألتك التى تُرْهى بها ، إلا أن تستمير من الرئية لها أسما فتُمار ، ويسلم لك ذلك بمقدار ؛ وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة^(٣) فلا بد لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة وأجتلاب الثقة والتوقى من الخلطة اللاحقة .

فقال متى : يكفينى من لتكم هذه الأسم والقمل والحرف ، فإنى أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هدّبتها لى يونان .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك فى هذا الاسم والفعل والحرف قدير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع فى غرائز أهلها ؛ وكذلك أنت محتاج بمد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف ، فإن الخطأ والتحريف فى الحركات كالخطأ والفساد فى المتحرّكات ، وهذا باب [أنت^(٤)] وأصحابك وروطك عنه فى غفلة ؛ على أن هاهنا سرا ما علق بك ، ولا أسفر لمقلك ؛ وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق^(٥) لغة أخرى من جميع جهاتها بمحدود

(١) « وغفلة » .

(٢) العبارة التى بين مربين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

(٣) « التجربة » .

(٤) هذا الكلام الذى بين هذين للمربين لم يرد فى الأصل ؛ وقد أبتناه عن اللقابات .

(٥) « تلتاق » .

صفايتها ، في أسماؤها وأضالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها ، وأستعارتها وتحقيقاتها ، وتشديداتها وتخفيفها ، وسمتها وضيقها ونظلمها ونثرها وسجها ، ووزنها وميلها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ؛ وما أظن أحدا يدفع هذا الحكم أو يشك في صوابه ممن يرجع إلى مُسَكَّةٍ من عقل أو نصيبٍ من إنصاف ، فمن أين يجب أن تَنبثق بشيء تُرجم لك على هذا الوصف ؟ بل أنت إلى تعرف اللغة العربية أخرجُ منك إلى تعرف اللغتين اليونانية ؛ على أن اللغتين لا تكون يونانية ولا هندية ، كما أن اللغات تكون فارسية وعربية وتركية ؛ ومع هذا فإنك تزم أن اللغتين حاصلتان بالعقل والفكر ، فلم يبق إلا أحكام اللغة ، فلم تُزِرْ على العربية وأنت تشرح كتب أرسطو طاليس بها ، مع جهلك بحقيقتها ؟

وحدثني عن قائل قال لك : حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها [والبحث عنها] ^(١) حال قوم كانوا قبل واضع للنطق ، أنظر كما نظروا ، وأتدبر كما تدبروا ، لأن اللغة قد عرفتْها بالمشأ والوراثية ، واللغتين تفرقتْ عنها بالنظر والرأى والأعتقاد والاجتهاد . ما تقول له ؟ أقول : إنه لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر ، لأنه لا يعرف هذه الموجودات من الطريق التي عرفتْها أنت ؟ ولعلك تفرح بتقليده لك — وإن كان على باطل — أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حق ؟ وهذا هو الجهل المبين ، والحكم المشين ^(٢) .

ومع هذا ، فحدثني عن الواو ما حكمه ؟ فإني أريد أن أبين أن تخمينك للنطق لا يبنى عنك شيئا ، وأنت تجهل حرفا واحدا في اللغة التي تدعوها إلى

(١) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن معجم الأدباء لياقوت والقياسات للمؤلف .

(٢) في رواية أخرى « غير السنين » ؛ والمعنى يستعجم عليه أيضا .

حكمة يونان ، ومن جمل حرفا أمكن أن يجهل حرفا ، ومن جهل حرفا جاز أن يجهل اللغة بكاملها ، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها ، فلمه يجهل ما يحتاج إليه ، ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه . وهذه رتبة العامة أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير ؛ فلم يتأبى على هذا ويتكبر ، ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة ، وأنه يعرف سرّ الكلام وغامض الحكمة وحقّ القياس وصحيح البرهان ؟

وإنما سألتك عن معاني حرف واحد ، فكيف لو ثرت عليك الحروف كلها ، وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق ، والتي لها بالتجوز ؛ سمعكم تقولون : إن « في » لا يعرف النحويون مواقعها ، وإنما يقولون : هي « للواء » كما [يقولون] : « إِبّ الباء للإلصاق » ؛ وإن « في » تقال على وجوه : يقال « الشيء في الإناء » « والإناء في المكان » « والسائس [في السياسة] » « والسياسة في السائس » .

أترى أن هذا التشقيق هو من عقول يونان ومن ناحية لئنها ؟ ولا يجوز أن يُمقل هذا بقول الهند والترك والعرب ؟ فهذا جهل من كل من يدعيه ، وخطأ من القول الذي أفاض فيه ؛ النحوي إذا قال « في » للواء ^(١) قد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح ، وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ؛ ومثل هذا كثير ، وهو كافٍ في موضع التكنينية ^(٢) .

فقال ابن القرات : أيها الشيخ الموفق ، أجبه بالبيان عن مواقع « الواو »

(١) في الأصل : « الواو » وما أئتمناه عن المقابلات ص ٧٧ إذ به يستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « التكنيت » وفي المصادر الأخرى « السكت » ؛ وفي كلا التقنين تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه ما أئتمنا .

حتى تكون أشدَّ في إلخامه ، وحقَّق عند الجماعة ما هو عاجز عنه ، ومع هذا فهو مشنَّع^(١) به .

قال أبو سعيد : للواو وجوه ومواقع : منها معنى المطف في قولك : « أكرمت زيدا وعمرا » ومنها القسم في قولك : « والله لقد كان كذا وكذا » ومنها الاستئناف في قولك : « خرجتُ وزيد قائم » لأن الكلام بعده ابتداء وخبر ومنها معنى رُبَّ التي هي للتقليل نحو قولهم^(٢) : * وقَاتِمِ الأعماقِ خاوى المختَرَقِ * ومنها أن تكون أصلية في الأسم ، كقولك : واصلِ وَاقِدْ وَاقِدْ ، وفي القل كذلك ، كقولك : وَجِلْ يَوْجِلْ ؛ ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عزَّ وجل . (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ) ، أى ناديناه ؛ ومثله قول الشاعر^(٣) :

* فلما أجزنا ساحةَ الحى وانتحى * للمنى : انتحى بنا ؛ ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي التَّهْدِي وَكَهْلًا) أى يكلم الناس في حال كهولته ؛ ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر ، كقولك : استوى الماء والخشبة أى مع الخشبة .

قال ابن القرات : [لمتى] : يا أبا بشر : أكان هذا في نحوك^(٤) .

ثم قال أبو سعيد : دع هذا ، ها هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ، ما تقول في قول القائل : « زيد أفضل الإخوة » ؟

(١) في الأصل وللغابسات « مشنَّع » . وفي مجسم ياقوت « مشنَّع » . وفي كلا اللفظين تصحيف .

(٢) هذا الشطر من شعر رؤية بن البجاج .

(٣) هذا الشطر صدر بيت لاروى القيس ، وعجزه :

بنا بطن خبت ذى خفاف عقتل .

(٤) في الغابسات « في منطقتك » ؛ وهى أنسب .

قال : صحيح . قال : فما [تقول ^(١)] إن قال « زيد أفضل إخوته » ؟ قال : صحيح .
 قال : فما [الفرق بينهما] مع الصَّحَّة ^(٢) [فبَلَّغَ ^(٣)] وَجَنَحَ وَغَصَّ بريقه .
 فقال أبو سعيد : أفتيت على غير بصيرة ولا أسنانة ؛ للسَّألة الأولى جوابك
 عنها صحيح وإن كنت غافلا عن وجه صحَّتها ؛ والسَّألة الثانية جوابك عنها غيرُ
 صحيح وإن كنت أيضا ذاهلا عن وجه بطلانها .
 قال متى . بين لي ما هذا التهجين ؟

قال أبو سعيد : إذا حضرت الحَلَقَة ^(٤) استفتدت ، ليس هذا مكان التلويح
 هو مجلس إزالة التلويح ، مع من عادته التمويه والتشبيه ؛ والجماعة تعلم أنك
 أخطأت ، فلم تدعى أن النحوى إنما ينظر في اللفظ دون المعنى ، والمنطقي ينظر في
 المعنى لا في اللفظ ؟ هذا كان يصح لو أن للمنطقي كان يسكت ويجهل ^(٥) فكره
 في المعاني ، ويرتب ما يريد بالوهم السامع والخاطر المارض والحَدْس الطارى ؛
 فأما وهو يريد أن يبرر ^(٦) ماصح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمُناظر ، فلا بد
 له من اللفظ الذى يشتمل على مراده ، ويكون طباقا لقرضه ، وموافقا لقصد ^(٧)ه .
 قال ابن الفرات لأبى سعيد : تَمَّ لنا كلامك فى شرح المسألة حتى تكون
 الفائدة ظاهرة لأهل المجلس ، والتبكيكُ عاملا فى نفس أبى بشر .

-
- (١) هذه العبارة للموضوعة بين مربعين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن القابيات
 وبها يستقيم المعنى .
 (٢) هذه العبارة التى بين مربعين لم ترد فى الأصل . وقد أثبتناها عن القابيات .
 (٣) بلغ : أعى وعجز . وجنح ، أى مال .
 (٤) « المختلفة » .
 (٥) « ويعيد » .
 (٦) « يزن » .
 (٧) « لقصده » .

قال : ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه للسألة إلا مَلَلَ الوزير ؛
فإن الكلام إذا طال مُلٌّ .

قال ابن القرات : ما رغبتُ في سماع كلامك وبينى وبين المَلَلِ علاقة ؛
فأما الجماعة فخرصها على ذلك ظاهر .

قال أبو سعيد : إذا قلت : « زيد أفضل إخوته » لم يميز ، وإذا قلت :
« زيد أفضل الإخوة » جاز ؛ والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غيرُ زيد ، وزيدٌ خارج
عن جملتهم . والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال : « من إخوة زيد » .
لم يميز أن تقول : زيد وعمرو وبكر وخالد [وإنما ^(١) تقول : بكر وعمرو وخالد]
ولا يدخل زيدٌ في جملتهم ، فإذا كان زيد خارجا عن إخوته صار غيرهم ، فلم يميز
أن تقول : أفضل إخوته ، كما لم يميز أن تقول : « إن حمارك أفره ^(٢) البغال »
لأن الحمير غير البغال ، كما أن زيدا غيرُ إخوته ، فإذا قلت : « زيد خير الإخوة »
جاز ، لأنه أحد الإخوة ، والأسم يقع عليه وعلى غيره ، فهو بعض الإخوة ، ألا
ترى أنه لو قيل : « من الإخوة » ؟ عدته فيهم ، فقلت : « زيد وعمرو وبكر
وخالد » فيكون بمنزلة قولك : « حمارك أفره الحمير » لأنه داخل تحت الأسم
الواقع على الحمير . فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل
على الجنس ، فتقول : « زيد أفضل رجل » و « حمارك أفره حمار » فيدل « رجل »
على الجنس كما دلّ الرجال ؛ وكما في « عشرين درهما ومائة درهم » .

قال ابن القرات : ما جد هذا البيان مزيد ، ولقد جلّ علم النحو عندي
بهذا الاعتبار وهذا الإسفار .

(١) منه البارة التي بين مرتبين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات إذ بها
يستقيم الكلام .

(٢) في المقابسات « أفضل » ؛ والمعنى عليها يستقيم أيضا .

قال أبو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائفاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد ، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم . فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلمٌ لهم ومأخوذ عنهم ، وكلُّ ذلك محصور بالتنوع والرواية والسماع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف ، وإنما دخل المذهب على المنطقتين لظنهم أن المعاني لا تُعرف ولا تُستوضح إلا بطريقهم ونظرم وتكلفهم ، فترجموا لغةً هم فيها ^(١) ضغفاء ناقصون . وجعلوا تلك الترجمة صناعة ، وأدعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى .

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال : أما تعرف ^(٢) يا أبا بشر أن الكلام أسمى واقع على أشياء قد أثقلت بمراتب ، وتقول ^(٣) بالمثل : هذا ثوب والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوبا ، لأنه نُسَجَ بعد أن غزل ، فسداته لا تكفي دون لُحْمَتِهِ ولُحْمَتُهُ لا تكفي دون سَدَاتِهِ ، ثم تأليفه ^(٤) كنسجه ، وبلاغته كقصارته ^(٥) ورقة سِلْكِهِ كَرِقَّة لفظه ، وغِلْظُ غِزْلِهِ ككثافة حروفه ، ومجموع هذا كله ثوب ، ولكن بعد مقدمة كلِّ ما يحتاج إليه فيه .

قال ابن القرات : سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى ، فإن هذا كلما توالى

(١) عبارة الأصل : « فترجموا لغتهم فهما » ؛ وهو تحريف .

(٢) رواية المقابسات : « ألا تعلم » والمعنى عليه يستقيم أيضا .

(٣) عبارة المقابسات : « مثال ذلك أن هول » والمعنى عليه أيضا .

(٤) كذا في المقابسات . والقي في الأصل : « بالنقل » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لنضارته » ؛ وهو تحريف .

عليه بان أقطاعه ، وأنخفض أرتفاعه ، في المنطق الذي ينصره ، والحق الذي [١٧] يُبصره .

قال أبو سعيد : ما تقول في رجل يقول : « لهذا على درهم غير قيراط ؛ ولهذا الآخر على درهم غير قيراط » . قال : مالى علم بهذا التَّمَط . قال : لست نازعا عنك حتى يصحّ عند الحاضرين أنك صاحب غرقة وزرق^(١) ، هاهنا ما هو أخفّ من هذا ، قال رجل لصاحبه : « بكم الثوبان المصبوغان » ، وقال آخر : « بكم ثوبان مصبوغان » وقال آخر : « بكم ثوبان مصبوغين » بين هذه المعاني التي تضمّنها لفظ لفظ .

قال متى : لو نثرت أنا أيضا عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالى .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه ، فإن كان له علاقة بالمعنى صحّ لفظه على العادة الجارية أجبت ، ثم لا أبالى أن يكون موافقا أو مخالفا ، وإن كان غير متعلّق بالمعنى رددته عليك ، وإن كان متصلا باللفظ ولكن على وضع لكم في الفساد على ما حشوتكم به كتبكم رددته أيضا لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة في لغة مقرّرة بين أهلها .

ما وجدنا لكم إلّا ما أستمعتم من لغة العرب [كالسبب والآلة^(٢)] والسبب والإيجاب والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمل والمحصور وأمثلة لا تنفخ ولا تجدى ، وهى إلى اليمى أقرب ، وفي القهاهة أذهب .

(١) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل . وقد أبتناها عن اللغات .
(٢) يريد بالزرق : الخنازير كما يستفاد من كتب اللغة فقد ورد في اللسان ومستدرك الخازن « رجل زرق » ، أى خداع . ولم يذكر في هذين الكتابين فعله ولا مصدره .
(٣) الزيادة التي بين مربعين عن اللغات ومعجم الأدياء .

ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر ، لأنكم لا تقولون ^(١) بالكتب ولا هي مشروحة ، فتدعون الشر ولا تعرفونه ^(٢) وتدكرون ^(٣) الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب ؛ وقد سمعتُ قائلكم يقول : الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان . فإن كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب ، وإن كانت الحاجة قد مسّت إلى ما قبل البرهان ، فهي أيضا ماسة إلى ما بعد البرهان ، وإلا فلم صنف مالا يحتاج إليه ويستغنى عنه . هذا كله تخطيط وزرق وتهويل وردد وبرق .

وإنما بودكم ^(٤) أن تشغلوا جاهلا ، وتستذلوا عزيزا ؟ وغايتكم أن تهوّلوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص ، وتقولوا : الهليّة ^(٥) والأينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والأينية ^(٦) والليسية والنفسية ؟ ثم تتناولون ^(٧) فتقولون : « جئنا بالسّحر » في قولنا : « لا » في شيء من « ب » و « ج » في بعض « ب » ، ف « لا » في بعض « ج » و « لا » في كل « ب » و « ج » في كل « ب » فإذن « لا » في كل « ج » ^(٨) ؛ هذا بطريق الخلف ، وهذا بطريق الاختصاص .

(١) كنا في المقاييس . والتي في الأصل : « تقولون » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « تدكرون » ؛ وما أثبتناه عن المقاييس .

(٣) في المقاييس « وتدعون » ؛ والمعنى يستعين عليه أيضا .

(٤) في الأصل : « قولكم » ؛ وهو تحريف .

(٥) الهلية والأينية : نسبة إلى « هل » و « أين » الاستغمايتين ؛ والنسبة في الألفاظ التي بعدها معروفة .

(٦) الأينية والليسية : الإثبات والنفي .

(٧) في المقاييس : « يخطون » أي يشدد بالطاء .

(٨) كنا في الأصل ، ولعل صحة العبارة : لا « ا » في شيء من « ب » و « ج » في

بعض « ب » ف « ا » إذن لا في « ج » و « ا » لا في كل « ب » و « ج » في بعض « ب »

ف « ا » إذن ليس في « ج » كما يقتضيه علم المنطق .

وهذه كلها خرافات وشرهات ، ومغالق وشبكات ؛ ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقُب رأيه وأثارت نفسه أستغنى عن هذا كله — بعون الله وفضله — وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي وإثارة النفس من منافع الله الهنيئة ، ومواهبه السنية ، يختص بها من يشاء من عباده وما أعرف لأستطالركم بالمنطق وجها ، وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم وتبع طريقكم ، وبين خطأكم ، وأبرز ضعفكم ، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه [كلمة واحدة ^(١)] مما قال ، وما زدتم ^(٢) على قولكم : لم يعرف غرضنا ولا وقف على مرادنا ، وإنما تكلم على وهم . وهذا منكم تحاجر ونكول ورضى بالعجز وكلول ، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه ^(٣) اعتراض هذا قولكم في « يفعل ويفعل » لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقفهما ، ولم تتقوا على مقاسمتهما ، لأنكم قنستم فيهما يوقوع الفعل من « يفعل » وقبول الفعل من « يفعل » ، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ، ومعارف ذهبت عنكم وهذا حالك في الإضافة .

فأما البذل ووجوهه ، والمعرفة وأقسامها ، والنكرة ومراتبها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، فليس لكم فيه مقال و [لا] مجال .
وأنت إذا قلت للإنسان . « كن منطقياً » ، فإنما تريد : كن عقلياً أو عاقلاً أو عقل ما تقول ^(٤) لأن أصحابك يزعمون أن النطق هو العقل ؛ وهذا قول مدخول ، لأن النطق على وجوه أتم عنها في سهو .

(١) البارة التي بين مربعين عن المقاييس .

(٢) في الأصل : « زدتم » والكلف زيادة من الناسخ .

(٣) « عليه » .

(٤) « ما يكون » .

وإذا قال لك آخر : « كن نحوياً لنوياً فصيحاً » فإنما يريد : انهم عن نفسك ما تقول ، ثم رُم أن يفهم عنك غيرك .

وقدّر اللفظ على المعنى فلا يفضل عنه ، وقدّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه ؛ هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به . فأما إذا حاولت قرّش المعنى وبسط المراد فأجل اللفظ بالروادف للوضحة والأشياء المقرّبة ، والاستعارات الممتعة ، وبين^(١) المعاني بالبلاغة ، أعنى لوّح منها شيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها ، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه عزّ وحلا ، وكرم وعلا ؛ وشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمتري [فيه] أو يتمب في فهمه أو يُعرج عنه لأعتماضه ؛ فهذا المذهب يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشياء الحقائق ؛ وهذا باب إن استقصيته خرج من نمط مانحن عليه في هذا المجلس ؛ على أنى لا أدري أيؤثر فيك ما أقول أو لا ؟

ثم قال : حدّثنا هل فصلتم [قط] بالمنطق بين مختلفين ، أوفستم الخلاف بين اثنين ؛ أثرك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة ، وأن الواحد أكثر من واحد ، وأن الذى هو أكثر من واحد هو واحد ، وأن الشرع ما تذهب إليه ، والحق ما تقوله^(٢) ؟ هيات ، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم ، وتديق عن عقولهم وأذهانهم .

ودع هذا ، هاهنا مسألة قد أوقمت خلافاً ، فارفع ذلك الخلاف بمنطقتك . قال قائل : « لفلان من الحائط إلى الحائط » ما الحكم فيه ؟ وما قدر المشهود به لفلان ؟ قد قال ناس : له الحائطان معا وما بينهما . وقال آخرون :

(١) في نسخة الأديب : « وسد » .

(٢) « ما قوله » .

له [النصف من كلٍ منهما . وقال آخرون ^(١) : له] أحدهما . هات الآن آيتك الباهرة ، ومعجزتك القاهرة ، وأنت لك بهما ، وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك .

ودع هذا أيضا ؛ قال قائل : « من الكلام ما هو مستقيم حسن ، ومنه ما هو مستقيم محال ، ومنه ما هو مستقيم قبيح ، ومنه ما هو محال كذب ، ومنه ما هو خطأ » . فسر هذه الجملة . وأعرض عليه عالم آخر ، فاحكم أنت بين هذا القائل والمعرض وأرنا قوة صناعتك التي تميز [بها] بين الخطأ والصواب ، وبين الحق والباطل ؟ فإن قلت : كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سممت مقالته ، والآخر لم أحصل أعتراضه ؟ قيل لك : استخرج بنظرك الأعتراض إن كان ما قاله محتملا له ، ثم أوضح الحق منهما ، لأن الأصل مسموع لك ، حاصل عندك وما يصح به أو يرد عليه يجب أن يظهر منك ، فلا تتعاسر ^(٢) علينا ، فإن هذا لا ينبغي على [أحد ^(٣) من] الجماعة .

قد بان الآن أن مركب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل ؛ والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة ؛ وليس في قوة اللفظ من أى لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به ، وينصب عليه سورا ، ولا يدع شيئا من داخله أن يخرج ، ولا شيئا من خارجه أن يدخل ، خوفا من الاختلاط الجالب للفساد ، أغنى أن ذلك يخلط الحق بالباطل ، ويشبه الباطل بالحق ؛ وهذا الذى وقع الصحيح منه فى الأول قبل وضع المنطق ، وقد عاد ذلك الصحيح فى الثانى بعد ^(٤) للمنطق ؛

(١) الكلمة التى بين مربعين لم ترد فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٢) « تغلش » .

(٣) كذا فى المقابسات . والى فى الأصل : « على من حضرته » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به معنى الجملة .

(٤) فى المقابسات « بهذا » .

وأنت لو عرفتَ تصرفَ العلماء والفقهاء في مسائلهم ، ووقفتَ على غورهم في نظريهم وغوصهم في استنباطهم ، وحسن تأويلهم لما يرد عليهم ، وسمعة تثقيفهم للوجوه المحتملة والكنايات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة ، لحقرتَ نفسك ، وأزدريتَ أصحابك ، ولكان ما ذهبوا إليه وتابَعوا عليه أقلَّ في عينك من الشها عند القمر ، ومن الحصى عند الجبل . أليس الكنديُّ وهو علم في أصحابك يقول ^(١) في جواب مسألة « هذا ^(٢) من باب عدّ » . فقدَّ الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإيمان من ناحية الوم بلا ترتيب ، حتَّى وضعوا له مسائل من هذا الشكل وغالطوه بها وأزوه أنَّها من الفلسفة الناطقة ، فذهب عليه ذلك الوضع ، فاعتقد فيه أنَّه [صحيح وهو ^(٣)] مريض العقل فاسد الزواج حائل الفريضة مشوشُ اللَّب .

قالوا له : أخبرنا عن أصطِكَاك ^(٤) الأجرام ، وتضاغط الأركان ؟ هل يدخل في باب وجوب الإيمان ؟ أو يخرج من باب القُفْدان إلى ما يَحْتَجُّ عن الأذهان ؟ وقالوا له أيضا : ما نسبة الحركات الطبيعية إلى الصور الهيولانية ؟ وهل هي ملابسة للكِيان في حدود النظر والبيان ، أو مزايِلَةٌ له مزايِلَةٌ على غاية الإحكام ؟ وقالوا له : ما تأثير قُفْدان الرِّجْدان في علم الإيمان عند أمتناع الواجب من وجوبه في ظاهرٍ مالا وجوب له لاستحالة في إمكان أصله ؟ وعلى هذا فقد حُظِّف جوابُه عن جميع هذا على غاية الزكَاكة والضَّمف [والفساد] والفسالة

(١) في الأصل : « يقولون » ، والواو والنون زيادة من التناسخ .
 (٢) في الأصل : « عدم » ، وفي بعض المصادر الأخرى « عدة » وهي غير واضحة للشيء في كلتا الروايتين ؟ ولعلَّ الصواب ما أثبتنا .
 (٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .
 (٤) في الأصل : « استصحابك » ؟ وهو تعريف .

والسُخْف . ولولا التوقُّ من التطويل لسردتُ ذلك كله ، ولقد مرَّ بي في خطَّة :
التفاوت في تلاشي الأشياء غيرُ محاطٍ به ، لأنَّه يلاقي الاختلاف في الأصول
والأتاقَ في القروع ؛ وكلُّ ما يكون على هذا النهج فالنِّكْرَة تُزاحم عليه
المعرفة ، والمعرفة تُناقض النِّكْرَة ، على أنَّ النِّكْرَة والمعرفة من باب الإلهية العارضة في
المارية من ملابس الأسرار الإلهية ، لا من باب الإلهية العارضة في
أحوال البشرية .

ولقد حدثنا أصحابنا الصابئون عنه بما يُضحك الشكلى ويُسِمُّه الصنو
ويُسمُّه الصديق ، وما وِثَّ هذا كله إلَّا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق
ونسأل الله عصمة وتوفيقاً نهتدى بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل ، والقول
الجارى على التعديل ، إنَّه سميع مجيب .

هذا آخرُ ما كتبتُ عن علي بن عيسى الزماني الشيخ الصالح بإملائه .
وكان أبو سعيد قد رَوَى لَمَّا من هذه القصة .

وكان يقول : لم أحفظ عن نفسي كلَّ ما قلتُ ، ولكن كتب ذلك أقوامٌ
حَضَرُوا في ألواح كانت معهم ومحابرُ أيضاً ؛ وقد أختلَّ علي كثير منه .

قال علي بن عيسى : وتقرَّض المجلس وأهله يتعجبون من جأش أبي سعيد
الثابت ولسانه المتصرف ووجهه المتهلَّل وفوائده المتتابعة .

وقال الوزير ابن القرات : عين الله عليك أيها الشيخ ، فقد نَدَيْتُ أكباداً
وأقررتُ عيوناً ، وبيضتُ وجوهاً ، وحُكَّتْ طِرَازا لا يبلبه الزمان ، ولا يتطرق
إليه الحدثان .

قلت لعلِّي بن عيسى : ومكم كانت مِن أبي سعيد ^(١) في ذلك الوقت ؟

(١) في الأصل : « علي بن عيسى » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

قال : مولده سنة ثمانين ومائتين ، وكان له يوم المناظرة أربعمائة سنة ، وقد عَهِثَ الشَّيْبُ بِهَازِمِهِ ^(١) مع السَّمْتِ والوَقَارِ والدِّينِ والجِدِّ ، وهذا شمار أهل الفضل والتقدم ، وقلَّ من تظاهر به أو تحلى بحليته إلا جَلَّ في الميرون وعظم في النفوس ، وأحَبَّتْهُ القلوب ، وجرت بملحه الألسنة .

وقلت لعلِّي بن عيسى : أما كان أبو علي ^(٢) القسوي النحوي حاضراً المجلس ؟ قال : لا ، كان غائبا ، وحُدِّثَ بما كان ، فكان يكتم الحسد لأبي سعيد على ما فاز به من هذا الخبر المشهور ، والثناء المذكور .

(٣) قال لي الوزير ^(٣) عند منقطع هذا الحديث : ذكرتن شيئا قد دار في نفسى مرارا ، وأحييت أن أقف على واضعه ؛ أين أبو سعيد من أبي علي ، وأين علي بن عيسى منهما ، وأين ابنُ الراغبي أيضا من الجماعة ؟ وكذلك التَّزَيُّاتُ وأبن شاذان وأبن الوراق وأبن حَيَّويه ؟

فكان من الجواب ، أبو سعيد أجمعٌ لشمل العلم ، وأنظمُ للذاهب الرَّبِّ وأدخلُ في كلِّ باب ، وأخرجُ من كلِّ طريق ، وأزَمُ للعبادة الوسطى في الدين والخلق ، وأروى في الحديث ، وأقصى في الأحكام ، وأقنه في الفتوى ، وأحضرُ بركة على المختلفة ، وأظهرُ أثرا في المقتبسة . ولقد كتب إليه نوح بن نصر — وكان من أديباء ملوك آل سامان — سنة أربعين ^(٤) كتابا خاطبه فيه بالإمام

(١) الهازم : جمع لهزمة بكسر اللام ، وهي مجسم الهم بين الماسخ والأذن ؛ أو هي العظم الثاني في العيبة تحت الأذن ، وهما لهزمتان ؛ ويريد هنا الشعر الثابت عليهما .

(٢) أبو علي القسوي ، هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي ، ولد بمدينة فسا سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وكان إمام وقته في علم النحو وله فيه كثير من المؤلفات الرافية النافذة ، وتوفي في سنة سبع وسبعين وثلثمائة .

(٣) يريد الوزير أبا عبد الله الفارسي .

(٤) أى وثلثمائة .

وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة ، القالب عليها الحروف ، وباقى ذلك أمثال مصنوعة على العرب شكّ فيها فسأل عنها ؛ وكان هذا الكتاب مقرونا بكتاب الوزير البلقينيّ خاطبه فيه بإمام المسلمين ، ضمنه مسائل في القرآن وأمثالا للعرب مشكلة .

وكتب إليه الترمذيان بن محمد ملك الديلم من أذربيجان كتابا خاطبه فيه بشيخ الإسلام ، سأله عن مائة وعشرين مسألة ، أكثرها في القرآن ، وباقى ذلك في الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضوان الله عليهم .
وكتب إليه ابن حنّزابة من مصر كتابا خاطبه فيه بالشيخ الجليل ، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث للروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف .

وقال لي البارقلقيّ سنة سبعين : أنا جمعت ذلك لأبن حنّزابة على طريق المعونة .

وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتابا يخاطبه فيه بالشيخ الفرد ، سأله عن سبعين مسألة في القرآن ، ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر ، هكذا حدثني به أبو سليمان ؛ وأربعين مسألة في الأحكام وثلاثين مسألة في الأصول على طريق للتكلمين .

قال لي الوزير : وهذه المسائل والجواب عنها عندك ؟ قلت : نعم . قال : في كم تقع ؟ قلت : لعلها تقع في ألف وخمسمائة ورقة ، لأن أكثرها في الظهور . قال : ما أحوجنا إلى النظر فيها والأستمتاع بها والأستفادة منها ! وأين الفراغ وأين السكون ؟ ونحن كل يوم ندفع إلى طائفة تبنى ما سلف ، وتوعد بالهامية

اللهم هذه ناصيتي بيدك ، فتولني بالعصمة ، وأخصني بالسلمة ، وأجعل عقبائي إلى الحسنى .

ثم قال : صل حديثك .

قلت : وأما أبو علي^(١) فأشدّ تفرّدا بالكتاب^(٢) وأشدّ إكبابا عليه ، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين . وما تجاوز في اللغة كُتُبَ أبي زيد ، وأطرافا مما لغيره ؛ وهو متّقد بالتيظ على أبي سعيد ، وللمسألة ، كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره بغيره . وأمثاله وشواهد وأبياته (ذلك بفضل الله يؤتيه من يشاء) ؛ لأن هذا شيء ما تمّ للمبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لأبن درستويه مع سعة علمهم ، وفيض كلامهم .

ولأبي على أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتل ، ولكنه قد على الكتاب^(٣) على النظم المروف :

وحدثني أصحابنا أن أبا علي أشتري شرح أبي سعيد في الأهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين — لاحقا بالخدمة للرسمية به ، والندامة^(٤) للوقوف عليه — بألني درهم ؛ وهذا حديث مشهور ، وإن كان أصحابه يابون الإقرار به إلا من زعم أنه أراد النقض عليه ، وإظهار الخطأ فيه .

وقد كان الملك السعيد — رضى الله عنه — ممّ يالجع بينهما فلم يقض له ذلك ، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة

(١) يريد أيا على القسوى السابق ذكره .

(٢) يريد بالكتاب كتاب سيبويه .

(٣) يريد بالكتاب كتاب سيبويه . يقول : إنه اختصر على دراسته على الطريقة المروقة .

(٤) الندامة ، أى للندامة على المراءب ، بدليل ما يأتي بعد في سطر (١) من صفحة ١٣٢ .

وأبو علي يشرب ويتخالف ويفارق هذى أهل العلم وطريقة الربانيين^(١)
وعادة المتسكين .

وأبو سعيد يصوم الدهر ، ولا يصلّ إلا في الجماعة ، ويقف على مذهب
أبي حنيفة ، ويلي القضاء سنين ، ويتأله^(٢) ويتخرج ، وغيره بمنزل عن هذا ؛
ولولا الإبقاء على حرمة العلم ، لكان القلم يجري بما هو خافٍ ويخبر بما هو مجتبى^(٣)
ولكن الأخذ بحكم الرواة أولى ، والإعراض عما يجلب اللأمة أخرى .

وكان أبو سعيد حسن الخط ، ولقد أراد الصيّريُّ أبو جعفر على الإنشاء
والتحريير فاستمقى وقال : هذا أمر يحتاج فيه إلى دُرّة وأنا عارٍ منها ، وإلى
سياسة وأنا غريب فيها * ومن القضاء رياضة الهرم *

وحدثنا النّصريُّ^(٤) أبو عبد الله — وكان يكتب النوبة للهليّ — بحديث
مفّند^(٥) لأبي سعيد هذا موضعه ، قال : كنت أخط بين يدي الصيّريِّ أبي جعفر
محمد بن أحمد بن محمد ، فالتفتي يوما لأن أجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب
علم يجدي ، وكان أبو سعيد السيرافيّ بحضرته ؛ فظنّ^(٦) أنه بفضل علمه أقوم
بالجواب من غيره ، فتمتدّ إليه أن يكتب ويحيب ، فأطال في عمل نسخة كثر
فيها الضرب والإصلاح ، ثم أخذ يحرّر ، والصيّريُّ يقرأ ما يكتبه ، فوجده مخالفا

(١) الرباني : التآلف المارف باقه . وفي الأصل : « اقبايين » ولم نجده في كتب اللغة .
هنا المعنى .

(٢) يتأله ، أي يحيد ويتسك .

(٣) مجتبى : من جيم السلام في نفسه إذا لم يبينه يريد به المستر الخافي .

(٤) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والقي في الأصل :
النّصري ؛ وهو تحريف .

(٥) « سعد » .

(٦) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والقي في الأصل : « فبان » .

لجاري المادة لفظاً ، مبيناً لما يريد^(١) ترتيباً .

قال : ودخلت في تلك الحال ، فتمثل الصيّريُّ بقول الشاعر :

يا باري القوسِ برّياً ليس يُصلِّحه لا تظلم القوسَ ، أعطِ القوسَ باريها

ثم قال لأبي سعيد : خفف عليك أيها الشيخ وأدفع الكتاب إلى أبي عبد الله تلميذك ليجيب عنه ، فحجل من هذا القول ، فلما ابتدأت الجواب من غير نسخة تخيرني أبو سعيد ، ثم قال : أيها الأستاذ ، ليس بمستنكر ما كان مني ، ولا بمستكثر ما كان منك ، إن مال النّيء لا يصح في بيت للال إلا بين مستخرج^(٢) وجبّذ ، والكتاب جهابذة الكلام ، والعلماء مستخرجوه . فتبسم الصيّريُّ وأعجبه ما سمع ، وقال : على كل حال ما أخليتنا من فائدة .

وكان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنه كان يُقرأ عليه القرآن والفقهُ والشروط والقرائض والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والمهندسة والحديث والأخبار . وهو في كل هذا إماماً في النّاية وإماماً في الوسط .

وأما علي بن عيسى^(٣) فضالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض واللفظ ، وعيب به ، إلا أنه لم يسلُك طريق واضح المنطق ، بل أفرّد صناعة ، وأظهر براعة ، وقد عمل في القرآن كتاباً قيساً ، هذا مع الدّين الثخين ، والعقل الرزين .

وأما ابن الراغبي^(٤) فلا يلحق بهؤلاء ، مع براعة اللفظ ، وسعة الحفظ ، وعزّة

(١) في معجم الأدباء : « مأثورة » .

(٢) مستخرج الأموال ، أي جايها ومحصلها . والجهذ : الناقد السارف بالجد والردى .

(٣) يربد بن عيسى أبا الحسن الرماني وهو إمام في العربية ، كان علامة في الأدب ،

إماماً في النحو ، بصيراً بالمعاني ، مقتلياً ، مات سنة ٣٨٤ .

(٤) ابن الراغبي هو أبو الفتح محمد بن جعفر المبدائي وكان معلماً في دولة أبي منصور ،

وكان حافظاً نحويّاً بليغاً إخبارياً في نهاية العرف والمهرة ؛ وله من الكتب كتاب البهجة على

مثال كتاب الكامل .

النفس ، وبلل^(١) الريق ، وغزارة الثَّغث ، وكثرة الرواية ؛ ومن نظر في كتب
البهجة له عرف ما أقول ، واعتقد فوق ما أصف ، ونحل^(٢) أكثر مما أبذل .
وأما الرزبان^(٣) وأبن شاذان وأبن القرمسيفي وأبن حيوية^(٤) فهم رواة
وحلة ليس لهم في ذلك تقط ولا إعجام ، ولا إسراج ولا إجمام .

(٤) قال : فصل حديثك [عن^(٥)] هؤلاء بحديث أصحابنا الشعراء ، صف لي
جماعتهم ، وأذكر لي بضاعتهم ، وما خص كل واحد منهم . قلت : لست من
الشعر والشعراء في شيء ، وأكره أن أخطو على دحض^(٦) ، وأحتسب غير
معض . قال : دع هذا القول ، فما خُصنا في شيء إلى هذا الوقت إلا على غاية
ما كان في النفس ، ونهاية ما أقاد من الأنس ، فكان من الوصف :

أما السلاوي^(٧) فهو حلو الكلام ، متسق النظام ، كأنما يسيم عن ثغر النعام
خفي السرقة ، لطيف الأخذ ، واسع المذهب ، لطيف المتأخرس ، جميل اللباس ؛
لجلامه لينة^(٨) بالقلب ، وعبث بالروح ، ويرد على الكبد .

-
- (١) بلل الريق : كناية عن الاتساع في الكلام .
(٢) « نحل » الخ أي أضاف إليه من الفضائل أكثر مما أبذل في وصفه .
(٣) الرزبان ، هو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، أصله من خراسان ، كان
من الأديباء الأخباريين المصنفين ، وله كتب كثيرة في الأدب والتاريخ عدها صاحب الفهرست
وقال : إنه كان صادق الهجة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع ، ومات سنة ٢٧٨ .
(٤) ابن حيوية ، هو محمد بن حيوية بن الأزمل ، عالم نحوي من أهل همدان مات سنة ٢٧٢ .
(٥) لم ترد هذه الكلمة في الأصل .
(٦) على دحض ، أي على مزلة ومزلة للأقدام .
(٧) السلاوي : من أشعر أهل الرقاق ، عربي الأصل من بني غزوم ، ولد بكر بن شداد
سنة ٢٣٦ واتفق بالصاحب بن عباد وضد الدولة البويهية ومدحهما ، وقد روى له صاحب
التيمة كثيرا من شعره ، مات سنة ٣٩٤ .
(٨) لينة بالقلب ، أي التصاب به وتعلق .

وأما الحائمي^(١) فنليظ اللفظ ، كثير المقد ، يجب أن يكون بدوياً قحاً ،
وهو لم يسم حصرنا ؛ غير أن المحفوظ ، جامع بين النظم والنثر ، على تشابه بينهما في
الجودة^(٢) وقلة السلاسة ، والبعد من البسوك ، بادي العورة فيما يقول ، لكأنما
يبرز ما يخفى ، ويكدر ما يصفى ، له سكرة في القول إذا أفاق منها خير^(٣) وإذا
خير سدر^(٤) ؛ يتناول شاخصاً ، فيتضامل متعاصراً ؛ إذا صدق فهو مهن ، وإذا
كذب فهو مبين .

وأما ابن جليات^(٥) فجنون الشعر ، متفاوت اللفظ ، قليل البديع ، واسع
الحيلة ، كثير الزوق^(٦) ، قصير الرشاء^(٧) ، كثير الغناء^(٨) ؛ غزوة نقاهة^(٩)
ونقاهة نقاهة .

-
- (١) هو محمد بن الحسين الحائمي ، مدح الخليفة القادر بالله ؛ وله الرسالة الحاتمية التي
شرح فيها ما جرى بينه وبين النبي ، مات سنة ٣٨٨ .
(٢) عبارة الأصل : « على تشابه بينهما في الجودة وقلة السياسة والبعد من البسوك » ؛ وفي
هذا الكلام تحريف لا يستقيم به للنبي في ثلاثة ألفاظ ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .
(٣) . نجر ، أي أصيب بالجار ، وهو ألم في الرأس وصداغ يقبلان السكر . والكلام هنا
على طريق الاستعارة .
(٤) سدر : تخير . أو لم يبال ما صنع ولم يهتم . وكلا التفسيرين يستقيم به للنبي .
(٥) في الأصل : « ابن الحليات » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا . وهو أبو القاسم علي بن
جليات ، ذكره صاحب القيمة في الجزء الثاني من ٢٧٠ وروى شيئاً من شعره .
(٦) في الأصل : « الرزق » ؛ وهو تحريف . وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا ، فانه
يصدد الكلام في الشعر لا في الرزق . والزوق بالتحريك : جمع زاووق ؛ وهو ما يحسن به
الشيء وزين ، والمراد هنا ما يحسن به الشعر تحميئنا ظاهرنا . والزاووق في الأصل :
الزريق ، وكان يدخل في التصاور ، ولبك قالوا لكل مزين : مزوق .
(٧) الرشاء : الحب الذي يستقي به ، والمراد هنا قصر بارعة في الشعر وقصوره عن الإطالة .
(٨) الغناء في الأصل : البالي من ورق الشجر الخاطب زيد السيل . ويريد به هنا
ما لا قائمة فيه ، ولا يحد به .

- (٩) اتفاق بفتح البون : الرواج . ونقاهة بتشديد القاء : روجه . والمراد رواج شعره
واتقاربه بين الناس ، وعبارة الأصل : « غزوة نقاهة ونقاهة نقاهة » وفي كلتا الجملتين تصحيف .
فإنما على أيها على هذا الوضع لا يستقيم بهما السجع الذي يريده المؤلف كما يظهر .

وأما الخالق^(١) فأديب الشعر ، صحيحُ النَّحْتِ ، كثيرُ البديع ، مستوى^(٢) الطريقة ، متشابهُ الصَّنَاعَةِ ، بيدٌ من طَفَرَةٍ للتَّحْيِيرِ ، قريبٌ من فُرْصَةٍ للتَّخْيِيرِ ؛ كان ذو الكفَّاءَينِ يقدِّمه بالرَّحْمَى ، وَيَقْبَلُهُ عَلَى النَّشْرِ وَالطَّيِّ .

وأما مَسْكُوبُهُ^(٣) فتلطيفُ اللفظ ، رَطْبُ الأطراف ، رقيقُ الجوانِثِ ، سهلُ المآخِذِ ، قليلُ السَّكَبِ ، بعلَى السَّبَكِ ؛ مشهورٌ للماني ، كثيرُ التَّوَانِي ؛ شديدُ التَّوَقُّ ، ضعیفُ التَّرْقِي ؛ يَرِدُ أَكْثَرُ مَا يَصْدُرُ ، وَيَتَطَاوَلُ جُودُهُ ثُمَّ يَقْصُرُ ؛ وَيَطِيرُ بَيِّدًا وَيَقَعُ قَرِيبًا ، وَيَسْقِي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْفِرَ ، وَيَمْتَحِ^(٤) مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبَيِّهَ ؛ وَلَهُ بَدَ ذَلِكَ مَا خَذُ كَشْدُو^(٥) مِنَ الْفَلَسْفَةِ ، وَتَأْتِ^(٦) فِي الْخُلْدَةِ ، وَقِيَامُ بَرَسُومِ التَّدَامَةِ^(٧) ؛ وَسُنَّةُ^(٨) فِي الْبِخْلِ ، وَغَرَائِبُ مِنَ الْكُذْبِ ؛ وَهُوَ حَائِلُ^(٩) الْعَقْلِ لَشَفْعِهِ بِالْكِيَمِيَاءِ .

وَأَمَّا ابْنُ نُبَاتَةَ^(١٠) فَشَاعِرُ الْوَقْتِ ، لَا يَدْفَعُ مَا أَقُولُ إِلَّا حَاسِدًا أَوْ جَاهِلًا

- (١) هو أبو علي الحسن بن علي الخالغ شاعر من شعراء الوزير أبي نصر سائور بن أزدشير وهو من شعراء البَيْتَةِ .
- (٢) في الأصل : « متوسق » ، وهو تحريف . وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد : « متشابه » الخ .
- (٣) انظر التحريف به في ص ٣٢ رقم ٥ .
- (٤) متع القلو ومتع بها : استخرجها من البئر عند الاستواء ، وأما الحافر لإماعة : بلغ الماء واستخرج من الأرض . والكلام كله جار على طريق الاستعارة ، يشير بهذه البارة والتي قبلها إلى أنه يقدم ما حقه التأخير والعكس .
- (٥) شدا شدوا ، أخذ طرفاً من العلم والأدب .
- (٦) التأتى : التلطف .
- (٧) التدامة بكسر التون : حرفة للتدامة على السراب .
- (٨) « وثيقة » .
- (٩) حائل العقل ، أى متغير متحول من الاستواء إلى المروج .
- (١٠) ابن نباة السدي ، هو عبد العزيز بن محمد بن نباة من شعراء سيف الدولة بن حمدان ، واتصل كنفك بابن المييد ومدحه ؛ وقد سنة ٣٢٧ ومات ببغداد سنة ٤٠٥ .

أو معانِد ، قد لَحِقَ عصابةَ (سيف الدولة) وعدَدًا منهم ووراءهم ، حَسَنُ الصَّدْوِ
على مثال سَكَّانِ البادية ، لطيفُ الأتِّمَامِ بهم ، خفيُّ التَّمَاصِ في واديهم ، ظاهرُ
الإِطْلالِ على نادِيهم ؛ هذا مع شُعبَةٍ من الجنونِ وطائِفٍ من الوَسْواسِ .

وأَمَّا ابنُ حِجَّاجٍ ^(١) فليس من هذه الزُّمَرَةِ بشيء ، لأنَّه سَخِيفُ الطَّرِيقَةِ :
بَيْدٌ مِنَ الْحِدَّةِ ، قَرِيعٌ فِي الْمَزَلِ ؛ ليس للعقل من شِعْرِهِ مَنَالٌ ^(٢) ، ولا له في
قَرْنِهِ ^(٣) مِثَالٌ ؛ على أَنَّهُ قَوِيمُ اللَّفْظِ ، سَهْلُ الْكَلَامِ ، وَشِمَائِلُهُ نَائِبَةٌ بِالْوَقَاوِ
عن عاداته الجارية في الخَسَارِ ؛ وهو شريكُ ابنِ سُكْرَةَ في هذه التَّرَامَةِ ^(٤) ؛
وإذا جَدَّ أَقْمَى ، وإذا هَزَلَ حَكَى الْأَقْمَى .

وله مع ذِي الْكُفَايَتَيْنِ مَنَازِرَةٌ طَيِّبَةٌ . قال : ما هِيَ ؟ قلتُ : لما وردَ:
ذو الْكُفَايَتَيْنِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَهَزَمَ الْأَتْرَاكُ مَعَ أَفْتِكَيْنِ ^(٥) ، وكان من
الْحَدِيثِ ما هو مشهور ، سأل عن ابنِ حِجَّاجٍ — وكان متشوقاً له لِمَا كَانَ يُفَرِّغُ
عليه مِنْ قَوَافِيهِ ^(٦) ، فَأَحَبَّ أَنْ يَلْقَاهُ ، لأنَّه ليس الخُبْرُ كَالْمَعَامِيَةِ ، وَالسَّمُوعُ
وَالْبَصَرُ كَالْأَتَشِيِّ وَالذِّكْرُ ؛ يَنْزِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَمَامِهِ ؛ فَلَمَّا حَضَرَ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْتَبَسَهُ لِلْعُطَامِ ، وَصَمِعَ كَلَامَهُ ، وَشَاهَدَ سَمْعَتَهُ ، وَاسْتَحْلَى شِمَائِلَهُ ، قَامَ .

(١) هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحِجَّاجِ ، شاعر ماجن في شعره مشهور ، اتصل
بالوزير للملهي وساجور بن أزدشير وعضد الدولة وابن عباد وابن الميديد ، لقصمه منتخبات
في البيئية وفي المتحف البريطاني وفي مكتبة باريس ؛ وقد مات سنة ٣٩١ .

(٢) « مثال » .

(٣) « حميته » .

(٤) التراماة : الخسران .

(٥) في الأصل : « الوركين » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا فلا عن الكامل لابن
الأنبار وغيره .

(٦) في الأصل : « من فيه » بقطو القاف والواو والألف ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ،
إنَّه به يستقيم الكلام .

من مجلسه ؛ فلما خلا به قال : يا أبا عبد الله ، لقد والله تَهْتُ^(١) عَجَباً منك ، فأنا
عَجَبِي بك قد تقدم ؛ لقد كنت أفتي ديوانك ، فأنتى لقاءك ، وأقول : من
صاحب هذا الكلام ، أطلِسْ طائش ، وأخفْ خفيف ، وأغرْمْ غارم ؛ وكيف
يجالس من يكون في هذا الإهاب ؟ وكيف يقارب من ينسلخ من ملابس
الكتاب وأصحاب الآداب ؛ حتى شاهدتُك الآن ، قهالكُ على وفارك
وسكون أطرافك ، وسكون لفظك ، وتناسب حركاتك ، وفطر حياتك
وناضر ماء وجهك ، وتبادل كلِّك^(٢) وبعضك ؛ وإنك لمن عجائب خلق الله
وطرف عباده^(٣) ؛ والله ما يصدق واحد أنك صاحب ديوانك ، وأن ذلك الديوان
لك ، مع هذا التناقض الذى بين شعرك وبينك فى جدك . فقال أبو عبد الله :
أيها الأستاذ ، وكان عجبى منك دون عجبك منى ، لو تقارنا على هذا القلبعت عليك
بالعجب منك . قال : لأنى قلت : إذا ورد الأستاذ فسألنى منه خلقت جافيا
وقفًا^(٤) غليظا وصاحب رولسير^(٥) وأكل كوامخ^(٦) وجيلنا ديلنيا متكابنا
متعاطلا ، حتى رأيتك الآن وأنت أطف من الهواء ، وأرق من الماء ، وأغرل
من جميل^(٧) بن ممر ، وأغلب من الحياة ، وأرزن من الطود ، وأعز من

(١) تهت ، أى تحيرت .

(٢) فى الأصل : « نجلك » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل من هذه الكلمة العين والباء ، ورجعت الماء بيده عنها .

(٤) « وعظما » .

(٥) فى الأصل : « رواسير » .

(٦) الكوامخ : جمع كامخ يفتح الليم ، وهو إدام يؤتم به يقال له : المرعى ، ويقال :
هو الردى منه ؛ وقيل : هو خبز مجل مرتب « كاه » بالفارسية ؛ وخصه بعضهم بالخللات
التي تستعمل لتشهى الطعام .

(٧) جميل بن ممر ، هو المعروف بجميل بئنة المنرى .

البحر ، وأبهى من القمر ، وأندى من العيث ، وأشجع من الليث ، وأنطق من سخيان ، وأندى من الغمام ، وأعد من السهام ، وأكبر من جميع الأنعام .
 قال أبو الفتح وتبسم : هذا أيضا من ودائع^(١) فضلك ، وبواعث تفضلك .
 ووصله وصرفته .

قال^(٢) : لم يكن هذا الحديث عندي .

وأما بشر بن هارون فليس من هذه الطيقة في شيء ، لكنه يقرض فيختر^(٣) ويتسم فيختر ، ويخرج فيختر ، والتدهؤون^(٤) منه كثير ؛ « وأصحابنا^(٥) يستحسنون قول ابن الحجاج في الوزير حين يقول :

لله در الحسين من قر ردت إليه وزارة الشمس

فقال : إن قبلت هذا منهم خفت أن يقال : مادح نفسه بقرئك السلام ؛ وما أصنع بهذا البيت وهو مضموم إلى كل بيت تصخيف في القصيدة » .

ثم قال : وجب أن نصف قبل هذا عصاية العلماء ، فلم تركنا ذكرهم ونحن لا نخلو في حديثهم من غرّة لأئمة ، وقائدة نافعة ، وصواب زائد في العقل وفضيلة على الأدب ، وحلم يزdan به في وقت الحاجة ، وحكمة يستعان بها في داهية ؛ ورأى يكون مقيلا للتمييز عند تهجيرنا به .

(١) من ودائع فضلك ، أى من فضلك التى تودعه لدينا فنحفظه لك ونؤديه إليك جزءا وفاقا .

(٢) قال ، أى الوزير أبو عبد الله العارض .

(٣) فى الأصل : « يقرض فيختر » ، وهو تصخيف فى كلنا الكلمتين . ويريد بهذه العبارة والعبارتين التين بعدما أن أثره بالغ غايته فى الهجاء .

(٤) الدهوون ، أى للبتون بالدواهي منه .

(٥) الظاهر أن هذا الكلام الذى بين هاتين العلامتين مؤخر عن موضعه وموضعه الكلام فى ابن حجاج السابق ذكره لاذ لا مناسبة بينه وبين ما هنا .

قلتُ : أما أبو عبد الله الجبل^(١) فقد شاهدته . قال : صدقت ، ولكن لم أقف على مذهبه ودُخْلته وسيرته في اعتقاده .

قلتُ : كان الرجل ملتهب الخاطر ، واسع أطراف الكلام ، مع غثاثة اللفظ ، وكان يرجع إلى قوة عجيبة في التدريس ، وطول نفس في الإملاء ، مع ضيق صدر عند لقاء الخضم ومعاركة الترن ، بيد العهد بالمصاع والدفاع والوقاع ؛ وكان سببُ هذا الجبن والخَوَر قلة الضراوة على هذه الأحوال ؛ ولقد خَرَّيَ في مشاهد عظيمة .

وأما يقينه فكان ضميما ؛ وأما سيرته فكانت واقعة على حب الرياسة وبذل المال والجاه إذا حضرا ، مع تعصب شديد لمن قدّمه وأحبّه ، وإنحاد مفرط على من عاداه ، وكان خَوْضُهُ في الدُول والولايات — ولهذا رغب عنه^(٢) الواسطي وكان أخا ورع ودين — وقال^(٣) : هذا متفرّ^(٤) عن الدين وللذهب ، ودافع^(٥) للناس عن القول بالحق ، وطارح للشبهة في القلوب .

وكان يجهز بهذا وأشباهه ، ولكن كان جاه الرجل لا يُنْقَص بهذا القُدو وركنهُ لا يتخلخل على هذا الهدى ، لأسباب انقلبت له ، وأحجاب ذُبروا عنه .

وأما ابن الملاح فشيخ حسن المعرفة بالمذهب ، شديد التوقى ، محمود الفعاعة

(١) في الأصل « جبل » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . والجبل ، هو أبو عبد الله الحسين بن علي ، أصله من البصرة وبها ولد سنة ٣٠٨ وانتهت إليه الرياسة في علم الكلام في مصره . وكان كذلك فيها ، وله كتب في الكلام وكتب في الفقه ، من أشهر كتبه في الكلام كتابه تنقيح كلام الرازي وتنقيح كلام الرازي . مات بغداد سنة ٣٩٩ .

(٢) « فيه » .

(٣) وقال ، أي الواسطي .

(٤) « متفر » .

(٥) « واقف » .

ظاهر الرضا ؛ تَدُلُّ ^(١) سيرته الجميلة على أنه حَسَنُ العقيدة .

وأما ابنُ العلم ^(٢) فَحَسَنُ اللسان والجَدَل ، صبور على الخضم ، كثيرُ الحيلة ظنين ^(٣) السر ، جميلُ العلانية .

وأما أبو إسحق النصيبي فدقيقُ الكلام ، يشكُّ في النبوات كلها ، وقد سمعتُ منه فيها شُبهاً ، ولُفَتَه ^(٤) معقَّدة ، وله أدب واسع ؛ ولقد أضلَّ بهمذان كاتبُ غر الدولة ابنُ المرزبان . وحمله على قلة الأكتراث بظلم الرعية ، وأراه أنه لا حرج عليه في غَنبِهِمْ لأنهم بهائم ، وما خرج من الجبل حتى أفتضح .

وأما ابنُ خيران ^(٥) فشيوخ لا يمدو الفقه ، وفيه سلامة .

وأما الدَّارَكي ^(٦) فقد اتخذَ الشهادة مكسبةً ، وهو يأكل الدنيا بالدين ، ويطلب عليه اللواط ، ولا يرجع إلى ثقة وأمانة ؛ ولقد تهتك بنيسابور قديما ، ويضداد حديثا ؛ هذا مع القُدامة والوخامة ؛ ولقد نذَّ بِجُحْلِ غلام ^(٧) ، وهو اليوم قاضي الرى . وأبنُ عبادَ يَكْنُفُه ويقرِّبه ليكون داعية له وثائبا عنه ، وليس له أصل وهو من سواد همذان ، وأبوه كان فلاحا ، ولقد رأيتُه ، إلا أنه يأتي لابن عباد في تَمَنُّه ولزوم ناموسه حتى خفَّ عليه ، وهو اليوم قارون ؛ وقد علت رتبته في

(١) « يَدُلُّ » .

(٢) ابنُ العلم ، هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية في الفقه والسكلام والآثار وله سنة ٣٣٨ .

(٣) ظنين ، أى متهم .

(٤) « ولُفَتَه » .

(٥) هو أبو علي الحسين بن صالح بن خيران ، أحد فقهاء عصره ، أُلِفَ في الفقه كتاب

« اللطيف » وكتاب « المقدمات » .

(٦) له يردُّ أبا القاسم الداركي ، نسبة إلى دارك ، قرية في أصفهان ، أحد فقهاء الناقصة وهو بنهادى ، أُلِمَ بنيسابور مدة ، وانتهى التدريس إليه ينفذاد ، وأخذ عنه طائفة شيوخها ؛ مات سنة ٣٧٥ .

(٧) في الأصل : « نذر » ؛ ولعل ضواحه ما أثبتنا . ونذ : هرب .

الكلام حتى لا يزيد عليها ، إلا أنه مع ذلك نقل^(١) الباطن ، خبيث الخبيث ، قليل اليقين ؛ وذلك أن الطريقة التي قد ترموها وسلكوها لا تقضى بهم إلا إلى الشك والأرتياب ، لأن الدين لم يأت بكم^٢ وكَيْفٍ في كل باب ، ولهذا كان لأصحاب الحديث أنصار الأثر ، مزية على أصحاب الكلام وأهل النظر ؛ والقالب الخالي من الشبهة أسلم من الصدر المحشو بالشك والريبة ، ولم يأت الجدل بغير قط . وقد قيل : بمن طلب الدين بالكلام ألحد ، ومن تتبع غرائب الحديث كُذِب ، ومن طلب المال بالكسبياء أفقر . وما شاعت هذه الوصية جُرَافًا ، بل بعد تجربة كررها الزمان ، وتطاولت عليها الأيام ؛ يتكلم أحدهم في مائة مسألة ويورد مائة حجة ثم لا ترى عنده خشوعًا ولا رقة ، ولا تقوى ولا دَمعة ؛ وإن كثرا من الذين لا يكتبون ولا يقرءون ولا يَحْتَجُونَ ولا يَنَظُرُونَ ولا يُكْرِمُونَ^(٣) ولا يفضلون خير من هذه الطائفة وألبن جانبًا ، وأخضع قلبًا ، وأتقى لله من^٤ ونجل ، وأذكرُ المعاد ، وأيقن بالثواب والعقاب ، وأقلق من الخفوة ، وألوذ بالله من ضيق الذنب ، وأرجع إلى الله بالتوبة ؛ ولم أزم متكلمًا في مدة عمره بكى خشية ، أو دَمعت عينه خوفًا ، أو ألق عن كبيزة رغبة ؛ يتناظرون مستهزئين ويتحاسدون متعصبين ، ويتلاقون متخادعين ، ويصنفون متجاملين ؛ جد الله عزهم ، وأستأصل شأقتهم ، وأراح العباد والبلاد منهم ؛ فقد عظمت إلياري بهم ، وعظمت آفتهم على صفار الناس وكبارهم ؛ ودبّ داؤم ، وعسر دواؤهم ؛ وأرجو ألا أخرج من الدنيا حتى أرى بنيانهم متضعضًا ، وساكته متجسججًا^(٥) .

(١) « نقل » . والتخل : الفساد البي .

(٢) « يكرمون ولا يفضلون » .

(٣) هذه الكلمة مطبوعة بالأصل .

(٤) متجسججًا ، أى ضاربًا بنفسه الأرض من وجع .

قال : فما تقول في ابن الباقلاني ؟ ^(١) . قلت :

فاشر ^(٢) الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبِحينا

يزم أنه ينصر السنة ويُفحِم المعتزلة وينشر الرواية ؛ وهو في أضاف ذلك على مذهب الخُرُمِيَّة ، وطرائق اللجدة . قال : والله إن هذا لمن المصائب الكبار والمحن الغلاظ ، والأمراض التي ليس لها علاج .

ثم قال : إن الليل قد ولى ، والنماس قد طرق المين عابثا ؛ والرأى أن نستجِم لنشَط ، ونستريح لتعب ؛ وإذا حضرت في الليلة القابلة أخذنا في حديث الخلق والخلق — إن شاء الله — وأنا أزوّدك هذا الإعلام ليكون باعثا لك على أخذ المتاد بعد اختباره في صدرك ؛ وتبَحِيل الحال به عند خوضك وفيضك ولا تَجِبْن جبن الضغاء ، ولكن قُلْ وأتسع مجاهرا بما عندك ، متفقا بما معك . وانصرفت .

الليلة التاسعة

- (١) وعدت ليلة أخرى فقال : فاتحة الحديث معك ، فهات ما عندك . فكان من الجواب : أن أخلاق أصناف الحيوان الكثيرة مؤتلفة في نوع الإنسان ، وذلك أن الإنسان صفو الجنس الذي هو الحيوان ، والحيوان كدر النوع الذي هو الإنسان والإنسان صفو الشخص الذي هو واحد من النوع ، وما كان صفوا ومُصاحبا ^(٣) بهذا النظر أنظم فيه من كل ضرب من الحيوان خلق وحُفان وأكثر ،

(١) ابن الباقلاني ، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني أحد أعلام المتكلمين ، ومن أكبر أنصار مذهب الأشعري ، ومؤلف كتاب « إيجاز القرآن » مات سنة ٤٠٣ .

(٢) البيت لسروين كلثوم ؛ وهو هنا على طريق التل .

(٣) النماس : المصارة .

وظهر ذلك عليه وبطن^(١) أيضا بالأقل والأكثر والأغلب والأضعف ، كالكُمون
الذى فى طباع السبع والقارة ، والثبات الذى فى طباع الذئب ، والتحرز الذى فى
طباع الجاموس من بنات الليل ، والحذر الذى فى طباع الخنزير ، والتقدم الذى
فى طباع القيل أمام قطيعه تمثلا بصاحب المقدمة .

وكذلك ضد ذلك فى الخنزير تمثلا بصاحب الساقة ، والحراسة التى فى طباع
الكلب ، وكأوب الطير إلى أوكارها التى تراها كالمساقل وغيرها بالدغل^(٢)
والأشب والنباض .

ولهذا قال بعض الحكماء : خذ من الخنزير بُكوره فى الحوائج ، ومن الكلب
نُصحته لأهله ، ومن المرأة لطف نفسها عند للسالة .

وقالت الترك : ينبغى للقائد العظيم أن يكون فيه عشر خصال من ضروب
الحيوان : سخاء الديك ، وتحنن الدجاجة ، ونجدة الأسد ، وسحمة الخنزير
وزوغان الثعلب ، وصبر الكلب ، وحراسة الكركى ، وحذر الثراب ، وغارة
الذئب ، وسمن بمرأ^(٣) ، وهى دابة بخراسان تسمن على التنب والشفاء .

ولما وهب الإنسان القطرة^(٤) ، وأعين بالفكرة ؛ ورُفِدَ بالعقل ، جمع هذه
الخصال وما هو أكثر منها لنفسه وفى نفسه ، وبسبب هذه للزينة الظاهرة ففعل
جميع الحيوان حتى صار يبلغ منها مراده بالتسخير^(٥) والإعمال واستخراج المنافع
منها وإدراك الحاجات بها ؛ وهذه للزينة التى له مستفادة بالعقل ، لأن العقل ينبوع
العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما مستعمل منهما ومؤثر بهما

(١) « وِطْن » .

(٢) الدغل والأشب : الشجر الكثير للثف بضمه يعنى .

(٣) كذا ورد اسم هذه الدابة فى الأصل . ولم نجده فيما بين أيدينا من الكتب .

(٤) « الفكرة » .

(٥) « بالتجديد والأقال » .

إلى بعض بالقيض الإمكانى والتوزيع الإنسانى ؛ فصوابُ بليمةِ الفكرة من سلامة العقل ، وصوابُ رويةِ الفكرة من صحة الطباع ، وصحة الطباع من موافقة الزاج ، وموافقة الزاج بالمدد^(١) الاتفاقى والاتفاق النبى ؛ أعنى بهذا أن وجه الحادث المجهول عندنا اتفاق ، ووجه الحادث للعلوم عند الله عز وجل غيب ؛ فلو ظهر هذا الغيب لبطل الاتفاق ، ولو بطل الاتفاق لارتفع الغيب .

فانقسمت الأحداث [بين ما هو]^(٢) على جديلة^(٣) واحدة معروفة ، وبين نادر لا يلوم المهد به ، فدل ما ظهر وأستمر على ما جاد به ووَهَب ، ودل ما غاب وأستقر على ما تقرر به وغَلَب .

ولما كان الحيوان كله يعمل صنائعه بالإلهام على وتيرة قائمة ، وكان الإنسان يتصرف فيها بالاختيار ، صح^(٤) له من الإلهام نصيب حتى يكون رفداً له فى اختياره ، وكذلك يكون النحل أيضاً ، صح له من الاختيار قسط فى إلهامه حتى يكون ذلك مُعيناً له فى اضطراره ، إلا أن نصيب الإنسان من الإلهام أقل كما أن قسط سائر الحيوان من الاختيار أنزر^(٥) ؛ وثمرة اختيار الإنسان إذا كان مُعاناً بالإلهام أشرف وأدوم وأجدى^(٦) وأنفع وأبقى وأرفع من ثمرة غيره من الحيوان إذا كان مرفوداً بالاختيار ، لأن قوة الاختيار فى الحيوان كالحلم كما أن قوة الإلهام فى الإنسان كالظلم .

ومراتب الإنسان فى السلم ثلاث تظهر فى ثلاثة أخص ، فأحدهم مُلهم

(١) « الندد » .

(٢) هذه الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ، والبيان يقتضيه .

(٣) الجديلة : الشاكلة . يقال : تم على جديلة واحدة ، أى على شاكلة واحدة .

(٤) « وصح » .

(٥) « أكثر » .

(٦) « وأحد » .

فَيَتَعَلَّمُ^(١) وَيَعْمَلُ ، وَيَصِيرُ مَبْدَأً لِلتَّائِبِينَ مِنْهُ ، الْمُتَعِدِّينَ بِهِ ، الْآخِذِينَ عَنْهُ ، الْحَازِنِينَ عَلَى مِثَالِهِ ، الْمَارِّينَ عَلَى غِرَارِهِ ، الْعَافِينَ عَلَى آثَارِهِ ؛ وَوَاحِدٌ يَتَعَلَّمُ وَلَا يُلَهِمُ فَهُوَ يَمِائِلُ الْأَوَّلَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ ، أَعْنَى التَّعَلُّمِ ؛ وَوَاحِدٌ يَتَعَلَّمُ وَيُلَهِمُ ، فَتَجْتَمِعُ لَهُ هَاتَانِ الصَّلَتَانِ ، فَيَصِيرُ بَقَلِيلٍ مَا يَتَعَلَّمُ مُكْتَرِئًا لِلْعَمَلِ وَالْعِلْمُ بِقُوَّةٍ مَا يُلَهِمُ وَيَعُودُ بِكَثْرَةِ مَا يُلَهِمُ مُصَفِّيًا لِكُلِّ مَا يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ .

وَالْكَلَامُ فِي هَذِهِ لِلْوَاضِعِ رَبِّمَا جَعَلَ فَلَمْ يُمْكِنْ كَفُّهُ ، فَيُنَبِّئُ أَنْ يَضَحَّ الْمُنْزِعُ إِذَا عَرَضَ تَقَاوُتٌ فِي التَّرْتِيبِ ، وَدَخَلَ النَّحْلُ مِنْ نَاحِيَةِ التَّقْرِيبِ .

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ لَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ : [الْإِنْسَانُ^(٢)] بَيْنَ طَبِيعَتِهِ وَهِيَ عَلَيْهِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَهِيَ لَهُ ، كَالْمُنْتَهَبِ لِلتَّوَزُّعِ ، فَإِنْ اسْتَمَدَ مِنَ الْعَقْلِ نُورَهُ وَشَمَاعَهُ قُوَّةً مَا هُوَ لَهُ مِنَ النَّفْسِ ، وَضَعَفَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّبِيعَةِ [وَإِلَّا قَدْ قَوِيَ مَا هُوَ عَلَيْهِ^(٣) مِنَ الطَّبِيعَةِ] وَضَعَفَ مَا هُوَ لَهُ مِنَ النَّفْسِ .

وَحَكِيَ لَنَا قَطَالُ : كَانَ لِلْحَكَامِ الْأَوَّلِينَ مَثَلٌ يَضْرِبُونَهُ وَيَكْتُبُونَهُ فِي هَيَاكِلِهِمْ وَمَتَعَبِدَاتِهِمْ وَهُوَ : « الْمَلِكُ لِلْوَكَلِ بِالدُّنْيَا يَقُولُ : إِنْ هُنَا خَيْرٌ وَهُنَا شَرٌّ ، وَهُنَا مَا لَيْسَ بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ ، فَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ حَقًّا مَعْرِفَتَهَا تَخْلُصَ مَتًى ، وَنَجَا سَلَامًا ، وَبَقِيَ كَرِيمًا ، وَمَلَكَ نَعِيمًا عَظِيمًا » .

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا قَتَلَتْهُ شَرٌّ قَتْلَةً ، وَذَلِكَ أَنَّى لَا أَقْتُلُهُ قَتْلًا وَحَيًّا^(٤) يَسْتَرْجِعُ بِهِ مَتًى ، وَلَكِنْ أَقْتُلُهُ أَوَّلًا فَأَوَّلًا فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ ، بِمَسَرَّاتٍ عَلَى قُوَّةٍ مَأْمُولٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَيُلَهِمُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَاهِبُهُ مَا أَتَيْنَاهُ بِهِ لِبَلِيلِ قَوْلِهِ بِسَدِّ فِي النِّسْمِ الثَّانِي « فَهُوَ يَمِائِلُ الْأَوَّلَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ أَعْنَى التَّعَلُّمِ » .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَوْ مَا يُعِيدُ مَعْنَاهَا سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِيهَا .

(٣) « لَهُ » .

(٤) وَحَيًّا ، أَيْ سَرِيحًا .

بعد مأمول ، و بلايا يكون بها كاللؤلؤ المكبول .

قال ^(١) : هذا كلام شريف في أعلى ذروة الحكمة ، لكفك خَلِيتَ يَدَكَ من طُرَفِ الْحَدِيثِ فِي الصُّلُقِ . قلتُ : إذا ظاب الحديث بأسترسال السجّية ووقوع العلمانية لها الإنسان عن مبادئه ، وسال مع الخاطر الذي يستهويه ، ولتحتفظ الإنسان في قوله وعمله من الخطأ والزللِ حَدٌّ إذا بلغه كلُّ الخاطر وأختل .

ثم نمود فنقول : أخلاق الإنسان مقسومة على أنفسه الثلاث : أفعى النفس الناطقة ، والنفس الغضبية ، والنفس الشهوانية ، وسمات هذه الأخلاق مختلفة بمرّض واسع .

ويمكن أن يقال في نعتها على مذهب التقريب : إنها بين المحمودة وبين الذمومة ، وبين المشوبة بالحد والقيّم ، وبين الخارجة منها . فن أخلاق النفس الناطقة — إذا صفت — ^(٢) البحث عن الإنسان ثم عن العالم ، لأنه إذا عرف الإنسان قد عرف العالم الصغير ، وإذا عرف العالم قد عرف الإنسان الكبير ، وإذا عرف العالمين عرف الإله الذي بمجوده وجد ما وجد ، وبقدرته ثبت ما ثبت ، وبمحكته ترتب ما ترتب ؛ وبمجموع هذا كله دام مادام .

بهذا البحث يتبين له ما تشتمل عليه القوة الغضبية والقوة الشهوانية فإن تواع هاتين القوتين أكثر ، لأنهما بالتركيب أظهر ، وفي ^(٣) الكثرة أدخل وعن الوحدة أخرج ؛ فإذا ساستهما الناطقة حدّقت زوائدهما ، وقّعت فواضلهما

(١) قال ، أي الوزير .

(٢) «صفت» .

(٣) «وعن» .

وَوَقَّتْ نَوَاقِصَهُمَا ، وَذَيْلَتِ قَوَالِصَهُمَا ^(١) أَعْنَى إِذَا رَأَتْ غُلَّةً فِي الشَّهْوِيَّةِ أَخَذَتْ نَارَهَا ، وَإِذَا وَجَدَتْ السَّرْفَ ^(٢) فِي الْغَضْبِيَّةِ قَصَّرَتْ عِنَانَهَا ^(٣) ؛ خَلِيفَتُهُ يَقُومَانِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَيَعُودُ السَّفَهَ حِلْمًا أَوْ تَحَالُمًا ، وَالْحَسَدَ رَغْبَةً أَوْ تَنَابُطًا وَالْغَضَبُ كَغَطًا أَوْ تَكَافُظًا ، وَالنَّيْءُ رُشْدًا أَوْ تَرَاشُدًا ، وَالطَّيْشُ أَنَاةٌ أَوْ تَأْنِيَا ^(٤) وَصَرَفَتْ هَذِهِ الْكُوَامِنَ فِي الْمَكَامِينِ — إِذَا سَارَتْ سَوْرَتُهَا ، وَثَارَتْ ثَوْرَتُهَا — عَلَى مَنَاجِجِ الصَّوَابِ ، تَارَةً بِالْعُظَّةِ وَاللُّطْفِ ، وَتَارَةً بِالزُّجْرِ وَالنُّفْثِ وَتَارَةً بِالْأَنَمَةِ وَكِبَرِ النَّفْسِ ، وَتَارَةً بِإِشْعَارِ ^(٥) الْحَزْرِ ، وَتَارَةً بِعُلُوِّ الْهَمَةِ ؛ وَهَنَاكَ يَصِيرُ الْعَفْوُ عِنْدَ الْقَادِرِ أَلَدًّا مِنَ الْأَنْتِقَامِ ، وَالْعَفَافُ عِنْدَ الْمَاهِجِ أَلَدًّا مِنَ قَضَاءِ الْوَطْرِ ، وَالْقَنَاعَةُ عِنْدَ الْمُحْتَاجِ أَشْرَفُ مِنَ الْإِسْفَافِ ، وَالصَّدَاقَةُ عِنْدَ الْمُتَوَدِّعِ أَكْرَمُ مِنَ الْعِدَاوَةِ ، وَاللِّدَارَةُ عِنْدَ الْمُحْفَظِ ^(٦) أَطْيَبُ مِنَ الْمِبَارَةِ .

وَفِي الْجُمْلَةِ ، الْخُلُقُ الْحَسَنُ ^(٧) مُسْتَقٌّ مِنَ الْخُلُقِ ، فَكَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَبْدِيلِ الْخُلُقِ كَذَلِكَ لَا قُدْرَةَ عَلَى تَحْوِيلِ الْخُلُقِ ، لَكِنَّ الْحَصْنَ ^(٨) عَلَى إِصْلَاحِ الْخُلُقِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ لَمْ يَقَعْ مِنَ الْحِكْمَاءِ بِالْعَبَثِ وَالتَّجْزِيفِ ، بَلْ لِمَنْفَعَةٍ عَظِيمَةٍ مُوجُودَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَمِثَالُهُ أَنَّ الْجَبِشِيَّ يَتَذَلَّكَ بِالْمَاءِ وَالنُّسُولَ لَا يَسْتَفِيدُ ^(٩) بِيَاضًا ، وَلَكِنْ

(١) ذيلت قوالصهما ، أى طولت ما قصر وهبطت منها .

(٢) « السرف » .

(٣) « عنانها » .

(٤) « تأنيا » .

(٥) « إشعار » .

(٦) « التحفظ » .

(٧) الظاهر أن قوله « الحسن » زيادة من الناسخ . فمباق الجملة يقتضى أنه يريد الخلق الحسن وغيره .

(٨) « لكرانحص » .

(٩) « يستفيد » .

ليستفيد ثناء شبيهها^(١) بالبياض ؛ ويقال للهذار : « اُكُفْ » لا ايكف^(٢) عن
النطق ، ولكن ليؤثر الصمت .

ويقال للموتور : « لا تحمد » لا يزول عنه ما حنق^(٣) عليه ، ولكن
لينكف الصبر ويتناسى الجزاء على هذا أبدا .

وقد تقرر بالحكمة الباشعة عن الإنسان وطرائق ما به وفيه أن أحواله
مختلفة ، أعنى أن كل ما يدور عليه ويمحور إليه^(٤) مقابل بالصد^(٥) أو شبيه بالصد^(٥)
كالخياة والموت ، والنوم واليقظة ، والحسن والقبيح ، والصواب والخطأ ، والخير
والشر ، والرجاء والخوف ، والمدل والجور ، والشجاعة والجبن ، والسخاء
والبخل ، والحلم والسفَه ، والطيش والوقار ، والعلم والجهل ، والمعرفة والنكرة
والفعل والحق ، والصحة والمرض ، والأعتدال والانحراف ، والعفة والفجور
والتنبه والغفلة ، والذكر والنسيان ، والذكاء والبلاهة ، والغبطة والحسادة
والدمائة والكرآزة^(٦) ، والحق والباطل ، والنجى والرُشد ، والبيان والحصر
والثقة والأرتياب ، والطمانينة والتهمة ، والحركة والسكون ، والشك واليقين
والخلاعة والوقار ، والتوقى والتهور ، والإلف والتملل ، والصدق والكذب
والإخلاص والنفاق ، والإحسان والإساءة ، والنصح والنفس ، والمدح والتم
وعلى هذا الجرز والسَّعْب^(٧) ؛ ولعل هذه الصفات بلا آخر ولا انتقطاع .

(١) « تشبها » .

(٢) « لتكنفى عنه » .

(٣) « طبق » .

(٤) « ويمحور عليه » .

(٥) « بالصدأ » .

(٦) « الكرامة » بالمهملة .

(٧) « الجراء والجب » .

فما ينبغي أن يُعنى الإنسانُ الحبُّ للتبصرة ، المؤثرُ للتذكرة ، الجامعُ للنافع
له ، النافى ^(١) للضارِّ به في هذه الأحوال التي وصفناها بأسمائها معرفةً
— ما استطاع — باجتلاب ^(٢) محمودها واجتناب مذمومها ، وتمييزه بما يمكن ^(٣) فيه
أو تقليده ، أو إطفاء جمرته ، أو أجتناء ثمرته ، والطريق إلى هذا التمييز واضح
قريب ، كأن ^(٤) تنظر إلى الحياة وللموت فتعلم أن هذين ليسا من الأخلاق
ولا مما يمالج بالاجتهاد ، وإلى النوم واليقظة فتعلم أنهما ضروريان للبدن من
وجه ، وغير ضروريين من وجه ، فتتفنى ^(٥) منهما ما خرج عن حدِّ الضرورة وتُسلم
البدن ما دخل في حدِّ الضرورة ؛ ولا يكثر ^(٦) الإنسانُ نومَه ولا سهرَه ، ولكن
يطلب العدل بينهما بقدر جهده .

فأما الحسنَ والقبیح فلا بدَّ له من البحث اللطيف عنهما حتى لا يجوز ^(٧)
فيري القبيحَ حسناً والحسنَ قبيحاً ، فيأتى القبيحَ على أنه حسنٌ ، ويرفضُ
الحسنَ على أنه قبيحٌ ؛ ومناشئُ الحسنِ والقبيحِ كثيرةٌ : منها طبعيٌّ ، ومنها
بالعادة ، ومنها بالشرع ، ومنها بالعقل ، ومنها بالشهوة ، فإذا أُعتبر هذه المناشئُ
صدَّق الصادق منها وكذَّب الكاذب ، وكان أستاذُ حسانه على قدر ذلك
ومثال ذلك الكبر فإنه مَعيب بالنظر الأول ، لكنه حسنٌ في موضعه بالملء ^(٨)
الداعية إليه ، والحال الموجبة له .

(١) « الثاني » .

(٢) « باجتلاب » متعلق بـ « يمكن » .

(٣) « يمكن » .

(٤) « كأنك » .

(٥) « فيستعمل » .

(٦) « يكون » .

(٧) « يجوز » .

(٨) « بالملء » .

وأما الصواب والخطأ فأمران عارضان للأقوال والأفعال والآراء ، وليسا
بمُخَلِّقَيْنِ مُخَضِّينِ ، ولكتهما موكولان إلى نور العقل ، فما أشرق^(١) عليه العقل
بنوره فهو صواب ، وما أفل^(٢) عنه العقل بنوره فهو خطأ .

وأما الخير والشرّ فهما في العموم والشمول ليسا بدون الصواب والخطأ
لهما مناط بكلّ شيء ، ويُغلبان على الأفعال ، وإن كان أحدهما عدما للآخر .
وأما الرجاء والخوف فهما عَرَضَانِ للقلب بأسباب بادية وخافية ، ولا يدخلان
في باب الخُلُقِ من كل وجه [ولا يخرجان أيضا بكل وجه] وهما كالعائدَيْنِ
للإنسان قد استُصلِحَ لهما ، ورُبِّطَ قوامُهُ بطلبتهما وضَعُفَهما .

وأما العدل والجور فقد يكونان خُلُقَيْنِ بِالْعِطْرَةِ ، ويكونان فِعْلَيْنِ بِالتَّكْرَرِ
وجانباهما بِالْفِعْلِ^(٣) ألصق ، وإلى الأُكْتِسَابِ أقرب .

وأما الشجاعة واللين فهما خُلُقَانِ متصلان بالخُلُقِ ، ولهذا يمزّ على الشجاع
أن يتحوّل جبانا ، ويتمدّر على الجبان أن يصير شجاعا ، وكذلك طرفاهما
داخلان في الخُلُقِ أعنى التهور والتوقّي^(٤) .

وأما السخاء والبخل فهما خُلُقَانِ محضان أو قريبان من التخصّص ، ولهذا
تعلّق الحمد والتميم بهما وبأحماهما ، والمدح والهجو سريّا^(٥) إليهما وأتصلا بهما ؛

(١) « أشرق » .

(٢) « أفل » .

(٣) « بالفعل » .

(٤) في الأصل : « واللين » ؛ وما أئتمناه هو المناسب لقوله : « وكذلك طرفاهما إذ
اللين لا يكون طرفا لللين ، ويدل على صحة ما أئتمنا ذكره التوقّي بجانب التهور فإما سبق

في ص ١٤٩ س ١٤ .

(٥) « ريا » .

وقد يندم السخى على بذله كثيرا خوفا من الإملاق ، فلا يستطيع ذلك إذا أخذته الأريحية ، وحركته اللوذعية ؛ وقد يلوم البخيل نفسه كثيرا إذا سلّته الأسنة الحداد ، وجبه ^(١) بالتوبيخ ، وشمخ ^(٢) عند رؤيته الأنف ، وغضن ^(٣) الجبين وأولم ^(٤) بالعدل وقوبل ؛ ومع ذلك فلا يرشع إلا على بطء وكلفة وتضجر ؛ والكلام فى هذين الخلقين طويل ، لأنهما أدخل فى تلاق الناس وتعاظمهم فى عشرتهم ومعاملتهم .

وأما الحلم والسفّه فهما أيضا خلقان ، والأخلاق تابعة للمزاج فى الأصل ، ولذلك قلنا : إن الخلق ابن الخلق ، والولد شبيه بواله ؛ وفى الجملة ، كل ما يمكن أن يقال فيه للإنسان « لا تفعل هذا » ، « وأقلل من هذا وكف عنه » فإنه فى باب الأفعال أدخل ، وكل ما لم يجز أن يقال ذلك فيه فهو فى باب الأخلاق أدخل ، ثم لبعض هذا نسبة إلى الخلق أو الخلق ، إما ظاهرة غالبية وإما خفية ضمنية .

وأما الطيش والوقار فهما يختلطان بالحلم والسفّه ويجريان معهما ؛ فليس ينبى أن ينشر الكلام ويطول الشرح .

وأما الجهل والعلم فليسا ^(٥) من الأخلاق ولا من الخلق وإنما ^(٦) يبرزان من صاحب الأخلاق والخلق للمزاج أثرين قويين ^(٧) واحدهما عدم

(١) « وجه » .

(٢) « وسبح » .

(٣) « وعش » .

(٤) فى الأصل « وأكل بالعدل وقوبل » .

(٥) « فلما » .

(٦) فى الأصل : « وإنما كانا يبرزان » .

(٧) « أثر قوى » .

والآخر وجدان ، والمدم^(١) لا يكون أعدم من عدم ، والوجدان يكون أين .
من وجدان .

وأما المعرفة والفكرة فهما في جوار العلم وضده ، ولكنهما أعلق بالحس
والصق بالنفسين ، أى الشهوية والغضبية .

وأما العقل والحكم فليسا من الخلق ، والكلام في تفسير العقل مشهور^(٢) ،
وعلمه الحق .

وأما الصحة والمرض فليسا أيضا من الأخلاق ، ولكنهما يوجدان في
الإنسان بواسطة النفس ، إما في البدن ، وإما في العقل ، ولذلك يقال : أمراض
البدن ، وأمراض النفس ، [وصحة البدن]^(٣) وصحة النفس .

وأما الاعتدال والانحراف فهما يدخلان في الخلق بوجه ، ويخلصان منه
بوجه ، ويعمان أعراض البدن وأعراض النفس ، ويوصف بهما الإنسان ، على
أن الانحراف المطلق لا يوجد ، والاعتدال المطلق لا يوجد ، ولكن كلامهما
بالإضافة . وأما الغفة والفجور فطلقا لما جرة^(٤) ومهود ، والحاجة تمس إلى
العدل في استعمال الغفة وتقى^(٥) الفجور ، وإذا قويت الغفة حالت عصمة ، وإذا
غلب الفجور صار عدوانا .

وأما التنبيه والغفلة فقريبان من الخلق ويقلبان على الإنسان ، إلا أن فرط
التنبيه موصول بالوحي ، وفرط الغفلة موصول بالبهيمية .

(١) « والمدو » .

(٢) « يستمر به » .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

(٤) « حمرة » بالهملة .

(٥) « وتقى » .

وأما الذكر والنسيان فليسا بِخُلُقَيْنِ مَحْضَيْنِ ، ومنشؤها بِالزَّاجِ ، وأحدهما من علائق النفس العالمة ، والآخر من علائق النفس البهيمية .
[وأما الذكاء والبلادة^(١)] فهما خُلُقَانِ ، ونعتهما كنعت الذكر والنسيان ، إلا أن هذين^(٢) يَرْضَانِ فِي الْحَيْنِ^(٣) بَعْدَ الْحَيْنِ ، وَالْآخِرِيَانِ^(٤) كَالرَّاسِخَيْنِ فِي الطَّيْنَةِ .

وأما النِّبْطَةُ والحسد فخلقان رُئِيسُ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا بَأَن تَتَنَّى لِنَفْسِكَ مَا أُوتِيَتْهُ صَاحِبُكَ [وَرُئِيسُ الثَّانِي بَأَن تَتَنَّى زَوَالَ مَا أُوتِيَتْهُ صَاحِبُكَ]^(٥) وَإِن لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . ورسوم هذه الأخلاق أسهل من تحديدها ، لكننا تركنا ذلك ، لَأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي كَانَ يَجْرِي هُوَ عَلَى مَذْهَبِ الْخِدْمَةِ .

على أن مراتب هذه الأخلاق مختلفة ، فيبعد أن يعمها حد واحد ، وإنما اختلفت منازلها لِأَنَّهَا^(٦) تَارَةً تَصْغُو بِقُوَّةِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ ، وَتَارَةً تَكْدُرُ بِالقُوَّتَيْنِ الْآخَرَتَيْنِ ؛ وَلِبَعْضِهَا حِدَّةٌ بِالزِّيَادَةِ ، وَلِبَعْضِهَا كَلَّةٌ بِالنَّقْصِ ، فَلَمْ يَكُنِ التَّحْدِيدُ يُفْصَلُ^(٧) كُلَّ ذَاكَ ، فَلَمْ نَعْرِجْ^(٨) عَلَى شَيْءٍ عَجِزْنَا عَنْهُ قَبْلَ اخْتِذَانَا فِيهِ . وَتَمَّ بَقِيَّةُ مَا عَلِقَ بِهِذِهِ الْجُمْلَةُ ، فَتَقُولُ :

وأما السَّامَةُ وَالكَزَّازَةُ فخلقان مَحْضَانِ تَابِعَانِ لِلزَّاجِ ، ثُمَّ لِلرَّانِ يَزِيدُهُمَا قُوَّةٌ وَضَعْفًا ؛ وَهَما لِلنَّعْتِ أَقْرَبُ ، كَالسَّهْوَةِ وَالْمَسْرِ ؛ وَلِهَذَا يُقَالُ : « مَا أَدْمَنْتَ

(١) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٢) هذين ، أى الذكر والنسيان .

(٣) « الجين بعد الجين » .

(٤) الآخرين ، أى الذكاء والبلادة . وفي الأصل « الأوليان » .

(٥) هذه العبارة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إنباتها .

(٦) « لأن » .

(٧) « بنقص » .

(٨) « يمرح » .

هذه الأرض » ، أى ما أَرخاها وألَيَّها ؛ وفى التَّثَنُّل : « دَمَّتْ لَجَنَبِكَ قَبْلَ النَّوْمِ ^(١) مُضْطَجِعًا » .

وأما الحقُّ والباطل فليسا من الخُلُق ولا الخَلْق فى شىء ، وهما من نتائج المعرفة والنكرة ، لأنَّك تعرف الحق وتنكر الباطل ، وذلك لأغراض تتبعهما ، ولولاهنَّ تلتبس بهما .

وأما النوى والرَّشْد فليسا من الخُلُق ، لكهما من علائق الأفعال الحميدة والشميمة ؛ والرأى والعقل ^(٢) فيهما مدخل قوى وحظ تام .

وأما البيان والحَصْر فليس بينهما وبين الخُلُق علاقة ، وإنما يتبعان للزَّاج ويزيد فيهما وينقصُ الجهدُ والتَّوَانى والطلب والقصور .

وأما الثقة والأرتياب فخلقان يغلبان ينفعان ويضرَّان ويُحْدِثان ويُذَمَّان ألا ترى ^(٣) أنه يقال : لا تثق بكلِّ أحد ، « ولا تَرْتَبْ بكلِّ إنسان » وهكذا الطُّمَأْنِينَةُ والثَّهْمَةُ ، لأنَّهما فى طبعهما .

وأما الحركة والسكون فليسا ^(٤) من حديث الخُلُق فى شىء ، لأنَّهما عامَّتان ^(٥) لجميع الأحوال سواء كان العمل مباشرا أم كان معتقداً ؛ وفى الحركة والسكون كلامٌ واسع ، وذلك أن ههنا حركةً إلهيَّةً ، وحركةً عقليَّةً ، وحركةً نفسيَّةً ، وحركةً طبيعيَّةً ، وحركةً بدنيَّةً ، وحركةً فلكيَّةً ، وحركةً كوكبيَّةً ، وحركةً

(١) فى الأصل « التَّرب » . وهنا صدر بيت ، ومجزه :

* لا تلتكن طريقاً غير مأمون *

(٢) « والعقد » .

(٣) « إلا أن ترى » .

(٤) « غلبا » .

(٥) « علان » .

كانها سكون . فأما السكون فهو ضرب واحد ، لأنه في مقابلة كل حركة ذكرناها . فإذا اعتبرت هذه المقابلة في كل مقابل لحظ الأقسام في السكون ، كما وجد الأقسام في الحركة .

والحركة أوضح برهان على كل موجود حسي ، والسكون أقوى دليل على كل موجود عقلي ؛ وهذا القدر كاف في هذا الموضع .
وأما الشك واليقين ، فن علاقئ النفس الناطقة ، ولهذا لا يقال في الحيوان الذي لا ينطق : له يقين وشك .

وأما الخلاعة والوقار ، فقد تقدم البحث عنهما ^(١) .
وأما التوق والتهور ، فهما خلقتان في جميع الحيوان ، ويغلبان على نوع الإنسان ، لأن العقل يُبطل ^(٢) أحدهما ^(٣) ، والحس ^(٤) يغلب الآخر ^(٥) .
وأما الإلف والتل فخلقتان محضان ، يُدَمَّان ويَحْمَدان على قدر المألوف والمعلول ، وإن كان جريان العادة قد وفر الحمد على الإلف ، والذم على التل .
وقد مدح زيد فقيل : هو أوف . وذم عمرؤ فقيل : هو ملول .
وأما الصدق والكذب ، فن علاقئ النفس الناقصة والكاملة ؛ وقد يكونان ^(٦) [راسخين ^(٧)] فيلحقتان بالخلق ، إلا أن الصدق ممدوح ، والكذب

(١) يلاحظ أنه لم يرد فيما سبق ذكر للخلاعة والوقار ، ولا ما يفيد معناها .

(٢) « تظل » .

(٣) يريد بقوله « أحدهما » : التهور .

(٤) « والحس » .

(٥) يريد بقوله : « الآخر » التوق .

(٦) « يكرآن » .

(٧) هذه الكلمة التي بين مربعين أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضي إثباتها كما يرشد إليه ما يأتي بعد في صفحة ١٥٧ في الكلام على الإحسان والإساءة :
« فإذ رسخ اعتيادهما استحالا خلقين » .

مذموم ، هذا في النظر الأول ، وقد يعرض ما يوجب المصير إلى الكذب لينجي به ؛ فهما إذن بعد الحقيقة الأولى وقف على الإضافة ؛ وقد وجدنا من كَذَبَ لينتفع ، ولم نجد من صدق ليكتسب الضرر .

وأما الإخلاص والنفاق ، فهما يلحقان بالخلق ، ولكهما يصدران عن عقيدة القلب وضمير النفس .

وأما الإحسان والإساءة ، فهما يمتان الأفعال والأقوال ، فإذا رَسَخَ اعتيادها أستحالا خلقين .

وأما النصيح والنسئ ، فهما خلقان ، وطرقاهما يتعلقان بالخلق . وكذلك الطمع واليأس ، والحب والبغض ، واللهج والشؤ ، وما شاكل هذا الباب .

ولم يجز هذا كله في المذاكرة بالحضرة ، ولكن رأيت من تمام الرسالة أن أضف هذا كله إلى حَوَمَتِهِ ^(١) ، وأبلغ الممكن من مقتضاه في تنمته .

وقال ^(٢) لى : هاتِ الوداع ، فإن الليل قد همَّ بالإقلاع . قلت : قال أبو سعيد الذهبي الطيب : لو علم اللى يحمل الباذنجان أن على ظهره باذنجانا لصال على الثيران ^(٣) .

فضحك — أضحك الله سنه ، وحقق في كل خير ظنه — وقال : إن كنت تحفظ في غرائب أخلاق الحيوان شيئا فأذكره إذا حضرت ، فقد مر في أخلاق الإنسان ما يكفي مجلس الإمتاع واللؤاسة ، فإذا ضم هذا إلى ذاك كان للإنسان فيه تبصر كافٍ ، وتذكُّر شافٍ . وصدق — صدق الله قوله —

(١) « حرمته » .

(٢) وقال ، أى الوزير .

(٣) « الثيران » .

لأن الإنسان أشرفُ الحيوان ، وإنما كان هكذا لأنه حاز جميع قوى الحيوان ثم زاد عليه بما ليس لشيء منه ، فصار ربيًا له سائسًا ، ومصرِّفًا له حارسًا ، ونظر إلى ما سَخَّرَ له منه فاعتبر ، وقاد ^(١) نفسه إلى حَسَن ما رأى ، وعَزَّهَا عن ^(٢) قبيح ما وَجَدَ ، ولم يَجْزُ في الحكمة أن يُحَرِّم الإنسان هذا مع ما فيه من المواهب السنية ؛ والمناخ الهنيء ، فإن قال قائل : فاللائكة إذن قد حُرِّمَت هذه الفضيلة ، فليعلم هذا القائل أن المَلَك لما خُلِقَ كاملاً لم يَكُفَّ أن يَكْمُلَ وَيَتَكَمَّلَ ويستكمل ، فصار كل شيء يطلبه ويتوقاه سبباً إلى كماله المُعَدَّ له وَغَايَتُهُ المقصودة . فإن زاد فقال : فها خلق ^(٣) كاملاً ؟ فليعلم أن كلامه على طريق الجدَل ، لا على طريق البحث عن العِلَل ، لأنه قد جهل أنه بالحكمة وَجَبَ أن يكون الأمر مقسوماً بين ما يجوز الكمال بالجِلَّة ^(٤) ، وبين ما يَكسِبُ الكمال بالقصد .

ولما وَجَبَ هذا بالحكمة سَرَتْ إليه القدرة ، وساح به الجود ، وأُشْتَمِلَتْ عليه المشيئة ، وأحاطت به الحكمة ، وشاعت فيه الربوبية .

وهنا زيادة في شرح الخُلُق يتم بها الكلام ؛ فليس من الرأي أن يقع الإخلال بذكرها ، لأنها مكشوفة ظاهرة ، وهي أن الإنسان إذا غلبت الحرارة عليه في مزاج القلب يكون شجاعاً بذلاً ^(٥) ملتبهاً ، سريع الحركة والغضب قليل الحقد ، زكي الخاطر ، حسن الإدراك .

وإذا غلبت عليه البرودة يكون بليداً ، غليظ الطبع ، ثقيل الروح .

(١) « وعاد » .

(٢) « من » .

(٣) خلق ، أى الإنسان .

(٤) « بالجلية » .

(٥) « ذالاً » .

وإذا غلبت عليه الرطوبة يكون لَبَنُ الجانب ، سمح النفس ، سهل التقبل .
كثير النسيان .

وإذا غلبت عليه اليبوسة يكون صابرا ، ثابت الرأي ، صلب القبول .
يضبط ويحتد^(١) ، ويحك ويبخل ؛ وهذا النمت على هذا التنزيل — وإن كان .
منهوما — فأسرار الإنسان في أخلاقه كثيرة وخفية^(٢) ، وفيها بدائع لا تكاد
تنهى ، وعجائب لا تنقضى ؛ وقد قال الأول :

كلُّ أمرٍ راجعٌ يوما لشيئته وإن تخلق أخلاقا إلى حين
وقال آخر :

إزجم إلى خيمك المعروف ديدنه إن التخلق يأتي دونه الخلق
ولولا أن النزع عن الخلق شاق لما قالوا : تخلق فلان .

وقد قيل أيضا : « وخالق الناس بخلق حسن » ، وعلى هذا يجري أمرُ
الفريبة والطبيعة والنحيته والفريزة والتعيزة والسجبة والشيمة ، وربما
قيل : الطبيعة أيضا ، ثم العادة تاليةٌ لهذه كلها ، أوزائلة فيما قص فيها ، وموقدة
لما تحدد منها .

الليلة العاشرة

ولما عُدتُ في الليلة الأخرى ونعمتُ بهذه الفضيلة ، تقبل وقال : ما في العلم
شئٌ إلا إذا بُدئَ بالكلام فيه أتصل وتسلسل حتى لا يوجد له مقطع ولا منفذ
ثم قرأتُ عليه نوادر الحيوان ، وغرائب ما كنتُ سمعته ووجدته ، فزاد عجباً

(١) « ويحد » .

(٢) « وحقيقة » .

وأنا أرويه في هذا المكان حتى يكون تذكرة وفائدة — إن شاء الله تعالى .

يقال : إن أسنان الرجل أثنان وثلاثون سنا .

وأسنان المرأة ثلاثون سنا .

وأسنان الخصى ثمان وعشرون سنا .

وأسنان البقر أربع وعشرون سنا .

وأسنان الشاة إحدى وعشرون سنا .

وأسنان التيس ثلاث وعشرون .

وأسنان العز تسم عشرة سنا .

الذي ذكر من أصناف الحيوان أنه يكتسب معاشه ليلا : البومة والوطواط .

ومن الحيوان الوحش ما يستأنس سريعا : الفيل

ويحكى أن الحيوان الذي أسنانه قليلة عمره قصير ، والذي أسنانه كثيرة

عمره طويل .

الفيل إذا ولد نبت أسنانه في الحال ، فأما أسنانه الكبار وأنيابه الكبار

فتظهر إذا شب وكبر .

قلب جميع الحيوان موضوع في الوسط من الصدر ما خلا الإنسان ، فإن

قلبه مائل إلى الجانب الأيسر .

الأفعى تبيض في رحمها ، ثم يصير هناك حيوانا .

الشعر المولود مع الإنسان شعر الرأس والأشعار والحاجبين .

وأول ما ينبت بعد ذلك شعر العانة وشعر الإبطين وشعر اللحية :

(إن خصى الإنسان قبل احتلامه لم ينبت في جسده الشعر الذي يتأخر نباته ،

وإن خصى بعد احتلامه فإن ذلك الشعر يزول ، ما خلا شعر العانة فإنه يبقى .

المرأة إذا احتبس طمثها ربما خرج لها شعر يسير في موضع اللحية .

شعر الحاجبين ربما طال عند الكبير .
وشعر الأشفار لا يطول .
للأرناب في داخل أشداقها شعر ، وكذلك تحت أرجلها .
القفذ في فيه خمس أسنان في عمقه .
والبرية منها تسند قائمة وظهر الأنتى لاصق بظهر الذكور .
الرجال يشتاقون إلى الجماع في الشتاء ، والنساء في الصيف .
الخنزير إذا تمت له من ولادته ثمانية أشهر ينزوع على الأنتى .
الكلبة تحمل وتبقى ستين يوما ويوما ، وهذا أطول ما يكون ، ولا تضع
قبل أن يتم حملها ستين يوما ، فإن وضعت قبل ذلك فإنها لا تربى ولا يبقى
لها ولد .
الغيل الذكور ينزوي إذا تمت له خمس سنين ، وزمان هياجه ونزوه أيام الربيع
والأنتى تحمل سنتين ، ولا تضع إلا واحدا .
إذا باض الطائر وما كان من أصنافه يخرج من البيضة الطرف العريض
ثم يرق بعد ذلك .
كل ما كان من البيض مستطيلا محدد الطرف فهو يفرخ الإناث
وما كان مستديرا عريض الأطراف يفرخ الذكور .
وجرب من إناث الطير أنها إذا لم تجلس على البيض ^(١) تمرض .
القَبَج ^(٢) إذا هاج ووقفت الأنتى قبالة الذكر ، وهبت الريح من ناحية
الذكر مقبلة إلى ناحيتها حملت من ساعتها .

(١) « الطير » .

(٢) القَبَج : الكروان .

الحمام إذا نُتِفَت ريشة من ريشها احتبس بيضها أكثر مما لها بالطبع .
مبدأ خلق القَرخ من بياض البيضة ، وغداؤه من الصفرة ، فإذا خرج
قَرخان كان أحدهما أكبر جَنَّةً من الآخر ، والدكر منهما من البيضة الأولى
ومن الثانية الأُنثى .

الفاخِة^(١) تعيش أربعين عاما .

والصَّجَل^(٢) يعيش عشرين عاما .

الرَّخمة تُقرخ على صخور مشرفة عالية لا ينالها أحد ، ولا توجد رَخمة
وفراخها إلا في القَرط^(٣) .

العُقاب يجلس على البيض ثلاثين يوما ، وكذلك كل طائر عظيم الجَنَّة
مثل الإوز وما أشبهه ، والمتوسط الجَنَّة يجلس على البيض عشرين يوما ، كالجدَّة
والبُرَّة وما أشبه ذلك .

إناث الغُرَّان تجلس على البيض جلوسا دائما ، والدكر يأتيها بالطعم حينئذ .
الصَّجَل تَعْمَلُ عُشَّين يجلس الذكر على واحد ، والأُنثى على واحد .

الطاوس يعيش خسا وعشرين سنة ، وفي هذه المدة تنتهي ألوان ريشه .
ويحْضُنُ بيضه ثلاثين يوما . قيل : وربما أكثر قليلا ، ويبيض في كل سنة
مرة واحدة ، وعدد بيضه أثنى عشرة بيضة ، ويُلقِي ريشه في زمن الخريف
وبعده قليلا ، وذلك حين يُلقِي الشجر ورقه ، فإذا بدا أولُ الشجر وظهرت
فروعُه ، ونبت ورقه بدأ ريشه يَنْبُت .

(١) الفاخِة : ضرب من الحمام المطوق .

(٢) الصَّجَل : طائر على قدر الحمام كالقطا أحر التَّغار والرجلين ، ويسمى دجاج البر ؛ وهو
صنفان : نجدي ونهاي ؛ فالنجدي أخضر اللون أحر الرجلين ؛ والنهاي فيه بياض وخضرة .

(٣) القَرط : الجبل الصغير أو رأس الأكمة .

الثَّلَاثِينَ^(١) له لبن ، ويرضع ، ويحمل عشرة أشهر ، وتلد في الصيف ولا تلد في زمان آخر البتة ، وربما غلب تحت الموج في الماء ثلاثين يوما لا يظهر ؛ وهو يحب لخرته يأكله .

الجمال الذكركر يكره قرب الفرس ويقاتله إذا تمكن منه .
الشاة إن مطرت بعد نزوها أنتفض حملها .

النم إذا أنزيت والريح جنوب نضع أولادها إناثا ؛ وإن كانت العروق أتت تحت السن الكباش الفحول بيضا فإن إناث النم تضع حملانا بيضا ، وإن كانت العروق سودا فإنها تضع حملانا سودا . وإن كانت لونين تكون مختلفة ؛ وإن كانت شقرا خرجت شقرا .

النم إذا هاجت السنة منها أولا فالسنة ذات خصب ، وإن هاجت القنينة أولا فالسنة رديئة على النم .

الكلب السلوقي [ينزو^(٢)] إذا تم له ثمانية أشهر ، والأثني منها تحمل ستين يوما ، وربما زادت يوما أو يومين ، وجراؤها عُمى^(٣) اثنين وعشرين يوما . ومنها ما تحمل ثلاثة أشهر وتكون جراؤها عُميا سبعة عشر يوما .

إناث الكلاب تلمت في كل سبعة أيام وتبول جالسة ، ومنها ما ترفع رجلها عند البول .

ذكور الكلاب ترفع أرجلها للبول إذا تمت لها من ولادتها ثمانية أشهر وبعضها في ستة أشهر .

(١) الدافين من دواب البحر ، اشتهر بأنه ينجي الفريق ؛ وصفته كالزق للنفوخ وله رأس صغير جدا ، ولا يؤذى أحدا ، وهو كثير بأواخر نيل مصر .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها .

(٣) « على » .

ذكور الكلاب السلوقية تعيش عشرين سنين ، وإناثها اثنتى عشرة سنة ، ومن أجناسها ما تعيش عشرين سنة ، وإناثها كلها أطول أعمارًا من الذكور .

قال أوميروس الشاعر : إن كلب إديوس هلك وهو ابن عشرين سنة .
وليس تلقى الكلابُ شيئًا من أسنانها سوى النابين ، فإذا نَمَّ للكلب أربعة أشهر أبقاها .

البقر تلقى أسنانها لستين ، وإذا كثر نَزْوُ الذكور منها وحملُ الإناث يكون ذلك علامةً شتاء وجود أمطار وخصب ، وإناثها تَطْعَت .

إناث الخيل تضع أولادها في أحد عشر شهرًا ، أوفى الثانى عشر .
الحيات رَعْبَةٌ نَهْمَةٌ ، قليلة شرب الماء ، لأنها لا تضبط أنفسها ، وإذا شمت الشراب فإنها تشاق إلى جِدًّا .

الأسد إذا بال رفع رجله كما يرفع الكلب .
البقر تشتهى شرب الماء الصافى النقى ، والخيل على الضد فإنها تشرب مثل الجمال الماء الكدِر الغليظ .

الغنم فى الحريف تشرب الماء الذى تصيبه ريح الشمال ، وذلك الوقت أوفى لها .

الثَّراج إذا هَبَّتْ الرِّيحُ شمالًا تَزَاجُجُ (١) وتُخَصِّبُ ، وإن كانت جنوبًا ساءت حاملها ومرضت .

السَّمَكُ الذى يأوى إلى الشطوط من ناحية البرِّ أَلَدٌ من الذى يأوى إلى الجِجِجِ وما كان منها مستطيلَ الجِثَّةِ فهو يُخَصَّبُ فى الصَّيفِ وهبوب الشمال ؛ والعريض

(١) « تزاوج » .

الجنة على ضد ذلك ، وأكثر ما يصاد السمك قبل طلوع الشمس لكلبه على الرعى ، وطلب العظم .

والسمك الجاسى الجلد ينحصب فى السنة للطيرة ، لأن ماء البحر يحلو فيها .
الكلب له ثلاثة أمراض : الكلب ، والذئبة^(١) — وهو القاتل لها —
والنقرس .

والداء الذى يقال له الكلب يمرض للجمال أيضا ، فإذا كلب الجمل بجرح ولم يؤكل لحمه .

الخنيل إذا ألت حوافرها وقت تنصل^(٢) نبت لها حافر آخر عاجلا ، لأن نباته يطلع مع نصول الحافر .

وعلامه ذلك اختلاج الخصية اليمنى .

ويرض للخنيل داء شبيه بالكلب ، وعلامته استرخاء آذانها إلى ناحية أعرافها ، وامتناعها من الملف ، وليس لهذا الداء علاج إلا التسكين .

لا يكون فى بلد الهند خنزير . لا أنيس^(٣) ولا برى ، وفى أرض تُعرف بكذا يجرى البقر كما يجز الغنم ، وفى أرض الثوبة تولد الكباش نابجة^(٤) القرون .

وإناث الكلاب السلوقية أسرع إلى الأدب من الذكور .

جميع أجناس الحيوان إناثها أقل جرأة وأجزع ، ما خلا الذئبة ، فإنها أصعب خلقا وأجراً من الذكور .

العقاب والتنين يتقاتلان ، والعقاب تأكل الحيات حينما وجدتها .

(١) « والبلبة » .

(٢) نصول الحوافر : خروجها من مواضعها .

(٣) « إلا أنيس ولا برى » .

(٤) « نائجة » .

الغُداف^(١) يَظُف بيض البُومة نصف النهار فيأكله ، لأنَّ البومة لا تبصر بصراً حاداً في ذلك الوقت . فإذا كان الليل شَدَّتْ البُومة على بيض الغُداف فأكلته . بين المنكبوت وبين الحِرْدُون^(٢) شرٌّ ، لأنَّ الحِرْدُون يأكل المنكبوت . عصفور الشَّوك يقاتل الحمار ، لأنَّ الحمار إذا مرَّ بالشوك أفسد عشه ، فإذا نهق بالقرب منه وقع يبيضه ، وإن كان فيه فراخ خرجت منه ، فلهذه العلة يطير هذا العصفور حول الحمار وينقره .

الغراب يعادى الثور والحمار وينقرهما .

والحية تعادى الخنزير وأبن عرس ، لأنهما يأكلان الحية حيث وجداهما . الغُداف مصادق للثعلب ، والثعلب مصادق للحية ، « والسبب^(٣) في عداوة العصفور للحمار أن معاش العصفور من بزر الشوك وفيه يبيض ، وهو وكره ، والحمار يرمي ذلك الشوك إذا كان رطباً » .

البقر يكون في الجبال إذا ضَلَّتْ بقرة تبعها الأخرى ، ولذلك الرعاة إذا لم يجدوا بقرة واحدة وعدموها طلبوا سائر البقر وفقدوها من ساعتهم .

الخيل إذا ضلت الأنتى منها أو هلكت ولها ولد فإن إناث الخيل ترضعه وتربيّه ، وذلك أن جنس الخيل في طباعها حُبُّ أولادها .

الأيائل تُلْقِي قرونها في أماكن عِسرَة صعبة ، لا تَرْتَقِي لثلاث توخذ ؛ ولذلك قيل في الثلث : حيث تلقى الأيائل قرونها ، فإذا ألقها توقّت أن تظهر إلى أن تنبت ، كأنها قد أَلْقَتْ سلاحها . وقيل : إنه لم يمان أحد القرن الأيسر من قرونها ، لأن فيه منفعة عظيمة .

(١) الغُداف : غراب كبير يكون ضمن الجناحين .

(٢) الحِرْدُون : دوية شبيهة بالضب ؛ وقيل : ذكر الضب .

(٣) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذه العبارة التي بين هاتين السلاطين .

وإذا وضعت أولادها أكلت مشأئها من ساعتها ، ولا يمكن أخذها لأنها تأكلها من قبل أن تقع على الأرض .

والأيلة تصاد بالصغير والفناء ، ويفعل ذلك رجلان أحدهما يقف ويصفر ، والآخر يرشقها بالسهم ، فلا يصفأها ^(١) إلى الصغير والفناء لا تحذر السهام .

ويقال إن الأيل إذا كانت أذناه قائمتين فهو يسمع كل شيء ولا يخفى عليه ما يراد به ، وإن كانتا مسترخيتين خفي ذلك [عليه] .

الفهد إذا أكل الشسبة التي تسمى خاقه ^(٢) الفهود يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالمج به .

ابن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب مخالفة للحية .

اللقاق إذا خرجت من قتال بعضها بعضا تضع على الجرح صعترا برياً .

يقال إن ذكور المصافير تبقى سنة فقط ، والدليل على ذلك — أنها من قبل أطواها التي في أعناقها — لا تظهر في الربيع ، بل بعد ذلك بأيام ، لأنها لا تبقى شيئاً من الذكور التي كانت من العام الماضي ، فأما إناثها فهي أطول أعماراً .

إذا دنا الصياد من عش القبج تخرج الأنتى من بين يديه وتطمعه في صيدها حتى تهرب فراخها ، ثم تطير وتدعو فراخها إليها .

وإناث القبج تبيض خمس عشرة بيضة ، والذكر منها يطلب موضع بيض أثنائه فيدخره — مخافة أن تقعد عليه وتشتغل عنه — فيفسده ، وهي تحاول أبداً في الحرب منه وتضع موضع عشها ، فتبيض في أما كن خفية ، ومتى ^(٣) قصدها

(١) « ملاصقاً لها » .

(٢) « خاقه » .

(٣) « ومن » .

قامت عنه وأطمت في نفسها حتى تبعد عن أما كن يبضها ، فإذا بعد طارت
ثم أحتالت في الرجوع إليه .

المدهد يعمل عشه من زبل الإنسان ، فلذلك رأحتته كريحته .

العقاب تصيد منذ حين القداة إلى وقت الرواح ، فأما من أوان الرواح^(١)
إلى أن يترحل النهار فهي قاعدة في مكانها لا تتحرك .

ومنتار العقاب الأعلى ينشأ ويعظم ويتعقف حتى يكون ذلك سبب هلاكها
لأنها لا تنال به الطعم ، فإذا فضلت للعقاب فضلة من طعمه وضها في عشه
لحاجة فراخه إليها .

أصناف الطير المحقة الخالب لا تجلس على الصخر إلا في القروط ، لأن خشونة
الصخر مخالقة لتعقف مخالبا .

النحل تعمل عسها في زمانين : في الربيع والخريف . والصل الذي عمله
في الربيع أشد بياضا وأجود من الذي عمله في الخريف .

وأضعف الصل يكون أبدا في أعلى الإناء ، والنقى الطيب في أسفله .

الأسد عظامه جاسية جدا ، وإن دلكت بعض عظامه بيمض خرجت منها
نار كما تخرج من الحبارة .

الحیوان الذى له شعر [فى أشفار^(٢) عينيه] ليس فى أشفار عينيه شعر إلا
الشعر الأعلى .

والنعامة لها أشفار فى الجفنين الأعلى والأسفل .

(١) « المصح » وهو تبديل وقع من النسخ يناقض ما قبله .

(٢) هذه الكلمة التى بين مربين لم ترد فى الأصل ؛ والسياق يقتضها .

التفند تبيض خمس بياضات ، وليس هو بياضا بالحقيقة ، بل هو على صورة البياض ، يُشبه الشحم .

قلب كل حيوان طرفه حادّ ، وهو أصلب من سائر جسده ، وهو موضوع في وسط الصدر سوى الإنسان ، فإنه مائل فيه إلى الناحية اليسرى ، لأنه يكون بإزاء ^(١) الجانب الأيسر فيعادل الناحية اليمنى ، فإن اليسرى من الإنسان أكثر بردا .

وليس في قلوب جميع الحيوان عظم إلا في الخيل ، وفي جنس من البقر ، فإن في قلب هذين عظما دون غيرهما من الحيوان .
وكل حيوان له قلب كبير يكون جزوعا .
الكلاب الهندية تقول لمن كلب وسبع شبيه بالكلب .
والحمار حيوان بارد ، ولذلك لا يكون الوحش منها [إلا ^(٢)] في المكان البارد .

ذكور البغال لا تشم أبوال إناثها كسائر ذوات الحافر .
يبيض الطير فيه لونان : بياض وصفرة .
وبيض السمك فيه لون واحد .
إذا كانت الرياح جنوبا كان الولود أنثى ، لأن الجنوب إذا هبت رطبت .
وإذا أشملت كان للولود ذكرا .
عميون جميع الصبيان ساعة ولادتهم شُهل ^(٣) ، ثم تنتقل إلى الطباع التالية عليها .

(١) « إناء » .

(٢) « الحائث » .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٤) شهل : من المعلة ضم الشين ، وهو أن يشوب سواد العين زرقا ؛ وقيل أنه تشوب الحدة حمرة وليست خطوطا .

وعيون جميع الحيوان لون واحد ، كالبقر فإن عيونها سود . وعيون البشر ^(١)
ألوان كثيرة .

صاحب العين النائثة ^(٢) لا يُبصر ما بعد عنه بصرا جيّدا ، والفائرة تُبصر
ما بعد عنها ، لأنّ حركتها لا تتفرّق ولا تتبدّد .

الفهد ربما تكح اللبّ فيتولّد بينهما سبع مختلف المنظر ، لا يتناول الناس
ويصيد الكلاب ويأكلها ويستخفي في البحر ، فإذا مرّ به أيل مفاجأة وثب
عليه وأنشب ^(٣) مخالبه في أكتافه ومصرّ دمه حتى يضعف الأيل ^(٤) ويسقط
فيجتمع عليه هذا الصنف من السباع فيأكله ، فإن أجتاز بها أسد نهضت عنه
وتركت الفريسة له تقربا إليه .

بأرض يونان معزى جمدة الصوف ، يقال لها : للمعزى البرية ، فإذا
أصاب قرونها شيئا من قضبان الكرم لم تنبت ورقه ولا ثمره ، بل يحفّ مكانه
ويسقط ما عليه من الورق والثمر .

السلحفاة تخرج من البحر إلى الرمل فتبيض فيه ، حتى إذا بلغ أوانه
وخرج أولادها ، فما كان ناظرا إلى ناحية البحر كان بحريا ، وما كان وجهه
إلى ناحية البر كان برّيا .

والسلاحف تمتنع من الذّكران ، فيأتيها بعدد يحملها في فمه ، ويدنو منها ،
فإذا رأت ذلك العود سكنت له .

وما كان من السلاحف بحريا فخرج إلى البر وأصابه حرّ الشمس لم يستطع

(١) « السر » .

(٢) « الثانية » .

(٣) « وأنبت » .

(٤) الأيل .

الرجوع إلى البحر وبق حتى هلك . وما كان برّياً فوقع إلى ناحية البحر تَلَف ولم يستطع الرجوع إلى البرِّ وهلك .

الثعلب يهَيَّ عُنْثَه ووَكْرَه ذا سبعة أجرة ، فإذا ^(١) طرقت الكلاب وغيرها مما يتخوف [في جحر ^(٢)] خرج من غيره .

وإذا قارب الزرع أن يُسْبِل ^(٣) دخل الثعلب فيه وتمكَّ فرحابه ، فيفسد ذلك الزرع ، ولذلك سمِّي أختراق ^(٤) الشمر : داء الثعلب ، لأنه ^(٥) يُسْقَطُه كما يذهب ورق السنبلة والشوكة .

التنفذ يعمد إلى الكرمه فيحزركها فيقع منها العنب ، فيتمزغ فيه حتى يملأ شوكة ويعود إلى عُنْثَه ، فإذا بصرت به جراؤه أطافت به تلتقط ذلك الحب من شوكة وتأكله .

الدُّب إذا هَيَّ من مِماء وَرَّ وهَيَّ من مِعى الشاة وَرَّ ، ثم علقا بآلات اللامى ، ثم ضرب بهما ، صوت للممول من الدُّب ، وخرس الورل للممول من الشاة . وكل شاة يتناول الدُّب من لحمها يكون لحمها حلواً للذئب ، وكل جزء صوف تُهَيَّ من الشاة التي قد تناول الدُّب منها قِل الثوب الممول منها من قبل ^(٦) أسنانه .

الكلب إذا مَرَض أكل حَلَفَاء رَطْبَةً .

(١) « كما إذا » .

(٢) هذه التكلة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ واللباق يقتضيها .

(٣) « يسيل » .

(٤) « اختراق » .

(٥) « لأنه » أي داء الثعلب ؛ « يسقطه » ، أي يسقط الشعر .

(٦) « شم » .

والأيل إذا مرض أكل حية .

والضبع إذا مرض أكل كلبا .

الأسد إذا أكل كلبا فإنه يكون قد ضرس فيزول ذلك .

الرخة إذا ضعف بصرها بقرت مرارة إنسان

الأعنز البرية [تألف ^(١)] حيتانا بحرية ، وتدع الجبال وتسلك طريقا بعيدا حتى تأتي البحر لمكان تلك الحيتان ، فلما عرف ذلك لللاحون سلكوا جلود تلك الأعنز ، ودنوا ^(٢) بها من شاطئ البحر على ظهورهم ، فإذا نظرت ^(٣) تلك الحيتان إليها خرجت مسرعة إليها فيصيدها لللاحون .

ليس من السباع شيء صلبه عظم واحد بلا خرز إلا الأسد والضبع .

من ربط على بطنه سنا ^(٤) من أسنان الذئب ولبسه لم يخف الذئاب .

والفرس الذي يعلق عليه شيء من أسنان الذئب يكون سريع الجرى .

المعزى البرية تكون صلبة القرون ، تأوى أطراف الجبال وما كان مشرفا من الصخور على أودية ، فإن بصرت بالصياد ألقت أنفسها من تلك الصخور لتقيها بقرونها ، فإن سقطت على غيرها هلكت ، وفي قرونها خرزات مستديرات على قدر ما يكون عدد سننها ^(٥) .

والعجب أنها تحفظ إناثها عند الكبر وتتعهدها بالطعم والمشراب تحمله على أفواها .

(١) في الأصل : « الأعنز البرية حيتانا » بقطو كلمة « تألف » أو ما يفيد معناها .

(٢) « ودنوا » .

(٣) [ظهرت] .

(٤) « شيتا » .

(٥) « سنوها » .

المعزى البرية إذا صيد شيء من سخاها تبعته ورضيت بالعبودية مع ولدها
وفي أطراف قرونها جحرة تنفّس منها ، فإن سُدتْ هلكَتْ مكائنها .

الورشان^(١) يتحرّز بأن يضع ورق النار في عُشه .

والجدأة تضع في عُشها ورق الملقّط تتحرّز به .

الخطاف يضع في عشه قضيب كرفس .

التدريج^(٢) يضع في عُشه سرطاناً نهرياً .

جميع السباع والدواب عند المشى تقدّم اليد اليمنى والرجل اليسرى .

لا تكون الزرافة إلا في أرض قليلة الماء .

إذا هم أصحاب الخيل أن يُنزّو^(٣) حماراً على فرس جزّوا عُرفها فتقر^(٤) حينئذ
وتنزل لكدم^(٥) الحمار لها .

يؤنان ثيران لها أربعة قرون لا ترضى بمجامعة البقر ، بل تجماع إناث
الخيول ، ويتولد بينهما خيول عجيبة للنظر .

الجاموس لا ينام أصلاً وإن أرخى عينيه إرخاء يسيراً ، لكنّه ساهر
الليل والنهار .

الجل إذا وقع على الناقة وقع الضراب سُترَ عن الرجال ، فإن نظر إليه
رجل قُصِب .

قالت الروم : إن السّتور يتولد من مجامعة الفهد لبعض السباع .

(١) الورشان : طائر شبه الحمام ، وهو نوبن وحجازي ، والنوبن أشبهها صوتاً .

(٢) التدريج : طائر كالقراج حسن الصوت يترد في البساتين .

(٣) يشترّوا .

(٤) فيغرّ وهو محريف .

(٥) لكدم . والكدم : الض .

[لا ينأى ^(١)] اليوم إلا إغفاءة ^(٢) .

ومن العجب أن السنور يكون صافى العين كثير البريق عند أمتلاء الهلال
وينقص ذلك الصفاء ^(٣) والبريق عند نقصان الهلال .

الأفنى إذا جامعها الذكر وأسمه الأفعوان تحولت إليه ، فإن ظفرت به
أكلت رأسه من شدة عشقها له .

ذكر المقرب اسمه عُقْرُبَان ، أمود صغير ، سريع المشى ، جاد ^(٤) الذهب
الحِرْذُون ^(٥) تفسيره بالعربية الذى يخرج من الزعفران .

التمساح لا يكون إلا فى النيل ونهر بأرض الهند يقال له : الرسيس
ويبيض كبيض الإوز ، وربما يولد منه حراذين صغار ، ثم يكبر حتى يبلغ
طوله عشر أذرع ، ويزداد طولاً كلما ازدادت سنو حياته .

وسنه اليسرى نافذة لحصى النافض .

وذكر أنه يجامع ستين مرة فى حركة واحدة ومحل واحد .

الحمار الوحشى يتولد بين الفرس والقييل ، وله قرن ينبت من أفقه كأنه
سيف ، وإن ضرب شجرة قطعها وبه يقاتل القيل ويجمع ^(٦) بطنه بقرنه ، ولم
يُعاين من هذا الجنس أثنى قط .

فى البحر حوت يقال له : البوس ، يتولد من الصاعقة إذا كانت فى البحر

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيه .

(٢) « أعطاه » .

(٣) « الصفا » .

(٤) « جاد » .

(٥) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ما يفيد أن لفظ الحِرْذُون غير عربى ولا أن
تفسيره بالعربية ما ذكره المؤلف ، كما أننا لم نجد ذلك فيما بين أيدينا من الكتب المؤلفة فى الحيوان .

(٦) « وينفض » .

وإن وُضع ذلك الحوت بين اثنين فأكلاه منه تحاباً ولا يحقد أحد على صاحبه ، ويتآخيان أحسن الإخاء .

كلب الماء أبداً ذنبه على ظهره واقع مع انطباق والتواء ، يرعى نبات الأرض ، وهو شديد الجزع من النار ، فإذا كان الليل خرج الصيادون بأيديهم شعل النار ، فيأتون بجثمتها ، وتلك لا تتحرك لجزعها من النار حتى تؤخذ ، وإن كلف منها ذكر لم يجامع أنثى قط ، وإذا أرادت الجماعه فإنها تجتمع وتجلد^(١) فتفرخ .

وإن أخذ منها صياد بشبكة واحدا وثبت كلها حتى تدخل الشبكة آية فراق بعضها بعضا .

ومن لبس جوربا من جلودها وبه قرص انتفع به جدا .
وإذا ابتلى إنسان برُعاف ثم أخذ قطعة من جلدها ، ثم أنقذ في ابن وأشتمه أقطع ذلك الرُعاف .

اليرابيع إذا اجتمعت في موضع ارتفع رئيس لها حتى يكون في موضع مشرف .
أو على صخرة أو تل ينظر منه إلى الطريق من كل ناحية ، فإن رأى أحدا مقبلا أو سُبعا صر^(٢) بأسنانه وصوت ، فإذا سمعته انصرفت عن اللوض إلى جحرتها .
فإذا أغفل ذلك وعانت البقية سبعا أو راجلا قبل أن يراه ذلك الرئيس انصرفت إليه وقتلته لتضييعه أو غفلته .

وإذا كان حسن الرصد مضت اليرابيع ققطعت أطرافها ما يكون من الخضره .
وأطيب العشب حملته بأفواهها حتى تأتية بحية وتكرمة .

(١) في الأصل « وتجلد وتروح » والمراد بالجلد هنا جلد عميرة .

(٢) « صر » .

وإذا كانت في جِحرَتها خرج الرئيس أولاً فيبصر الطريق ، فإن لم ير أحداً صرَّ بأَسَناته وصوت لها لتخرج ففرعى .

في البحر حوت يقال له : موفى ، ضعيف الجسد ، قليل القوة ، إذا جاع خرج إلى الشاطئ فاستلقى على الرمل فأقام شوكة في رأسه ، فإذا نظر إليه حوت آخر جاء مسرعاً ليأكله يظن ^(١) أنه ميت ، فيدخل بطنه تلك الشوكة فيقتله بها ويأكله .

وإذا ألقى الملاح صِنَارَه ولقيت ذلك الحوت رَمَى مكانه بتلك الشوكة الحادة يد الملاح فتخدر ويطرح أداة صيده .

فإذا رأى الحوت أن الصنارة داخلته أضلاعه غلبت الظلمة على بصره ومات من ساعته .

وفي جلد هذا الحوت عجب ، وهو أن الصاعقة لا تدنو من جلده ، والملاحون ينفطون سُنَمَهُم به عندما يتبينون ^(٢) الصواعق ووقوع المطر ، ويدنو هذا الحوت إلى طرف مقدم السفينة فيمسك بطرفه ^(٣) اللطيف ، فلو اجتمعت الرياح كلها بأشد هبوبها لم تستطع تحريك تلك السفينة ، فمن أخذ من جلدها وسر به شراع السفينة لم يخف على سفينته ^(٤) غرقاً .

السريع الحُضْر أربعة : التمر والعَرِيش ^(٥) وعنز الجبل وكباشها .
عدو الحيات أربعة : القنفذ والقيل والأيل والمصق .

(١) فظن .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل مكناً : « دون » .

(٣) بطرفه ، أى طرف مقدم السفينة . واللطيف : اللين .

(٤) لسفينتها .

(٥) الحريش : دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جداً ، غير أن لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يجزئ الناس ؛ ولها في وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح به .

الجبان اثنان : الأرنب والأيل .

ذو الزهر ثلاثة : الفرس والديك والطاوس .

ذو حدة السمع ثلاثة : الذئب والحمار والنخل^(١) .

القادر في التزاوج ثلاثة : المصفور والحمام والعنق^(٢) .

ذو الشهوة ثلاثة : المصفور والثور والباشق^(٣) .

لمتحارس بالليل اثنان : الكركي والبط .

نافي فراخه ثلاثة : النعام والنداف والعقاب .

محب الظلمة ثلاثة : البوم والحفاش والخلد .

ذو حدة البصر ثلاثة : العقاب والظبي والباشق .

من أخذ لسان ضبع وصر به بين الكلاب لم تكلب عليه .

من مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلاً من أصول عنب الحية هربت

منه . وعنب الحية هو الحنظل .

وذكر الحبارى يقال له : العَرَب .

إذا أراد إنسان أن يتزوج امرأة فليُنظر إلى أبيها وأخيها فإتباعها^(٤)

وبين يديه أحدهما .

(١) الخلد : دودية تحت الأرض ؛ وهي ضرب من الجربان .

(٢) العنق : طائر على قدر الحمامة وعلى شكل الغراب ، وجناحه أكبر من جناح

الحمامة ، ذولي عين : أبيض وأسود ، طويل الذنب .

(٣) الباشق : ضرب من بزاة الصيد ، وهو طائر خفيف الحمل شديد الملح ، يأكل

حياً ويستوحش حياً .

(٤) الراوي في قوله « وبين يديه » واو الحال ، أى كأنه يماينها حال كون أحدهما مائلاً

بين يديه يمينه . وفي الأصل « يمينه وبين يديه بأحدهما » .

من الحيوان ما لا يشبه الولدَ الوالدَ كالديبة والنحل والدَّبَرُ^(١) .
 أما الديبة فتضع أولادها توائم لا صور لها حين تولد ، غير أن أمها تهينُ
 صورها^(٢) ، وتسويها بلحسها إياها بالسنتها...^(٣)
 وأما الدَّبَرُ فإنها تلد دودا يتصور بعد ذلك .
 الضفادع والفيالم^(٤) والسرطانات لا ضرر عليها في ماء ولا ييس ، لكنهما
 عندها سيئان لا تهلك في برٍّ ولا تُخنق في بحر .
 كلُّ ما أكل اللحم فهو ذر أسنان قواطع صلاب ، وأعناق قصار شداد ،
 ومخالب وأظفار حداد ، ومناقير معقفة جذابة .
 للأسد ثلاث طبائع : الأولى منها أنه إذا مشى فشم ريح الصيادين عني
 على آثاره بذنبه لكيلا يتبعه الصيادون ويقفوا عليه في عرينه فيتصيدوه .
 والثانية أن اللبوة تلد شبلها ميتا ، فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه في اليوم
 الثالث فينفخ في منخره فيبعثه .
 والثالثة أنه يفتح عينيه إذا نام وهما يقظتان .
 ومن تمسح بشحم كلى الأسد ومشى بين السباع لم يخفها ولم تقربه ؛ وإن
 افترس^(٥) الأسدُ القريسةَ ولم يأكلها ميز أن ريحها منقنة جدا .
 وأصناف الحيوان التي تلغ الدم بالسنتها : الكلابُ والسنائير .

(١) « الدين » . والدبر : الزناير .

(٢) « صورها » .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من النسخ ، إذ كان مقتضى السياق أن يتحدث عن النحل بعد الديبة .

(٤) الفيالم : ذكرور اللاحف ، الواحد غيلم يفتح أوله .

(٥) « وإن لم يفترس » .

الأسد : تضع أولادها غيرَ منفحة العيون ، وإنما تفتح بعد ذلك .
وأما الأسد^(١) خاصة فليس له من جنسه قرين ، ولا يرى شيئا من السباع
كفؤا له فيصحبه ، ولا يقرب شيئا من بقايا فريسته بالأمس ولو جهده الجوع
ويهر^(٢) زفيره كثيرا من الحيوان الذي هو أعظم منه جسما وقوة .
وإنما تلد اللبؤة واحدا ويخرق^(٣) بطن أمه بأظفاره ويخرج منه .

الثعلب إذا جاع فلم يقدر على صيد عمد إلى أرض شديدة الحر وإلى
موضع الطير^(٤) إذا حى ، فاستلقى على ظهره ونظر إلى فوق ، ثم اختلس نفسه
وأخذ به داخلا حتى ينتفخ انتفاخا شديدا فيحسبه الطير قد مات ، فيقع عليه
ليأكل منه كما يأكل الجيفة ، فإذا اجتمع الطير انتفض سرعا وقبض على
ما وجد فأكله ، لأنه ذو خب^(٥) ومكر ، كذلك طبيعته إن أصابه ضرر فآثر
فيه آثارا وكلم فيه كلوما أخذ من صمغ شجرة تدعى قنطوريا^(٦) فأبرأها به .

القرد أهيا الحيوان لقبول التعليم ، وهو لعوب غصوب سريع الحس ،
لا يكون في بلد كثير السباع ، عدو لجميع الحيوان ، مليح الإهاب ، نهوش^(٧)
خطوف ، إلا أنه إذا شبع نام في غاره ثلاثة أيام ، فإذا خرج صاح بصوت

(١) يفيد قوله : « وأما الأسد خاصة » الخ أن هنا كلاما قبل ذلك في أصناف الحيوان
اقتى له قرين من جنسه ، وسقط هذا الكلام من النسخ .

(٢) يهر ، أى يجملها بصوت من التزع والخوف .

(٣) ويخرق .

(٤) البير .

(٥) الحب بكسر الميم وتشديد الباء : الخنازير والسكر .

(٦) كذا في الأصل . واقتى في ابن البيطار : قنطورون ؟ وهو صنفان : كبير وصغير ،
فالكبير له ورق شبيه بورق الجوز أخضر مثل ورق الكروم ؛ وله ساق شبيهة ببق الحشائش
طولها ذراعان أو ثلاث . وله شب كثيرة من أصل واحد ، عليها رءوس شبيهة بالحشائش الخ
وهذا هو المراد هنا .

عالٍ تخرج منه رائحة طيبة ، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته .
ومن أراد قتله ^(١) فليتمسح بشحم الضبع ويدخل عليه في غارِه ، فإنه لا يمتنع ؛
خفيف الجرم ، حديد الشد ^(٢) يَقْظَان .
دابة يقال لها بالفارسية (درباست) إذا طلبه القانص ^(٣) أستلقى لظهره
وأراه أنه لا خصية له ، كأنه قد علم ما يُطلب منه .
خُلِقَ الجبانُ من الحيوان الخائفِ سريعِ الحُضُرِ سريعِ الحركة ، وجعل
الصنف الجريء العادي بطيء الحُضُر ^(٤) ميلدا .
الضبع مخالفة ^(٥) لجميع أجناس الحيوان ، وذلك أنها تصبح مرة ضبعا ذكرا
ومرة أنثى ، تُلْقَح أحيانا كالذَكَر ، وتقبل اللقاح أحيانا كالأنثى .
وطبيعتها أنها إذا رأت الكلب في ليلة مقمرة مشت على الآثار ووطئت
ظله ^(٦) فوق .
« ومن قتل ضبعا وأخذ لسانها ومرّ بين الكلاب لم تَكَلِّب ^(٧) عليه ، ولم
تعرِض له .
ومن مرّ بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلا من حنظل ، أسكتها عنه
وهربت منه » .

(١) « قتله » .

(٢) « السر » .

(٣) « القانص » .

(٤) « الحذر » .

(٥) مخالفة .

(٦) عبارة حياة الحيوان : الضبع إذا وطئت ظل الكلب في القمر وهو على سطح وقع الكلب فأكلته .

(٧) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذا الكلام الذي بين هاتين العلامتين في ص

القفند عدو الخيتات ، إذا قبض على حية تركها تضطرب على شوكة حتى يموت ، فإذا ماتت قطعها قطعاً .

الدب يقتل^(١) الثور ، والغالب عليه الانجحار في مغارته^(٢) .

القييل ليس له شهوة السَّقاء^(٣) ، فإذا أراد الولد أنى رياضاً وجناناً^(٤) فيها اللِّقَّاح^(٥) هو وإناته فتهيج له اللِّقَّاح برأحمته وقوة حرارته شهوته فتسافدت ، فإذا ولدت ولدت قائمة ، لأن أوصالها ليست مواتية كأوصال التي تلد باركة وراضة غير أنها تلد في الماء حذراً على دَغَفِليها أن يموت إذا وقع على الأرض ، فلذلك تدخل ساحل البحر حتى يبلغ للاء بطنها فتضع ولدها على الماء كالقراش الوثير والذي ذكر في ذلك يحرمها ولدها من الحية .

ما أشدَّ عداوة القيل للحية ؛ حيثما أصاب القيل الحية وطئها وقتلها . وإن هو سقط على جنبه لم يستطع القيام ، إنما نومه إذا أتكا على شجرة . ومن هناك — لتأعرف أهل تلك البلاد^(٦) كيف نومه — يأتون الشجرة فينشرونها بالمشار ، فإذا أتاها القيل واتكا عليها وقعا على الأرض معا ، وحينئذ يشتدَّ صياحه بصوت رفيع ، ويجمع إليه لذلك قبيلة كثيرة تحاول معاونته على النهوض والأنبعاث ، فلا تقدر على ذلك ، فتصيح جماعتها بصوت واحد جزعاً من ضعف حيلتها وعجزها حتى يأتى القيل الذى هو فى الجسم أصفر ، وفى

(١) فى الأصل : « يمل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يَحْتَضِيه ما يأتى فى

ص ١٨٥ سطر ١٢ و ١٣ .

(٢) « مغارته » .

(٣) « السَّقاء » .

(٤) « وحصانا » .

(٥) « اللِّقَّاح » بالْقَاف .

(٦) تلك البلاد ، أى التى تكون فيها القيلة .

الحيلة أكبر منها ، فيدخل مشفره^(١) تحت الفيل الساقط ، وتعمل كفعله جميعا في إدخال مشافيرها^(٢) تحته حتى تدعّمه فينبعث : وإنما كَوْنُ رأسِ الفيل في عنق قصير ، وكَوْنُ له بدلُ العنق الطويل المشفرُ الطويل ليكتفى به من الضيق ؛ وبه يتناول طعامه وشرايه .

وخلقت قوائمهُ غيرُ منفصلة ، لكتّها كالأساطين المصنّعة والسوّارى الوثيقة لتحمل الكثير الثقيل ؛ ورُبِطت بمراقيب صغارٍ غيرٍ منحنية ولا منثنية على الأوصال ، لكن عظامه مفرّغة إ فراغا .

تطول أعمارُها إلى ثلاثمائة سنة ؛ غير أن الجُرُذان والبقَ تَلَقُّ بالقيّة فتؤذيها . السِّنْدَل^(٣) : دابة لا تخاف النار ، لأنها لا تحرقها ، وإن دخلت أخذوداً متأججا مضطربا بالنار لم تحفل بذلك ، وصارت النار التي تُبِيدُ الأجسامَ مَبْشَاهُذه الدابة التهيئة الحفيرة ، تستلذّ الثقلب فيها أستلذاذ القلب بالهواء البسيط وهبوب أرواحه^(٤) العلية ؛ ونضارة جلدها وتنقيته بالنار ، فيزداد بالنار حسن لون .

الأزنبُ من طباعها الجبن والخوف ، وهي كثيرة الولادة . الكلب ذو خص وأقفاء للأثر ، وبشمّه يسترشد^(٥) ويهتدى ويستدل إذا شمّ التوتلى عرفه إن كان له أو لغيره . ومن طباعه الترضى والبصبة والمشاشة^(٦) لمن عرفه .

(١) « مشفره » .

(٢) « مشافيرها » .

(٣) السندل : دابة دون الطب خلجية اللون ، حمراء العين ، ذات دنب طويل وقيل : طائر .

(٤) « وأرواح هبوه » .

(٥) « يسترشد » .

(٦) « والمشاشة » .

ليس في الحيوان أشد حبا لصاحبه منه ، فإن أشار له ^(١) على صيد وثب ناصبا رأسه رافعا ذنبه مستعدا كالفارس البطل والشجاع التجد ، مع نشاطه في الطلب وهو يعلم أن الصيد ليس بمحاضر ، لكن ذلك منه حسن طاعة .
فأما حب بعض جراء الكلاب لبعض إذا كان أخاه لأم ولأب فما قد عهد وشهد ، وذلك أنه حيث كان يطرح لها الطعام في الوسط ، فلا يخطف واحد منها ذلك ، لكنها تتعاطاه بينها يسكون وتمكين بعضها لبعض ، غير مستأثرة به ولا محاربة عليه .

الفرس من طباعه الزهو والحرارة وشهوة الإناث للسماد . وإن وطئ الفرس أثر وطء الذئب ارتعد وخرج الدخان من جسده كله .
الذئب إذا رأى الإنسان مبطلنا خطوه وهو ساكن سكته عنه ، فإن رآه خاف وجبن اجترأ ^(٢) وحمل عليه وكبسه .

وليس كل ذئب يمدو ، ولكن هو الذي يكون ضاريا ؛ وفيه خلتان :
إحداها أن يكون منفردا يمشى وحده ، والأخرى حدة متمع ، إن خفي عليه مكان النعم أنى مكانا وعوى صوتين ^(٣) أو ثلاثة ، ثم سكته منصتا لأصوات الكلاب التي مع النعم ونباحا حين سمعت عواه ^(٤) ، فإذا سمع نباح الكلاب شد ^(٥) مسرعا نحوها ، قاصدا إليها ؛ فإذا قرب من النعم مال إلى ناحية أخرى خالية من محرس ^(٦) الكلاب فاختطف ما أمكنه خطفه من النعم .

(١) عبارة الأصل ؛ « وضع أشلاه » والكلمة الأولى زيادة من الناسخ ، وفي الثانية تحريف .

(٢) « واجترأ » .

(٣) « قوتين » .

(٤) « عداه » .

(٥) « مد » .

(٦) « محرم » .

حمار الوحش إذا ولدت الأثني الأولاد الذكور جاء الفحل فانتزع خصى تلك الذكور وقطعها بأسنانه لكيلا^(١) تُصَاد أو تُشَارِك في طَرِيقَةٍ^(٢) ، إلا أن الأثني ربنا وَضَعَتْ ولدها في مكان غامض حتى يشتد جسده وتصلب حوافره ، ويقوى بالشد على النجاة من الفحل ، ولهذا السبب يُقَلُّ منها الفحول .
الحريش^(٣) دابة صغيرة في جرم البعدي ساكنة جدا ، غير أن لها من قوة الجسم وسرعة الحضر ما يُعْجِزُ القَنَاصَ^(٤) عنها ، ثم لها في وسط رأسها قرن واحد منتصب مستقيم ، به تناطح جميع الحيوان فلا يفلها شيء .

احتل لصيدها بأن تعرض لها فتاة عذراء وضيفة ، فإذا رأتها وثبتت إلى حِجْرِها كأنها تريد الرضاع ، وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة ، فإذا هي صارت في حِجْرِ الفتاة أَرْضَعَتْها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصبح كاللشوان من الحر والوشنان من النوم ، فيأتيها القَنَاصُ^(٥) على تلك الحال فيشد من وثاقها على سكون منها بهذه الحيلة .

الايبلُ عدوُ الحيات إن قربت منه حية فأنجحرت في صدع صفا ملاً الايبلُ فاه من القدير أو من حيث وجد فدفعه في ذلك الصدع ، ثم أجتذب الحية إليه بالقوة حتى يقتلها ، وإن كانت فوق أنزلها ، وكذلك إن كانت أسفل ، فإن كان جائعا أكل ما أصاب منها ، وإن لم يكن به جوع قَتَلَهَا وتركها فصارت الحيات ذوات السم الزعاف المُميت لكل من أصابه أو خالط بدنه

(١) يريد بقوله « لكيلا تصاد » أنها إذا خصيت قويت على الجري فلا يقوى الصيادون على اصطيادها .

(٢) يريد بالطريقة : الأمان التي يطرقها الفحل .

(٣) « الحرس » .

(٤) « القياس » .

(٥) « الناس » .

غذاء هذه الأيائل ، ويكون ملائماً لها لتبذلها .
وإن دَخَنَ البيت الذي فيه الحيات بدخان حريق قرن الأيائل قَرَّتْ
منه كلها خوفاً .

على أن الأيائل تقسه جباناً شديد الرعب ، إذا أكل الحية بدأ بذنبها حتى
ينتهى إلى رأسها ، ثم يقطعه بأسنانه ، وأكبر^(١) من ذلك [أنه] يتعلّق
برؤوسها وتبقى في الهواء . وتكثر في البرية^(٢) ويعطش عطشا شديدا فيعوج
إلى غدِير الماء .

الفرال ، يقال : ليس في الحيوان أبصر من الظباء ؛ ويقال لها بالبرنانية
النظارة والمبصرة .

الثور دابةٌ عَمَلٌ كدودٌ مقدّرٌ جسمه بقدر قوته . من طبيعته كثرةُ اللئى
وتوقّدُ شهوة السّفاد ، إن لم يُخصَّ لم يذللّ للعمل ولم يسكن ولم يصحّ جسمه
لأنّ الثلثة تحمل^(٣) جسمه وتنحله ، والخصاء يقطع ذلك كله . وبينه وبين
الدّب^(٤) عداوةٌ شديدة .

أعزُّ^(٥) الجبل وكباشه وهي الأزواء والتّيائل هذا جنس متمرّد في الجبال
سريع الحُضر في الشواقي والتوقّل^(٦) فيها^(٧) وطبيعتها أن تلد نواثم .

(١) أى وأكبر مما مرّ من دلائل جنبه أنه لا يقطع رؤوسها بأسنانه كما سبق ، بل
يتعلّق بها فلا يأكلها خوفاً ولا يلقاها من فيه تبقى رؤوسها معلقة في الهواء . هذا ما يلوح لنا
من معنى هذه العبارة .

(٢) للمرّة : خلط من أخلط البدن ، وهي الصفراء .

(٣) « تدخل » .

(٤) « الدّب » .

(٥) « أعزج » . ولم نجد هذا الجمع في كتب اللغة .

(٦) التوقّل : المصود .

(٧) « في الماء » .

قد يوجد من البهائم ما لا يحمل ، فأما أنتى الخيل إذا كانت حاملا فوطئت
أثر الدثب بحافرها أجهضت حملها .

الحمار فى طبيعته معرفة صوت الإنسان الذى اعتاد استماعه وإيناسه ، لا يضل عن
طريق سلكه مرة ولا يخطئه ، إذا ضلّ راكبهُ الطريق هداه وحمله على المصحّة .
وأما حدة السمع ، فليس فى البهائم فيما يُذكر أحدٌ سمعا منه .

اليامورة^(١) دابة وحشية نافرة ، لها قرنان طويلان ، كأنهما منشاران
تنشربهما الشجر ؛ إذا عطشت وردت القرات وعليه غياطل^(٢) وغياض ملتفة
أشجارها تفرّعت من أغصانها غصونٌ طوال دقاق مشبّكة ، فإذا شربت ريّها
وأرادت الصّدر أشتت الاستتار^(٣) والعدوّ بين تلك الأشجار « ولجّت^(٤) هناك »
فعلق قرّناها بتلك الفصون اللّذنة اللّينة ، وكلّما عاجلتها لتفّلت أزدادت ارتباطا
فإذا صجرت بما وقعت فيه عجت جزعا ، وسمع القناص صوتها فأثوها قتلوها .
الجمل : حقود ، يرتصد من ضاربه الفرصة والخولة لينتقم منه ؛ فإذا أصاب
ذلك لم يستبق صاحبه ، فأما ظهره فذو سنام مقبّب يكون لكثرة الحمل
وأحبال الثقل ، وأوصال ركبته وعراقيبه كبار صلاب ، وأوتارها وعروقها
متينة شديدة ، وعصبه وثيق لم يشتد^(٥) بضغط ألتحام مفاصله وأتصالها ولم
يسترخ مطويا^(٦) ، لكنها هيئت على الاعتدال^(٧) ليهون عليه بذلك البروك

(١) « اليامورة » .

(٢) النياطل : الكثير اللّيف من الشجر والنبات .

(٣) « الاثيار » .

(٤) وردت هذه البارة فى الأصل مؤخّرة عن هذا الموضع ؛ واليباق يقضى وضعها هنا .

(٥) « لم يقبذ » .

(٦) « مطويا » .

(٧) فى الأصل « الاعتدال » ؛ وهو تحريف ؛ والمراد بالاعتدال هنا أن أعصابه ليست

شديدة ولا مسترخية ، بل هى بين ذلك .

والتهوضُ بِجعله ، مع تسهيل الأرتقاء عليه في ذلك .
البقال : نوعٌ هَجِينٌ قد أثبتنا أنه لا يلد ، إلا أنه أهدى للطريق ^(١) للناس
وأثبت حفظا .

الثيران وكلُّ ذى قرن لا يأخذهُ القُوَّاق .
وأما سباع الطير وآكلات اللحم منها فصِلاب الأظفار ، حُجْنٌ ^(٢) التناقير
ذات حدة وقوة ، قوَّةُ الأجنحة .
والنواعض ^(٣) التى فيها القوادم أكثر طيرا .

الدبُّكُ صِلَفٌ في طبيعته ، غير أن له مع ذلك إيقاظا للنائم بصياحه في آفاء
الليل ، والتبشيرُ بإقبال الصبح وطلوع الشمس ، يؤنس السيارات في السفر ^(٤)
بصياحه في الليل ، ويحترهم على السير ، مع إيقاظه الفلاحين لعملهم ، والصَّنَاعَ
لصناعتهم ، وإذا سمع المرضى صوته داخلهم من ^(٥) ذلك رَوْحٌ وخَفَةٌ من مرضهم .
الطاوس يحبُّ الزينة ، غيرُ عفيف الطبيعة ، يدعوهُ زهوهُ وحرصُهُ على
التزيّن إلى نشر ذنبه وعقدِهِ كالطاق لتراه الأتني بحسن زينته .

الكراكيّ تتحارس ^(٦) بالليل ؛ ويجعل الحارس منها يتردد في المحلة
ويهتف بصوت محددا ^(٧) ، فإذا قضى نوبته أسترّاح وأعقبه الذى كان
مستريحا نائبا عنه حتى تقضى كلّها ما يلزمها من الحراسة ، فإذا طارت لم تطر

(١) أهدى الطريق للناس ، أى أكثر حفاة — لراكبه من الناس — إلى طريقه .

(٢) حجن التناكير ، أى مسوجتها ، الواحد أحجن ، والأثنى حجناء .

(٣) النواعض : فراخ الثعالب التى وفرت أجنحتها وقويت على الطيران ، الواحد ناعض .
وفي الأصل : « والنواعض » ولم نجد فيها راجعنا من كتب اللغة .

(٤) « يؤنس في السفر والسيارات لصياحه » .

(٥) « مع » .

(٦) « تتحارس » .

(٧) « محددا » .

مقطعةً ، لكنها تطير نَسَقًا غير مشتتة ، يقدّمها واحد منها كالرأس والمهادى لها حتى تتلوها كلها لازمة صفها ، ثم يعقبه بعده آخر متقدّم حتى يصير المتقدم الأول متأخرا في آخرها ، وتقتسم كرامة المتقدم كلها بالسوية ؛ وفيها ما يبعد سفره وينقل عن مصيفه إذا هجم الشتاء .

البط له يقظة حارسة تدل على حدة حسّه .

الجراد معروف الحال .

العقاب تطلب عين^(١) الماء ، فإذا أصابتها تحلق طائرة إلى حر الشمس وهو موضع دوراتها فيخترق ريشها وما كان من جناح ، ثم تنفوس في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة^(٢) « وتذهب ظلمة عينها »^(٣) .

وأما الطريرج^(٤) فيقيض الله له طائرا يقال له : قاس^(٥) فيضّمه إليه ولا يدعه يهلك ، ولكنه يقرّبه ويربّيه مع أفراده .

وأجنحة العقبان مفصّلة شبه ريشها .

وبصرها قوى بعيد تحت الشعاع المستنير .

ويقال : إنها أبصر الطير .

الحجّيل يأتي أعشاش نظرائه فيسرق بيضها ثم يحضنها ، فإذا تحرّكت الفراخ وطارت لحقت بأُمَّهاتها .

البوم مأواه ومحلّه الخراب ، يوافقه الليل ، لأنه بالليل بصير وبالنهاري كليل ، مع حبه التوحّد والخلوة بنفسه ، وبينه وبين الغربان عداوة ما تنقضى .

(١) « من » .

(٢) « شابة » .

(٣) وردت هذه العبارة في الأصل قبل هذا الموضع .

(٤) يريد بالطريرج : المنيّ القوي لا يقدر على الطيران لضففه من المرض ونحوه .

(٥) لم نجد اسم هذا الطائر فيما راجعناه من الكتب .

النَّسْرُ يَتَّخِذُ وَكَرَّهُ فِي الْكَافِ الْمَالِي الْمُرْتَفِعِ ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ فِيهِ يَنَامُ
كَالرَّاصِدِ ، إِمَّا فِي ذِرْوَةِ الْجَبَلِ أَوْ فِي وَسْطِهِ مِنْ شَطَائِيهِ ^(١) وَثَنَائِيهِ وَمَوْضِعِ التَّنَمَةِ .
وَإِذَا سَحَلَتْ زَوْجَتُهُ مَضَى إِلَى الْمُنْدِ فَأَخَذَ مِنْ هُنَاكَ حَجْرًا كَهَيْئَةِ الْحِجْرَةِ
إِذَا حُرِّكَ سُمِعَ بِهِ صَوْتُ حَجَرٍ آخَرَ — يَتَحَرَّكُ فِي وَسْطِهِ ^(٢) — كَصَوْتِ
الْجَرَسِ ، فَإِنْ عَسَرَتْ عَلَى زَوْجَتِهِ الْوَلَادَةُ جَعَلَتْ ذَلِكَ الْحَجَرَ تَحْتَهَا وَعَلَتْ عَلَيْهِ
فِيذْهَبُ عَنْهَا الْعُسْرُ .

قَالَ : وَرَأَيْتُ مَرَّةً أَتَى مِنْ جِنْسِ الطَّيْرِ مَاتَ زَوْجُهَا فَامْتَنَمَتْ مِنَ الطَّعَامِ
وَالنَّوْمِ لِيَالِي ^(٣) كَثِيرَةً صَارَتْ فِيهَا كَالنَّاعِمَةِ الْبَاكِیَةِ عَلَى زَوْجِهَا بِتَنْفُسِ الصَّمَدَاءِ
وَزَفَرَاتِ الْحُزَنِ لَا تَلْقُطُ أَيَّامًا مُتَابَعَةً شَيْئًا .

الْبُرْءَةُ مِنْ طَبِيعَتِهَا أَنْ تَدَاوِيَ أَنْفُسَهَا وَفِرَاحَهَا فَلَا تَمُوتُ ، لِأَنَّهَا تَسْتَعْمِلُ فِي
بَعْضِ الْمَرَضِ وَالْبَاءِ ^(٤) نَبْتَةً تَعْرِفُهَا وَتَعْرِفُ طَبْعَهَا ... « وَمِنْهُ مَا يَنْقُصُ وَيَزِيدُ » ^(٥) .
النِّعَامُ : لَا يَقُولُ أَفْرَاحُهُ إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً ، ثُمَّ يُدْحِضُهَا ^(٦) وَيَطْرُدُهَا مِنْ
عِنْدِهِ إِنْكَارًا لَهَا .

الْفُدَافُ لَا يَبْيَضُ وَلَا يُفْرِخُ مِنْ سَفَادٍ ، فَإِذَا أَفْرَخَتْ أَثْنَاهُ أَفْرَاحًا لَمْ يَزُفْهَا ^(٧)
وَلَمْ يُطْعَمْهَا ، إِلَّا [أَنْ ^(٨)] الْبَقَى وَالْبَعُوضُ يَقَعُ عَلَيْهَا لِزُهْمَتِهَا وَتَتَنَ لِحْمَهَا ، فَتَفْتَحُ

(١) شَطَايَا الْجَبَلِ : قَطْعُ ضَخَامٍ تَقْلَعُ مِنْ حَرِّهِ وَلَمْ تَفْصَلْ أَهْمَالًا تَامًا ، تَشْبِيهَا لَهَا
بِالشَّطَايَا الْمَرْوُفَةِ . وَثَنَائِيهِ : الْعُقَبَاتُ فِيهِ .

(٢) « صَوْتُهُ » .

(٣) « لَيَالٍ » .

(٤) « وَالْبَانِيَّةُ » .

(٥) لَمْ يَضْمَعْ لَنَا وَجْهَ الْإِنْتِصَالِ بَيْنَ هَذِهِ الْبَارَةِ وَمَا قَبْلَهَا ؟ فَلَمْ يَنْصَحْهَا سَقَطَ مِنَ التَّاسِخِ .

(٦) يَدْحِضُهَا : يَدْحِضُهَا .

(٧) « يَدْحِضُهَا » .

(٨) هَذِهِ السَّكْمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَالْبَقَايُ يَحْتَضِي إِثْبَاتَهَا .

أفواهما وتبلغ ما دخل فيها من ذلك البق ، فهو يسكها ويقويه .
أنحاء طيران الطير مختلفة كاختلاف الطير ، بعضها يطير قريبا من الأرض كالبط وما أشبهه ، وبعضها يرتفع ، غير أنه لا يبعد ، كالحمام والغريزان ، وبعضها يخلق تحليقا ، كالمقاب والصقور^(١) والأجادل والبزاة .

وما كان من الطير بدنه أعظم من جناحه فهو قريب الطيران من الأرض ، لسرعة إحناء أجنحته واضطراره إلى الوقوع على الأرض .

البضائي^(٢) والأبث^(٣) : هذا طائر يحمي ولده ، فإذا تحركت فراخه ودرجت ضربت وجهه بأجنحتها فيدعوه المحك والغضب المطبوعان فيه إلى قتلها ، فإذا ماتت اكتب عليها الأبوان وأقاما عليها شبهة للمأثم ثلاثة أيام ، ثم إن الأم في اليوم الثالث تسق جنبها حتى يقطر دمها على تلك الفراخ ، فيصير ذلك نشورا لها بعد موتها .

مالك الحزين^(٤) ينشل الحيتان من الماء فيأكلها وهي طعامه ؛ لا يحسن السباحة ، فإن أخطأه أنشال فجاء طرح نفسه على شاطئ النهر في بعض ضحاه ، فإذا اجتمعت إليه السمك الصغار لتأكله أسرع [لأكل^(٥)] ما يؤكل منه .

من الطير ما يكتفح من هبوب الريح ، لا يحتاج إلى تراوُّج ولا إلى سيفاد .

(١) « والنور » .

(٢) كذا ورد هنا اللفظ في الأصل ؛ ولم نجد فيه راجعنا من كتب اللغة والكتب المؤلفة في الحيوان .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل مهلة الحروف من النقط ؛ والصواب إثباتها على هذا الوجه . والأبث : طائر من طير الماء كلون الرماد ، طويل النقب ؛ وسمى أبث لبنته ، وهي يئش إلى الحضرة ، وهو من شرار الطير .

(٤) مالك الحزين : من طير الماء ، وهو البلشون ، طويل النقب والرجلين .

(٥) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد في الأصل .

والخفاش له خصيتان كَخَصَى الحيوان ، وله أربع قوائم وأسنان حداد
 كأَسنان ذوات الأربع ، يُرَضِع ولده من اللبن إرضاعاً ، وجِلده أملس .
 القعقق لا يأوى تحت سَفَف ولا يستظل به ، ولكنه يهَيَّ وَكْرَه في المواضع
 المشرفة العالية والعرَاء الكاشِف وجهَ الهواء التسيح ؛ وطبيعته الزنا وخيانة
 الزوج ، فإذا باضت الأنثى بيضها حصنته بوزق الدُّلْب وغطته كيلا يقربه
 الخفاش ، فإن منه مَرِق^(١) البيض من ساعته وفسد .
 النحل يلد من غير لقاح الذكور .

الحية إذا هَرِمَتْ وكلَّ بصرها واسترخى جلودها دخلت في صدع صفاة
 ضيق أو جُحْر ضاغط يعسر عليها النفوذ فيه حتى ينسلخ عنها جلدها فتأني
 عين الماء فتتنفس فيها حتى يقوى لحمها وينعصب ، فإذا هي فلت ذلك عادت
 شابة كما كانت . فإذا أرادت أن تنفخ^(٢) عنها أكلت الرازيانج الرطب
 فاشتفت عيناها واحتد بصرها ، وإن ضُرِبَتْ ضربة بقصبة استرخت فلم تستطع
 الفرار ، فإن ثنيتها وثبت وسعت هاربة .
 إن أنقع الحسك^(٣) في الماء ثم نُضِحْ ذلك الماء بين يدي جُحْر الحية فرت
 من هناك .

وإن وُضِع في جُحْرها أصل سَمَحَصٍ رَطْب فرت أيضا .
 وإن رأت الحية إنسانا غُرِيانا استحيته منه ولم تقربه .
 وإن رآته كاسيا^(٤) حلت عليه بمرأة شديدة ؛ وما أشد طلبها لئثارها ؛
 وإن شُدخ رأسها ماتت من ساعتها .

(١) مرق البيض : صار ماء وفسد . وفي الأصل : مرث .

(٢) « تنفخ » .

(٣) الحسك محركا : نبات له ثمرة شائكة مدرجة تعلق بأصواف النمل .

(٤) « كاسيا » .

السَّمْسِيَّةُ ، وهى حَيَّةٌ حَمراءُ بَرَّاقَةٌ ، إِذَا كَبُرَتْ وَأَصَابَهَا وَجَعُ الْعَيْنِ وَكِدَتْ^(١) التَّمَسَّتْ حَانِطًا مُقَابِلَ الْمَشْرِقِ ، فَإِذَا تَبَدَّتِ الشَّمْسُ أَحَدَّتْ إِلَيْهَا بِصَرِّهَا قَدْرَ سَاعَةٍ فَإِذَا دَخَلَ شُعَاعُ الشَّمْسِ عَيْنَهَا كَشَطَ عَنْهَا الْعَمَى وَالْإِظْلَامَ ، وَلَا تَزَالُ تَعْمَلُ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَتَجَدَّدَ بِصَرِّهَا تَامًا .

الْأَفْتَى تَزَاجُ دَابَّةً بَحْرِيَّةً ، تَأْتِي الْأَفْئِي شَفِيرَ الْبَحْرِ فَتَصَوَّتْ ، وَصَوْتُهَا مُهَيِّجٌ لِتِلْكَ الدَّابَّةِ الْبَحْرِيَّةِ .

مِنْ أَحْرَقَ عَقْرًا طَرَدَ بِرَائِحَةٍ حَرِيقِهَا عِقَارِبَ ذَلِكَ الْبَيْتِ .

فَأَمَّا مِحْمَةُ الْعَقْرَبِ فَهِيَ جَوْفَاءُ كَهَيْئَةِ الْإِزْمَارِ مَعْقِفَةُ الرَّأْسِ مَكُونَةٌ لِلْدَّغِ ، فَإِذَا ضَرَبَتْ شَيْئًا تَحْرُكَتْ تَخْرُجُ نَفْرَجَ سِمَاهَا وَجَرَى فِي صُحْتِهَا وَسَرَى فِي الْمَلْدُوعِ .

الْإِنَاثُ مِنْ بَنَاتِ عَرَسٍ إِنَّمَا تَلْقَحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَتَلِدُ مِنْ آذَانِهَا .

مِنْ عَادَةِ هَذَا الْجَنْسِ أَنْ يَسْرِقَ مَا وَجَدَ مِنْ حُلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَيَحْبِيئُهُ فِي جَيْحَرَتِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ أَيْضًا فِي الْبَيْتِ حُبُوبًا^(٢) خَلَطَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، كَأَنَّهُ عَمَلُهُ عَمَلُ الطَّبَّاخِينَ فِي خَلْطِ التَّوَابِلِ .

الْفَارُ الْفَارَسِيُّ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ .

وَإِنْ أَخَذَ إِنْسَانٌ جُرْذَا فَرِيضَةً فِي بَيْتٍ فَزَيَّنَتْهُ مِنَ الْجُرْذَانِ كُلِّهَا .

وَإِنْ وُضِعَ فِي جُحْرِ الْجُرْذِ الْبَرِيِّ وَرَقُ الدَّقْلِ^(٣) مَاتَ الْجُرْذَانُ .

(١) كَدَتْ عَيْنَهَا ، أَيْ ذَهَبَ صَفَاؤُهَا ، مِنْ الْكُمَةِ ، وَهِيَ تَغْيِيرُ الْأَوْنِ وَذَهَابُ صَفَائِهِ .

(٢) « جَنْوَا » .

(٣) الدَّقْلُ ، نَبْتٌ مِنَ الطَّمْ جَدَا ، وَهُوَ بَرِّي وَنَهْرِي ، فَوْرَقُ الْبَرِيِّ كَوْرَقُ الْخَفَاءِ بِلِ الْأَرْقِ ، وَقَضْبَانُهُ طَوَالُ مُنْبَسِطَةٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَعِنْدَ الْوَرَقِ شَوْكٌ ، وَالنَّهْرِيُّ يَنْبِتُ فِي شَطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَشَوْكُهُ خَفِيٌّ ، وَوَرَقُهُ كَوْرَقُ الْخَلَّافِ وَوَرَقُ الْوُزْ ، عَرِيضٌ ، وَزَهْرُهُ كُلُّهُ كَالْوَرْدِ الْأَحْمَرِ ، وَحَلَّةُ يَشِبُّ الْحَزْنُوبِ .

الدودة الهندية هي دودة القز ، لها في رأسها قرنان ، ثم تتحول بيضة ثم تتصور في هيئة أخرى ، ذات جناحين عريضين منقبضين ، وصناعتها دُمَقْس الحرير .

النمل يحمل مواظب ، فإذا جمع الحب قطعته كيلا يَئْت إذا أصابه الندى والبلّة ، ويغريجه ويسطه عند فم الجحر ، فإذا يبس أدخله .
ومن جرب طبائع النمل أدرك عِلْمَ أزمان للطور والصحو .

ومن أراد أن يقتل النمل فليدق الكبريت والحبق^(١) ويذرهما في جحرته ولا يولد من تراوُج^(٢) ، ولكنه يخرج منه شيء قليل صغير فيقع في الأرض فيصير بيضا ، ثم يتصور من البيض بالهيئة التي ترى ، وإذا شمت الورد مُوتت وأجنحتها مُدْبِجَة لاصقة بها .

البق والبوض لا نتاج لهما ، وإنما تُنَجَل^(٣) من عَفَن الماء ووسخه وتنتنه .
ومن وضع غُصْن العنب في موضع تحت سريره لم يقربه بَق ولا بوض .
ومن أراد ألا يتأذى بالبراغيث فليجفر في وسط البيت حُفْرَة ويملأها دم تيس فإن البراغيث تجتمع هناك .

وإن وضع في الحفرة ورق دِفْلَى ماتت البراغيث .
الخُلْد غير ذى عينين ، دائم الحفر في غير قع ؛ وطعامه من أصول النبات وعروقها الداهية في الأرض ، فهو يصيب ذلك في خلال حفره .
يقال : إن في بلد كذا نهرا ماؤه في البحر منحدرًا إليه على حال طبيعته .

(١) الحبق محرّك : نبات طيب الرائحة ، حديد الطعم ، ورقه كورق الخلاف ، منه سهلى ومنه جبلى ، وهو الذى يقال له : القوتنج . وقال أبو حنيفة : إنه يشبه الرائحة التى تسمى التَّسَام ، ويكثر نباته على الماء ، وهو أنواع كثيرة .

(٢) « براوج » .

(٣) تنجل ، أى تولد .

ست ساعات ، وفي الست الثانية يحتبس ماؤه في ينبوعه ويرسَى جوفه ناضبا^(١)
قد يبس .

ونهر آخر يجري في كل سبع سنين نهر كبريت ، ولا يكون فيه سمك ، لأن
مائه يتغير في كل يوم ثلاث مرات ، وينبث^(٢) منه شبه نور ليس له رأس .
وأهل الشام إذا أرادوا أخذه ألغوه في سفينة ، ولا يستطيعون قطعه
بنأس ولا كسره بحجر ، إنما يؤتى بالماء الثنتين ودم الحيض فيخلطان جميعا
ثم يفضحان عليه ، فإذا وقعا عليه تحلل وتكثل ككتلا^(٣) صغارا ، وتستعمل في
أشياء ينتفع بها .

عين النار تنبع منها نار تضيء بالليل للسيارات فلا تطفأ^(٤) ولا تحتاج إلى
شئ يسكنها ، لكنها محفوظة بالحجارة ؛ إن حمل إنسان منها شعلة قُبِسَ إلى
موضع لم توقد .

البحر الميت يقال له ذلك لأنه يموت فيه كل حي .

السرطان ينسلخ جلده في السنة سبع مرات ، ويتخذ بعضه باين :
أحدهما شارع إلى الماء ، والآخر إلى اليئس ؛ وإذا سلخ جلده مدَّ عليه الشارع
إلى الماء لكيلا يدخل السمكُ فيأكله ؛ إلا أنه يدع الذي إلى اليئس مفتوحا
فتصيبه الريح وما ينفع لحمه ويمصيه ، فإذا اشتدَّ له وعاد إلى حاله فتح
ذلك السدود وسلك في الماء وطلب طعمه وما يقيم حياته .

الزأمور حوت صغير الجسم ألف لأصوات الناس ، مستأنسٌ باستماعها

(١) « ناضبا » .

(٢) « ينبع » .

(٣) « وتكثل كيلا » .

(٤) « يطفئها » .

وانلك يصحب السفن متلذذا بأصوات الناس ، فإذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بها وكسرها ، وثب الزامور ودخل أذنه ، فلا يزال زاسرا فيها حتى يفر الحوت إلى الساحل يطلب خرقا أو ضخرة ، فإذا أصاب ذلك لا يزال يضرب به رأسه حتى يموت .

وركّاب السفينة يحبونه ويطعمونه ويتفقّدونه ، ليدوم إلقاءهم وصحبته لسفيتهم ، ويسلموا به من ضرر السمك المادى .

وإذا ألقوا شبكة ليصطادوا السمك فوقع فيها الزامور خلّوه حيا وأخذوه^(١) وأعتقوا لكرامته أصناف السمك الواقع في الشبكة أحياء .



وإني [قرأت^(٢)] هذا الفصل على الوزير — كتب الله كل شأني له — في ليتين ، فتمجّب وقال : ما أوسع رحمة الله ؛ وما أكثر جند الله ؛ وما أغرب صنع الله . قلت : نعم ؛ وما أغفل الإنسان عن حق الله الذي له هذا الملك المبسوط^(٣) ، وهذا الفلك المربوط ؛ وهذه المعائب التي تصعد^(٤) فوق العقول التامة بالأعتبار والأختبار بعد الأختبار ؛ وإنما بث الله تعالى هذا الخلق في عالمه على هذه الأخلاق المختلفة والخلق المتباينة ، ليكون للإنسان المشرف^(٥) بالعقل طريق إلى تعرف خالقها ، وبيان لصحة توحيد له بما يشهد من أعاجيبها ،

(١) عبارة الأصل « وأخذوا أصناف السمك » ، وقوله : « وأخذوا » واقعة في غير موضعها ، وقد أبيتناها في الموضع اللاتني بها لاستقامة الكلام بذلك .

(٢) عبارة الأصل « وأن هذا الفصل على الوزير كتب الله » ، وفيها همس وتحرّيف كما هو ظاهر .

(٣) المبسوط .

(٤) « تصد » .

(٥) المشرف .

ونَبِيلٌ لِرِضْوَانِهِ بِمَا يَتَزَوَّدُ مِنْ غَيْرِهِ الَّتِي يَجِدُ فِيهَا ، وَلِيَكُونَ لَهُ مَوْقِفٌ مِنْهَا ، وَدَاعٍ حَادٍ ^(١) إِلَى طَاعَةِ مَنْ أَبْدَاهَا وَأَبْرَزَهَا ، وَخَلَطَهَا وَأَفْرَدَهَا .

قَالَ : قَدْ كُنْتُ قُلْتُ : إِنَّهُ يَجْرِي كَلَامٌ فِي النَّفْسِ مِنْذُ لَيْالٍ ، فَهَلْ لَكَ فِي ذَلِكَ ؟

قُلْتُ : أَشَدُّ الْمِيلِ ^(٢) وَأَوْحَاهُ ، لَكِنْ بِشَرَطِ أَنْ أَحْكِيَ مَا عِنْدِي ، وَأُرَوِّى مَا حَصَلَتْ مِنْ هَذِهِ الْعَصَابَةِ بِمَعَايِ وَسْوَائِي . قَالَ : نَسْتَأْنِفُ ^(٣) الْخَوْضَ فِي ذَلِكَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — فَإِنَّ النَّفْسَ ^(٤) قَدْ حَدَّثَتْ الْعَيْنَ ، فَأَنَا كَمَا قَالَ :

قَدْ جَمَلَ النَّفْسُ يُسْرِئُ بَيْنِي ^(٥) أَدْفُسُهُ عَنِّي وَيَسْرِئُ بَيْنِي

أَنْشِدْنِي أَيْبَاتَا وَدَعْنِي بَهَا ، وَلَتَكُنْ مِنْ سَرَاةٍ ^(٦) نَجْدٌ ، لَيْسَتْ مِنْهَا رِيحُ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ .

فَأَنْشِدْنَهُ لِأَعْرَابِي قَدِيم :

مُطَرِّبُنَا فَلَمَّا أَنْ رَوَيْنَا تَهَادَرْتُ شَقَاشِقُ مِنْهَا رَائِبٌ وَحَلِيبٌ ^(٧)
وَرَامَتْ ^(٨) رِجَالٌ مِنْ رِجَالِ ظُلَامَةٍ وَعَادَتْ ذُحُولٌ بَيْنَنَا وَذُنُوبٌ ^(٩)

(١) « صام » .

(٢) « لئيل » .

(٣) « نَسْتَأْنِفُ » .

(٤) « النفس » .

(٥) « يَسْرِئُ بَيْنِي وَيَسْرِئُ بَيْنِي » ، يريد أن النفس ينلّه ويملوه . وفي الأصل : « يَسْرِئُ بَيْنِي وَالْبَيْنُ الْمَهْلَةُ » . ولم يرد في اللسان قائل هذا الشعر .

(٦) « سَرَاةٍ » .

(٧) « تَهَادَرْتُ » أي تساقطت . والشقاشق : جمع شقشقة ، وهي جرة البعير معروفة ، وكنتي يتهدر الشقاشق عن الخسومة بين القوم وتنبئ بعضهم لبعض . يقول : لما أخصبت أرضنا تنبر بعضنا لبعض وتنبأ كل فريق منا لجارية فريق ، كما يدل على ذلك البيت الذي يليه .

(٨) « رَامَتْ » .

(٩) . التحول : جمع فحل بفتح القال ، وهو الثأر .

وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا فَرَوَّحَتْ لَمَنْ بِمَا هَاجَ الْحَبِيبَ حَبِيبٌ^(١)
 وَطَيْنٌ^(٢) فَنَاءَ الْحَيِّ حَتَّى كَانَهُ مَهْلٍ مِنْ كَرَّهِنٍ نَخِيبٍ^(٣)
 بَنَى عَمَّنَا لَا تَعْبَلُوا يَنْضَبُ الثَّرَى غَلِيلًا وَيَشْنِي الْمُسْرِفِينَ طَبِيبٌ^(٤)
 فَلَوْ قَدْ تَوَلَّى النَّبْتَ وَامْتَعِثَتْ الْقُرَى وَحُتَّتْ رِكَابُ الْحَيِّ حِينَ تَوُوبٌ^(٥)
 وَصَارَ^(٦) عَمِيفَ الْغُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا - ذُو جِدَّتَيْنِ قَشِيبٌ^(٧)
 وَصَارَ الَّذِي فِي أَتَقِهِ خُزْوَانَةٌ^(٨) يُنَادِي إِلَى دَائِمِي الرَّدَى فَيَجِيبُ
 أَوْلَيْتُكَ أَيَّامٌ تُبَيِّنُ مَا لَقِيَ أَكَلَبُ سَكْنَيْتٍ أَمْ أَشْمُ نَجِيبٌ^(٩)
 فَعَجِبَ وَقَالَ : هَذَا جَنَى غَرَمٍ قَدْ جُدَّ أَصْلُهُ ، وَنَزِمَ قَلِيبٌ قَدْ غَارَ مَدُّهُ
 وَجَزَّزُهُ ، وَانْصَرَفَتْ .

-
- (١) وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا ، أَيْ رَقَّتْ أَعْنَاقُهَا لِرِجَالِ الصَّبَا تَسْتَوِجُهَا . وَفِي الْأَصْلِ :
 « وَفَضَتْ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٢) « وَطَيْنٌ » .
 (٣) رَجَا الْبُئْرَ : نَاحِيَتَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالنَّخِيبُ :
 الْمُنْخَوْبُ ، أَيْ الْمَنْزُوعُ الْجُوفِ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَجِيبٌ » . شَبَّهَ فَنَاءَ الْحَيِّ وَقَدْ وَطِنَتْهُ هَذِهِ
 الرِّكَائِبُ بِجَانِبِ مَهْلٍ مَنخُوبِ الْجُوفِ مَهْدَمٍ مِنْ كَثَرَةِ مَا تَطَوَّهَ أَقْدَامُ الْوَرَادِ .
 (٤) نَضُوبُ الثَّرَى : كُنَايَةٌ عَنِ التَّفَاعُلِ بَيْنَ الْقَوْمِ ، قَالَ جَرِيرٌ :
 فَلَا تَوْبِسُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الثَّرَى فَإِنَّ الْقَى بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَثَرَى
 (٥) امْتَعِثَتْ الْقُرَى : اتَّبَعَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهَا الْمَبِيتَ .
 (٦) صَارَ يَصُورُهُ ، أَيْ ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَأَمَلَهُ نَحْوَهُ . يُشِيرُ إِلَى حُلُولِ الْجَدْبِ وَإِرْخَاسِ الْفَتْرِ
 أَقْدَارِ الْعَلِيَّةِ ، فَيَسْتَطِيعُ مِنْ لَهُ تَوْحِينَ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ أَكْرَمَ الْمُقَاتِلِ الْكَرِيمَةَ عَلَى قَوْمِهَا بِمَا لَهُ
 مِنْ يَسِيرٍ غَنَى وَإِنْ انْضَمَّ نَسَبُهُ .
 (٧) « مَشِيبٌ » .
 (٨) الْحُزْوَانَةُ : الْكَبِيرُ .
 (٩) « أَكَلَنَ » .
 (١٠) السَّكَيْتُ : الْقَى يَجِيءُ آخِرَ خَيْلِ الْحَلْبَةِ .

الليلة الثالثة عشرة^(١)

(١) فلما حضرت ليلة أخرى قال : هات . قلت : إن الكلام في النفس صعب ، والباحثون عن غيبها وشهادتها وأثرها وتأثيرها في أطراف متناوحة^(٢) وللنظر فيهم مجال ، وللوم عليهم سلطان ، وكل قد قال ما عنده بقدر قوته وحظه ، وأنا آتي بما أحفظه وأرويه^(٣) ، والرأى بعد ذلك إلى العقل الناصح والبرهان الواضح .

قال بعض الفلاسفة : إذا تصفحنا أمر النفس لحظناها^(٤) تفعل بذاتها من غير حاجة إلى البدن ، لأن الإنسان إذا تصوّر بالعقل شيئاً فإنه لا يتصوره بألّه كما يتصور الألوان بالعين والروائح بالأنف ، فإن الجزء الذي فيه النفس من البدن لا يسخن ولا يبرد ولا يستحيل من جهة [إلى^(٥)] أخرى عند تصوّره بالعقل ، فيظنّ الظانّ ممّا أن النفس لا^(٦) تفعل بالبدن ، لأنّ هذه الأمور ليست بجسم ولا أعراض جسميّة .

وقد تعرف النفس أيضاً الآن من الزمان والوحدة واليقظة ، وليس لأحد أن يقول : إن النفس تعرف هذه الأشياء بحسّ من الإحساس ، ففعل النفس

(١) يلاحظ أننا ذكرنا في الليلة السابقة أنها الليلة الحادية عشرة ، والصواب أنهما ليلتان الحادية عشرة والثانية عشرة ، كما يتبين ذلك من قوله : « في ص ١٩٥ س ١٠ : « وإن قرأت هنا الفصل على الوزير كتب الله كل شأني له في ليلتين » ولهذا جعلنا هذه الليلة الثالثة عشرة .

(٢) متناوحة ، أى متعاقبة .

(٣) « وأرومه » .

(٤) « لحظناها » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٦) في الأصل : « إنما » والتعليل الآتي بعد يقتضى أداة النفي كما أثبتنا .

إذن يفارق البدن ، وتأليف البرهان أن يكون على أن يقال : للنفس أفعال تخصها خلوة من البدن ، مثل التصور بالعقل ، وكل ما له فعل يخصه دون البدن فإنه لا يفسد بفساد البدن عند الفارقة .

وقال أيضا : وجدنا الناس متفقين على أن النفس لا تموت ، وذلك أنهم يتصدقون عن موتهم ، فلو أنهم يتصورون أن النفس لا تموت ، ولكونها تنتقل من حال إلى أخرى إما إلى خير وإما إلى شر ؛ ما كانوا يستغفرون لهم ، وما كانوا يتصدقون على موتهم ويوزرون قبورهم .

وقال أيضا : النفس لا تموت ، لأنها أشبه بالأمر الإلهي من البدن ، إذ كان يدبر البدن ويرأسه .

والله جل وعزّ للدبرّ لجميع الأشياء ، والرئيس لها . والبدن أشبه شيء بالشئ الميت من النفس إذ كان البدن إنما يحيا بالنفس .

وقال أيضا : النفس قابلة للأضداد ، فهي جوهر ، فالتائدة أن النفس جوهر .

وقال : النفس ليست بهيولى ، فلو كانت هيولى لكانت قابلة للعظم ، فليست النفس إذاً بهيولى .

وقال : ليست النفس بجسم ، لأن النفس نافذة في جميع أجزاء الجسم الذي له نفس ، والجسم لا ينفذ في جميع أجزاء الجسم ^(١) ؛ ولا هيولى ، لأن النفس لو كانت هيولى لكانت قابلة للتقدير والعظم ^(٢) ، وقائدة هذا أن النفس جوهر على طريق الضرورة .

(٢) « النفس » .

(٢) يلاحظ أن هذا الكلام مكرر مع ما سبق من قوله : النفس ليست بهولى الخ .

وقال آخر : حركة كل متحرك تنقسم قسمين : أحدهما من داخل ، وهو قسبان : قسم كالطبيعة التي لا تسكن البتة ، كحركة النار مادامت نارا ، وقسم هو كحركة^(١) النفس تهيج أحيانا وتسكن أحيانا ، وكحركة جسد الإنسان التي تسكن إذا خرجت نفسه وصار جيفة .

والقسم الآخر من خارج ، وهو قسبان : أحدهما يدفع دفعا كما يدفع السهم ويُطلق عن القوس ، والآخر يُجَرُّ جراً كما تُجَرُّ العجلة والجيفة .

وقال : فنقول : ليس يخفى أن جسدنا ليس مدفوعاً دفعا ولا مجروراً جراً^(٢) و [لنا] (٣) كان كل مدفوع أو مجرور متحرك من خارج متحركاً كما لا محالة من داخل ، فالجسد إذن متحرك من داخل اضطراباً .

وقال : إن كان جسدنا متحركاً من داخل ، وكان كل متحرك من داخل إنمّا متحركاً كحركة طبيعية لا تسكن ، وإما نفسية تسكن .

فليس^(٤) يخفى أن حركة جسد الإنسان ليست بدائمة لا تسكن ، بل ساكنة [لا] (٥) تلوم ، وكانت حركة كل ما سكنت حركته فلم تلم ليست حركة طبيعية لا تسكن ، بل نفسية من قبل نفس متحركة وتحسسه .

وقال : إن كانت النفس هي التي تحيي الإنسان وتحركه ، وكان كل محرك يحرك غيره حياً قائماً موجوداً ، فالنفس إذا حية قائمة موجودة .

وقال أيضاً : النفس جوهر لا عرض ، وحدّ الجوهر أنه قابل للأضداد من غير تغير ، وهذا لازم للنفس ، لأنها تقبل العلم والجهل ، والبز والفجور

(١) « حركة » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل .

(٣) في الأصل : « وقال ليس » ؛ والظاهر أن قوله : « وقال » زيادة من الناسخ .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل .

والشجاعة والجبن ، والعفة وضدّها ، وهذه أشياء أضداد ، من غير أن تتغير في ذاتها ، فإذا كانت النفس قابلة لحّد الجواهر ، وكان كلّ قابل لحّد الجواهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : قد استبان أن النفس هي الحمية المحركة للجسد الذي هو الجواهر و[لما] كان كلّ محمّ محرك لجواهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : لا سبيل أن يكون الحمية المحركة جوهرًا ويكون المحمي المحرك غير جوهر ، فإذا كانت هي الحمية المحركة للجسد ، وكان لا يمكن أن يكون المحمي المحرك الموجود غير موجود ، فالنفس إذا لا يمكن [أن تكون ^(١)] غير موجودة .
وقال : إن كانت النفس بها قوَى وحياة الجسد ، فيمتنع أن يكون قواها بالجسد ، بل بذاتها التي قامت بها حياة الجسد .

وقال : إن كانت النفس قائمة بذاتها التي قامت بها حياة الجسد ، فما كان قائمًا بذاته فهو جوهر ، فالنفس إذا جوهر .

وقد أملى علينا أبو سليمان كلامًا في حديث النفس هذا موضعه ، ولا حذر في الإمساك عن ذكره ليكون مضمومًا إلى غيره ، وإن كان كلّ هذا لم يجز على وجهه بحضرة الوزير — أبقاه الله ومد في عمره — لكن الخوض في الشيء بالتلم يخالف للإفاضة باللسان ، لأنّ القلم أطولُ عِنا من اللسان ، وإفشاء ^(٢) اللسان أحرَج من إفشاء القلم ، والغرض كلّ الإفادة ، فليس يكثر الطويل .

قال : ينبغي أن نعرف باليقظة التامة أن فينا شيئًا ليس بجسم له مدّات . ثلاث : أعنى الطول والمرض والسّمك ، ولا يجرأ من جسم ولا عرض من

(١) هذه العبارة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل . والنياق يقتضى إثباتها .

(٢) « وقضا » .

الأعراض ، ولا حاجة به إلى قوة جسميّة ، لكنّه جوهر مبسوط غير مُدرك بحسّ^(١) من الإحساس . ولنا وجدنا فينا شيئاً غير الجسم وضدّ أجزائه بحدّته وخاصّته ، ورأينا له أحوالاً تُبين أحوال الجسم حتّى لا تُشارك في شيء منها . وكذلك وجدنا مباينته للأعراض ، ثم رأينا منه هذه اللبانيّة للأجسام والأعراض إنّما هي من حيث كانت الأجسام أجساماً والأعراض أعراضاً ؛ قضينا أنّها هنا شيئاً ليس بجسم ولا جزء من الجسم ، ولا هو عرض ، ولذلك لا يقبل التغيّر ولا الحيلولة ، ووجدنا هذا الشيء أيضاً^(٢) يطّلع على جميع الأشياء بالسواء . ولا يناله فتور ولا ملال ، ويتضح هذا بشيء أقوله : كلّ جسم له صورة فإنّه لا يقبل صورة أخرى من جنس صورته الأولى البتّة إلّا بعد مفارقتها الصورة الأولى ، مثال ذلك أنّ الجسم إذا قبل صورة أو شكلاً كالتثليث ، فليس يقبل شكلاً آخر من التربييع والتدوير إلّا بعد مفارقة الشكل الأول . وكذلك إذا قبل نقشا أو مثالا فهذا حاله ، وإن بقي فيه من رسم الصورة الأولى شيء لا يقبل الصورة الأخرى^(٣) على النظم الصحيح ، بل تُنفّس فيه الصورتان ، ولا تتمّ واحدة منهما ، وهذا يطرد في السمع^(٤) وفي الفضة وغيرها إذا قبل صورة تُنفّس في الخاتم ؛ ونحن نجد النفس تقبل الصوَر كلّها على التمام والنظام من غير نقص ولا عجز ، وهذه الخاصّة ضدّ الخاصّة الجسم ، ولهذا^(٥) يزاد الإنسان بصيرة كلّما نظر وبحث وأرأى وكشّف .

(١) « بحسّ » .

(٢) هذه الكلمة وردت في الأصل في غير موضعها اللاتقي بها من العبارة ؛ والسياق

يقضى وضما في هذا الموضع .

(٣) « الأولى » .

(٤) « السمع » .

(٥) « ولها » .

ويتضح أيضا عن كُشْب^(١) أن النفس ليست بِعَرَضٍ ، لأنَّ العَرَضَ لا يوجد إلَّا في غيره ، فهو محمول لا حامل وليس هو قِوَامًا ، وهذا الجوهر الموصوف بهذه الصفات هو الحامل لمالها أن تَحْيَلَ ، وليس له شبه من الجِسم ولا من العَرَض .

وكان يقول : إذا صدق النظر ، وكان الناظر عاريا من الهوى ، وصحَّ طلبه للحق بالعشق الغالب ، فإنه لا يخفى عليه الفرق بين النفس المحرَّكة للبدن ، وبين البدن المتحرَّك بالنفس .

قال : ولما عرضت الشبهة لقوم قصر نظرهم ، ولم يكن لهم لحظ ولا أطلاع فظنوا أنَّ الرباط الذي بين النفس والبدن إذا أُحِلَّ فقد بطلَ جميعا .

وهذا ظنٌّ فيه عَسَفٌ ، لأنَّهما لم يكونا في حالِ الارتباط على شكل واحد وصورة واحدة ، أعنى أنَّهما تَبَايَنَّا^(٢) في تصاحُبهما وتَصاحُبًا في تَبَايُنِهما^(٣) .

ألا تَرَى أنَّ البدن كان قِوَامُهُ ونظامُهُ وتَمَامُهُ بالنفس ؟ هذا ظاهر .

وليس هذا حُكْمُ النَّفْسِ في شأنها مع البدن ، لأنَّها واصلتُهُ في الأوَّل عند مسقط النطفة ، فما زالت تَرْيِيهِ وتغذِّيهِ وتُحْيِيهِ وتُسَوِّيهِ حتَّى بلغ البدنُ إلى ما تَرَى ، ووُجِدَ الإنسانُ بها ، لأنَّ النفس وحدها ليست بإنسان ، والبدن وحده ليس بإنسان ، بل الإنسان بهما إنسان ، فإذا الإنسانُ نصيبُهُ من النفس أكثرُ من نصيبه من البدن .

وهذه الكثرة توجد في الأوَّل من ناحية شرفِ النفس في جوهرها ، وتوجد في الثاني من جهة صاحب النفس الذي هو الإنسان بما يستفيدة من المعارف

(١) « ونصح أيضا عن كُشْب » .

(٢) « تبايأ » .

(٣) « تبايأ » .

الصحيحة، ويضمه إلى الأفعال الواجبة الصالحة، فأمر المعارف الصحيحة معرفة الله الواحد الحق باليقين الخالص، وأمر الأفعال الواجبة الصالحة العبادة له والرضوان عنه.

وغاية المعرفة الاتصال بالمعروف، وغاية الأفعال الواجبة الفوز بالنعيم والخلود في جوار الله، وهذا هو الصراط المستقيم الذي دعا إلى الجواز عليه كل من رجع إلى بصيرة وآوى إلى حُسن سيرة.

فأما من هو عن هذا كله عم^(١) وعما يجب عليه ساء، فهو في قطع النعم، وإن كان متقلبا في أصناف النعم.

(٢) وكان يقول كثيرا: الناس أصناف في عقولهم: فصنف عقولهم مغمورة بشهواتهم، فهم لا يُمسرون بها إلا حظوظهم المعجلة، فلذلك يكذبون^(٣) في طلبها وتيلها، ويستعينون بكلّ وُشع وطاقة على الظفر.

وصنف عقولهم منتهية^(٤)، لكنها مخلوطة بسببات^(٥) الجهل، فهم يحرضون على الخير واكتسابه، ويخطئون كثيرا، وذلك أنهم لم يكملوا في جيلتهم الأولى وهذا تمت موجود في العباد الجهلة والعلماء الفجرة، كما أن التمت الأول موجود في طالبي الدنيا بكل حيلة ومحالة.

وصنف عقولهم ذكية متبهة، لكنها عمية عن الآجلة، فهي تدأب في تئيل الحظوظ بالملم والمعرفة والوصايا اللطيفة والسُّمة الربانية، وهذا تمت موجود في العلماء الذين لم تتلج صدورهم بالملم، ولا حقّ عندهم الحق اليقين؛ وقصروا

(١) «عميم».

(٢) «يكسبون».

(٣) «متبه».

(٤) «سببات».

عن حال أبناء الدنيا الذين يَشْهَرُونَ في طلبها السيوف الحداد ، ويطيلون إلى نيلها السواعد الشَّداد^(١) فهم بالكيد والحيلة يستوفون في طلب اللذة وفي طلب الراحة^(٢) .
وصنف عقولهم مضئئة بما فاء عليها من عند الله تعالى بالالطف الخفي ، والأصطفاء السني ، والأجتهاء الزكي ، فهم يحملون بالدنيا ويستيقظون بالآخرة ؛ فتراهم حضورا وهم غيب ، وأشياءا وهم متباينون .

وكل صنف من هؤلاء مراتبهم مختلفة ، وإن كان الوصف قد جمعهم باللفظ .
وهذا كما تقول : « للوك ساسة » ، ولكل واحد منهم خاصة ؛ وكما يقولون :
« هؤلاء شعراء ولكل واحد منهم بحر » ؛ « هؤلاء بلغاء ولكل واحد منهم أسلوب » وكما تقول : « علماء ، ولكل واحد منهم مذهب » .

وعلى هذا أبو سليمان — حفظه الله — إذا أخذ في هذا الطريق أطرب ،
لسعة صدره بالحكمة ، وفيض صوبه من المعرفة ، وحمية طبيعته بالقطرة .

وقال : إننا بعد هذا المجلس تركنا صنفا لم نرسمه بالذكر ، ولم نعرض له^(٣)
بالاستيفاء ، وهم الممجد الزاع الذين إن قلت : « لا عقول لهم » كنت صادقا ، وإن
قلت : « لهم أشياء شبيهة بالعقول » كنت صادقا ؛ إلا أنهم في العدد ، من جهة
النسبة المنصيرية والجبلية الطينية والفطرة الإنسانية ، وفي كونهم في هذه الدار عمارة
لها ومصالح لأهلها ؛ ولذلك قال بعض الحكماء : « لا تسبوا النوغاء فإنهم يُخرجون
الغريق ويُطفئون الحريق ويُؤنسون الطريق ويشهدون الشوق » .

فضحك — أضحك الله ثمره ، وأطال عمره ، وأصلح شأنه وأمره — فقال :

(١) « الساء » .

(٢) « البرحة » .

(٣) « عليه » .

قد جرى في حديث النفس أكثر مما كان في النفس ، وفيه بلاغ إلى وقت ، وأظن الليل قد تخطى^(١) بصلبه ، وناء بكلكله ؛ وانصرفت .

الليلة الرابعة عشرة

(١) ومرة بعد ذلك في عرض السر : ما تقلد أمرؤ قِلادةً أفضل من سكينه . فقال : ذكرتني شيئاً كنت مهتماً به قديماً ، والآن قرعت إلى بابه ؛ ما السكينه ؟ فإني أرى أحبابنا يردّدون هذا الأسم ولا يسطون القول فيه . فكان من الجواب : سألت أباسليان عن السكينه ما هي ؟ فقال : السكائن كثيرة : طبيعّية ، ونفسية وعقلية ، وإلهية . ومجموعة من هذه بأنصاء مختلفة ، ومقادير متفاوتة ومتباعدة . والسكينه الطبيعيّة اعتدال المزاج بتصالح الأسطقسات ، تحدث به لصاحبه شارة تُسَمَّى الوقار ، ويكون للعقل فيها أثر باد ، وهو زينة الرّواء المقبول . والسكينه النفسية مماثلة الرّؤية للبديهة ، ومواطأة البديهة للرؤية ، وقصد الغاية بالهيئة المناسبة ، يحدث بها لصاحبها سمّتٌ ظاهر ورُتوٌّ دائم وإطراقٌ لا وجوم^(٢) معه ، وغيبية لا غفلة معها ، وشهامة^(٣) لا طيش فيها . والسكينه العقلية حُسن قبول الاستفاضة بنسبة تامة إلى الإفاضة ؛ ومعنى هذا أن القابل مستغرق بقوة المقبول منه ، وبهذه الحال يحدث لصاحبها هدى يشتمل على وزن الفكر في طلب الحق مع سكون الأطراف في أنواع الحركات . والسكينه الإلهية لا عبارة عنها على التحديد ، لأنها كالعلم في الاتّباء

(١) يشير إلى قول امرئ القيس يخاطب الليل :
نقلت له لما تخطى بصلبه وأردف أبحاراً وناء بكلكل

كفي بذلك عن طول الليل .

(٢) « وجوه » .

(٣) « وشهامة » .

وكالإشارة في الحلم ، وليست حلما ولا أنتباها في الحقيقة ، لأن هذين نعتان محمودان في عالم السيلان والتبدل ، جاريان على التخيل والتجوز بزوائد لا ثبات لما ونواقص لا مبالاة بها ، رُوحانية في رُوحانية ، كما يقال : « هذا صفو هذا » ؛ و « هذا صفو الصفو » ومن لحظ هذه الكيفية^(١) وبُشِّر صدره بهذه الحقيقة أستغنى عن رسوم محدودة بألف ولام ، وحقائق مكنونة في عرض الكلام ؛ وإذا جهلنا أشياء هي لأهل الأنس^(٢) بلغات قد فطروا عليها ، وعبارات أنسوا بها ، كيف نجد السبيل إلى الإفصاح والإشارة إليها .

فهذا باب واضح ، والطمع في نيته نازح ؛ وإذا كلف المتال صعبا^(٣) في الموضوع الذى عمدنا إليه ، فكيف يكون حالنا في البحث عما في حيز الألوهية ومحبوحة الربوبية ، ولا كون هناك ولا ما نسبته للكون ؛ وأقوى ما فى أيدينا أن تتعلل بالوجود ، فالموجود والوجدان والجود ، وهذه كلها غليظة بالإضافة إلينا وفوق الدقيقة بالإضافة إلى أعيانها .

فعلى هذا ، الصمت أوجدُ المراد من النطق ، والتسليم أنظرُ بالبقية من البحث .

قال البخارى^(٤) : فشىء كهذا^(٥) بدقيقه وإشكاله ، وغموضه وخفائه ، كيف يظهر على جيلة بشرية وبنية طليئة وكمية مادية وكيفية عنصرية ؟ .

فقال : يا هذا ، إنما يشع من هذه السكينة على قدر ما أستودع صاحبها من .

(١) « الكفة » .

(٢) يريد الأنس بمعرفة الله . وفي الأصل « أندلس » .

(٣) « صفا » .

(٤) البخارى ، هو أبو الباس البخارى تلميذ أبى سليمان اللطيف وصديقه ، كثير السؤال والمجادلة له ، كما يتبين مما حكاه أبو حيان عنه في المقابسات .

(٥) « فشا هذا » .

نور العقل ، وقبس النفس ، وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وحسن الاختيار
 أو اعتدال الأفعال ، صلاح المادة ، وصحة الفكرة ، وصواب القول ، وطهارة
 السرِّ ومساواته للعلاية ، وعلية بالتوحد ، وانتظام كلِّ صادر منه ووارد عليه .
 وها هنا تمحى الجيلة البشرية ، وتبدد الجيلة الطينية ، وتبيد الكمية للمادية
 . وتمفو الكيفية^(١) العنصرية ، ويكون السلطان والولاية والتصرف والسياسة
 كلها لتلك السكينة التي قدّمنا وصفنا لها ، واشتدَّ وجدُّنا بها ، وطال شوقنا إليها
 ودوام تحديقنا نحوها ، وأتصل رُؤونا إليها ، وتناهت نَجواننا بِذِكْرها .

وهذا هو الخلق الذي سمعتَ بذكره ، واللباس الذي سألتَ عنه ، أعنى خلع
 . ما أنت منه إنسان ، وليس ما أنت به ملك . [الله] الستاتُ منكم ، ما أشدَّ
 . بلواي بكم ، لم تتحرَّكون إلا إلى ما لا سكون لكم فيه ؟ ولم تسألون عمَّ لا أطلع
 لكم عليه ؟ سلوا ربكم أعياناً بصيرة ، وآذاناً واعية ، وصدوراً طاهرة ، وقوة
 . متمتابة ، فإنكم إذا مُنَحِّمتموها هُدِيتُم لها ، وإذا حُرِّمتموها قُطِعتم دونها ، ولا
 . حول ولا قوة إلا بالله .

قال البخاري : وقد تركنا ياسيدنا حديث السكينة المجموعة من هذه الجملة
 . بأنصاء مختلفة .

فقال : لا عجب أن يُنشأ العالمُ بكلِّ ما فيه في هذه الحومة^(٢) التي لُذنا
 . بها وحاولنا الوصول إليها ؛ وأى شيء أعجب^(٣) في هذا المقام ، رسم أو قوام ،
 أو ثبات أو دوام ، إلا^(٤) له نصيب من عناية الله تعالى الكريم .

(١) « الكمية » .

(٢) « الحومة » .

(٣) عبارة الأصل : « أعجب له » ، ويلاحظ أن قوله « له » زيادة من الناسخ .

(٤) عبارة الأصل : « إلا ما له » وقوله : « ما » زيادة من الناسخ .

نعم ، والسكينة المجموعة من كلِّ ما سلف القول فيه تَقاسمها نوع الإنسان بالزيادة والنقصان ، والغموض والبيان ، والقلة والكثرة ، والضعف والقوة ، وهذا يتبيّن بأن تَمَسُّم الطيش والحدة والمجلة والخفة على أصحابها ، فتجدُ التفاوتَ ظاهراً .

وكذلك إذا قسمت الهدوء والقرار والسكون والوقار على أهلها ، فإنك تجد التباينَ مكشوفاً والأختلافَ ظاهراً .

ثم قال : أما السكينة التي هي في أعلى المراتب فهي لأشخاص م فوق البشر ، وليس لهم نسبة من الخلق إلا أُلحقة الحسنة والعشرة البشرية ، وإلا فهم في ذروة عالية ، ومحلّة إلهية .

قال : وأما السكينة التي تلي هذه فهي للأنبيا على أختلاف حظوظهم منها لأنّها مرتبات تنقسم بين المنام واليقظة اتساقاً متساوياً بالعرض الحامل للصدق وللشبه بالصدق ، وللحق وللقرب من الحق ، وللصحيح والتالي للصحيح ، ثم يختلف بيانهم عن^(١) ذلك بالتمريض والإيضاح ، والكناية والإفصاح ، والتشبيه والاستمارة .

قال : فأما السكينة التي تتلو هذه فهي التي تظهر على طائفة تتخلف الأنبياء ، وذلك أن بقايا قوام يرثها الذين يحبهم ، واستضاءوا بنورهم ، وفهموا عنهم ، ولقنوا منهم ، ودخلوا في ذمّرتهم ، وحاكوم في الشاغل والأخلاق ، وسلخوا منهاجهم في القياد والسياق ، وصلحوا سفراء بين الأبعدين ، كما كانوا سُجّراء^(٢) للأقرين ، وهم الذين يفسرون التامض ، ويوضحون الشكّل ، ويسلطون للطوى ، ويشرحون للكتفى ، ويُبرزون المراد واللفى ، ويوطّدون الأساس ،

(١) « ما بهم على » .

(٢) « سحراً » . والسجاء : الأسقاء الأصغى .

ويرضون الالتباس ، وينفون الوحشة ويحدثون الإيناس .
وأما السكينة الباقية فهي مفوضة على أتباع هؤلاء بالسَّهام العلوية ، والمقادير
القُدلية ، والنَّاسيب العقلية ، من غير جَوْر ولا حَيْف ، ولا انحراف ولا ميل .
قال البخاري : أمي — أعني السكينة — في معنى فاعلة أو مفعولة ؟ فقال :
الفضاء أمرض ^(١) مما تظن ، وإن كان في غاية العرض ؛ والثروة أعلى من أن
ترام وإن كان الإنسان يطلبها بالبسط والقبض .
هي بوجه في معنى فاعلة إذا شعرت بتأثيرها ، وبوجه آخر في معنى مفعولة إذا
شعرت بتأثرها .

وبوجه آخر ، ليست من هذين القبيلين في شيء إذا لحظتها في معانيها قبل
تأثيرها وتأثرها ، وأنت تعتبر حد الفاعل والمفعول من شكل اللفظ ووزن الترتيب ،
بشائع العادة وقائم العرف ، والسكينة وراء هذا كله بالحق والواجب والصحة والتمام
فإنها صراط الله للمخصوصين بالاستقامة عليه ، فإذا شهدت الخصوص بها كانت
عبارتك عن الملحوظ منها مشاكلةً لعبارتك عن أخلاق رضىة وأحوال مرضية ،
وإذا شهدت ذلك المعنى من معاني الحق كانت عبارتك متلججة لا نظام لها
ولا تماثل ولا أنساق على المادة الجارية والحال الطارئة ؛ فأحق ما ينبغي لطالب
الحكمة واللائذ بهذه الحومة أن يبحث وينظر ، ويكشف وينقر ، ويستقصي ويستبصر ^(٢)
ويسأل ويستبصر ؛ حتى إذا بلغ هذه الآفاق ، وشهد هذه الأعلام ، ووجد الصواب
الذي لا شوب فيه ، وصادف اليقين الذي لا ريب معه ، وعرف الاستبانة التي تغني
عن البيان ، وذاق المعنى الذي هو فوق العيان ، أمسك واتمى ، ووقف واستغنى

(١) « الفضاء أغص » .

(٢) « وصبر » .

لَعَرَضِ ظِلَامِ غَشِيَّتِهِ ، وَلَكِنْ لِسُلْطَانِ شُعَاعِ مَلَكِهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ النُّورَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ ، وَمُسْتَوْدِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَحْتَهُ .

وَكَانَ يَقُولُ فِي هَذَا الْقُرْنِ إِذَا جَدَّ بِهِ الْكَلَامُ وَبَدَأَ مِنْهُ لِلْكَتُومِ وَشَرَدَ عَنْهُ الْخَاطِرُ مَا لَا يُوعَى بِحِفْظٍ ، وَلَا يُرَى بِلِقْظٍ .

وَإِنَّمَا كَانَ أَصْحَابُنَا يَنْتَظِرُونَ مَشْوَرَةَ بِهِذِهِ الْحُرُوفِ لِقَطَا لِيَنْظُمُوا مِنْهُ شِدْرًا وَعَقْدًا ، وَكَانُوا إِذَا تَلَّاقُوا اشْتَرَكُوا فِي تَقْوِيمِ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَتَسَاوَنُوا عَلَى تَحْيِيرِهِ ، وَتَصَادَقُوا [عَلَى] مَفْهُومِهِ مِنْهُ ، وَتَحَنَّنُوا لِلنَّازِعَةِ وَالشَّغَبِ عَلَيْهِ ، وَأَخَذُوا بِالْفِعْلِ وَالْمَكْنِ مِنْهُ ، لِثَلَاثِ فَيُوتِهِمُ الْمَعْنَى ، وَلَا يَتَحَيَّرُونَ فِي الْمُنْتَهَى .

وَسَأَلَهُ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي هَذَا الْجُلُوسِ عَنِ الْأُمِّ وَأَحْوَالِهَا ، وَتَقْصِئِهَا ^(١) وَكَأَلِهَا ؛ فَقَالَ : (٢)
اشْتَرَكْتَ الْأُمِّ فِي جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ وَالشَّرُورِ ، وَفِي جَمِيعِ الْمَعَانِي وَالْأُمُورِ ؛ اشْتَرَاكَ أَتَى عَلَى أَوَّلِ التَّفَاوُتِ وَوَسَطِهِ وَآخِرِهِ ، ثُمَّ اسْتَبَدَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِقَوَالِبِ لَيْسَتْ لِأَخْتِهَا ، وَاشْتَرَاكَهُمْ فِيهَا كَالْأَصُولِ وَاسْتَبْدَادَهُمْ كَالْفُرُوعِ ، وَفِيهَا اشْتَرَكُوا فِيهِ الْحَمْدُ وَاللَّذْمُ .

وَلَمْ يَحْزَ فِي الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ غَيْرُ هَذِهِ الْقِسْمَةِ ، لِأَنَّ الْأَشْرَاقَ لَوْ سَبَقَ بِهَا تَفَاوُتٌ لَمْ يَكُنْ اشْتِرَاكَ ، وَالتَّقَاسُمُ لَوْ عَرَى مِنَ الْأَتْفَاقِ لَمْ يَكُنْ تَقَاسُمًا ، فَصَارَ مَا مِنْ أَجَلٍ يَفْتَرِقُونَ ، بِهِ يَجْتَمِعُونَ ، وَمَا مِنْ أَجَلٍ يَنْتَظِمُونَ ، بِهِ يَنْتَثِرُونَ .

فَعَلَى هَذَا اشْتَرَكُوا فِي الْأَخْلَاقِ وَاللِّغَاتِ ، وَالْمَقَائِدِ وَالصَّنَاعَاتِ ، وَجَرَ الْمَنَافِعِ وَدَفَعَ التَّضَارُّ ، مَعَ اخْتِلَافِهِمْ فِيهَا بِنُوعٍ وَنُوعٍ .

أَلَا تَرَى أَنَّ لُغَةَ الْمُنْدِغِ غَيْرُ لُغَةِ الرُّومِ ، وَكَذَلِكَ الصَّنَاعَةُ وَالْمَقِيدَةُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا ، إِلَّا أَنَّهُمْ مَعَ هَذِهِ الْأَصُولِ وَالْقَوَاعِدِ تَقَاسَمُوا أَشْيَاءَ بَيْنَ الْفُطْرَةِ وَالتَّنْبِيهِ ،

وبين الاختيار والتقدمة ، فصار الاستنباط والفحص والتنقيب والبحث والاستكشاف والاستقصاء والفكر [ليونان^(١)] والوهم والحدس والنظن والحيلة والتحليل والشميلة [لهند^(٢)] والحصافة^(٣) واللفظ والاستعارة والإيجاز والأتساع والتصريف والسحر باللسان للعرب ؛ والروية والأدب والسياسة والأمن والترتيب والرسوم والعبودية والربوبية للفُرس .

فأما الترك فلها الشجاعة . والعرب تشاركها إما بالزيادة وإما بالمساواة ؛ وليس للترك بعد هذا حظ ولا دراية إلا بقسط من الظل من الشخص .

والعرب مع منقطعها البارح لها المزية للمروفة على الترك بعد [في^(٤)] السياسة وإن كانت قاصرة ؛ وأما الزنج والسودان فتلبت عليها الفسولة وشاكت البهائم الضعيفة ، كما شاكت الترك السباع القوية .

قيل له : إن أبا زيد قد عمل كتابا في أخلاق الأمم . قال : قد رأيته وقرأته وقد أفاد ، وكل من تكلم على^(٥) طريقة الحكماء الذين يتوخون من الأمور لبائتها ، ويصرفون عنها قشورها ، فله السابقة والتقدم على من يحبط كفلان وفلان . ومن جحد بلاغة العرب في الخطابة وجولانها كل مجال وتميزها باللسان فقد كابر ، ومن أنكر تقدم يونان في إثارة للماني من أماكنها وإقامة الضناعات بأمرها ، وبجنيها عن العالم الأعلى والأوسط والأسفل فقد بهت .

ومن دفع مزية الفُرس في سياستها وتديراتها وترتيب الخاصة والعامة بحق مالها وعليها فقد عائد .

(١) يلوح لنا أن هاتين الكلمتين اللتين بين مربعين ساقطان من الأصل كما يدل على ذلك ما يأتي بعد من قوله : « ومن أنكر تقدم يونان في إثارة للماني » الخ كما يدل عليه أيضاً كلام سبق في المفاضلة بين العرب وغيرهم من الأمم في أوائل هذا الجزء .

(٢) « والحصيلة » .

(٣) كلمة « في » زيادة من أجل ما يدل عليها المعنى .

(٤) في الأصل « غير طريقة » .

وهكذا مَنْ دفع ما لهند ، فليس من شخص وإن كان زريًا قيتًا إلا وفيه ميراث كامين لا يشرّكه فيه أحد ، وإذا كان هذا في شخص على ما قلنا ، فكيف إذا نظرت إلى ما يحويه النوع . وهكذا إذا أرتقيت إلى الجنس ، وهذا لأن عرض الجنس أوسع من عرض النوع ، كما أن عرض النوع أوسع من عرض الشخص ، وليس دون الشخص تحت ، كما أنه ليس فوق الجنس فوق ^(١) . وأما انقسام هذه الثلاثة على هذا فليكون فضاء العالم غاصًا بالطرف والوسط والأفق وليكون سحًا بالنفا من المصدر إلى التورد .

وعلى هذا لولا الجنس لم يوجد نوع ، ولولا النوع لم يوجد شخص .
وكذلك العكس .

قال أبو سعيد الطيب : ألعالم الملوئ أجناس وأنواع وأشخاص ؟ قال : كيف ينخلو العالم الملوئ من هذا التقسيم ، وإنما هذا الذي لحقنا في العالم السفلي حكاية ذلك العالم الملوئ حنو النمل بالنمل والقذّة بالقذّة . فقال له مستريدا : فهل في البسائط الإلهية أجناس وأنواع وأشخاص ؟ فقال : لا ، إلا أن يتخذ شيء من هنالك قراره في معارض العالم السفلي بقوة العالم الملوئ ، وذلك كالبرق إذا حطّفت ، والتنسيم إذا لطف .

قال : فهل ينال البسائط قص بالإخبار بالأجزاء المركبة عنها كما ينال المركبات كالأجزاء البسيطة عنها ؟

فقال ، لا ، لأن ماعلا يؤثر ولا يقبل التأثير ؛ وما سفلي يتأثر . ألا ترى أن ماعلا من الكواكب لا يتصل بشيء دونه ، وما سفلي منها يتصل بما علا عنه .

وقال له أيضا : إذا قلنا : الرّوحانيات ، فإذا ينبغي أن يلحظ منها ؟ فقال : (٤)

الروحانيات على أقسام ؛ قسم منها متبدّد في المركّبات من الحيوان والجماد ، وقسم منها مكثّف للحيوان والجماد ، وبحسب هذا الأكتناف هو أبسط وألطف من القسم الأوّل المتبدّد ؛ وقسم منها فوق القسم المكثّف ، وهو الذي منه مادّة المحيط ؛ وقسم آخر فوق هذا الممتدّ ، ثم فوق هذا ما لا يملكه وهم ، ولا يُدرّكه فهم ؛ وذلك أنه في جناب القدس وحيث لا مرّام لشيء من قوَى الجنّ والإنس .

(٥) وسألت أبا سليمان فقلت : إن عليّ بن عيسى الرّمانيّ ذكر أن التمكين من القبيح قبيح ، لأن التمكين من الحسّن حسن . فلو كان التمكين من القبيح قبيحا مع كونه من الحسّن حسنا كان حسنا قبيحا ؛ وهذا تناقض ؛ كيف صحّة هذا الذي أومأ إليه ؟

فقال : أخطأت^(١) ، لأن التمكين وحده اسم مجرد لشيء محدّد ، والأسماء المحدّدة دلالتها على الأعيان لا على صفات الأعيان أو ما يكون من الأعيان أو ما يكون في الأعيان .

والتمكين معتبر بما يضاف إليه ويناط به ، فإن كان من القبيح فهو قبيح لأنه علّة القبيح ، وإن كان من الحسّن فهو حسن لأنه سبب الحسّن .

وهذا كما تقول : هذا الدرم نافع أو ضار ؟ فيقال : إن صرفته فيما ينبغي فهو نافع ، وإن أنفقته فيما لا ينبغي فهو ضار ، وكذلك السيف في الآلات ، وكذلك اللفظ في الكلمات ، والإضافة قوّة إلهيّة سرت في الأشياء سريانا غريزيا قاهرا متعلّقا قاهرا ، فلا جرم لا ترى حسيا أو عقليا أو وهما أو ظنيا أو علميا أو عرقيا أو علميا أو حليّا أو يقظيا إلا والتصاريف سارية فيها ، والإضافة حاكمة عليها . وهذا لأن الأشياء بأسرها مصيرها إلى الله الحق ، لأن مصدرها من الله

الحق ، فالإضافة لازمة ، والنسبة قائمة ، والمشابهة موجودة . ولولا إضافة بعضنا إلى بعض ما أجمعنا ولا أفرقنا ، ولولا الإضافة بيننا الغالبة علينا ما قاهمنا ولا تعاوننا .

قال : إذا كنا بالتضاييف نتوالى ، فبأي شيء بعده نتعاضد^(١) ؟ قال : هذا أيضا بالإضافة ، لأن الإضافة ظل ، والشخص بالظل يأنف ، وبالظل يختاف . وقال : ويزيدك بيانا أن العدم والوجود شاملان لنا ، سائران فينا فبالوجود نتصادق ، وبالتقدم نتفارق .

وسأل^(٢) مرة عن الطرب على الفناء والضرب وما أشبههما .
(٦)
فكان من الجواب : قيل لسقراط فيما ترجمه أبو عثمان النمشقي . لم طرب الإنسان على الفناء والضرب ؟ فقال : لأن نفسه مشغولة بتدبير الزمان من داخل ومن خارج ، وبهذا الشغل هي محبوبة عن خاص مألها .

فإذا سمعت ألفناء أنكشف عنها بعض ذلك الحجاب ، فصعنت إلى خاص مألها من المثالات الشريفة والسعادات الروحانية من بعد ذلك العالم ، لأن ذلك وطنها بالحق .

فأما هذا العالم فأتمها غريبة فيه ، والإنسان تابع لنفسه ، وليست النفس تابعة للإنسان ، لأن الإنسان بالنفس إنسان ، وليست النفس قسا بالإنسان ، فإذا طربت النفس — أعني حنت ولحظت الروح التي لها — تحركت وخفت فأرتاحت واهتزت .

ولهذا يطرح الإنسان ثوبه عنه ، وربما عرفه كأنه يريد أن ينسل من إهابه

(١) « تتعاضد » .

(٢) سأل ، أي الوزير .

الذى لَمِيقَ به ، أو يُقِلَّتْ من حِصاره الذى حُبِسَ فيه ، ويهرولُ إلى حبيبه الذى قد تجلَّى له وبرز إليه .

إلا أن هذا المعنى على هذا التضيد إنما هو للفلاسفة الذين لم العناية بالنفس والإنسان وأحوالهما .

وأما غيرهم فطَرَبُهم شبيهٌ بما يعترى الطيرَ وغيرها ، وأنصرفت .

الليلة الخامسة عشرة

(١) وجرى مرّة كلامٌ فى الممكن ، فحكيتُ عن ابن يعيش الرقى فصلا سمعته يقولُه ، لا بأس برسمه فى هذا الموضع ، فإنَّ التشاور فى هذا الحرف دائمٌ متصلٌ وينبغى لنا أن نبحث عنه بكلِّ زَخَفٍ وَحَبْوٍ^(١) ، وبكلِّ كَدٍّ وَعَقْوٍ .

قال : للممكن شبيهٌ بالرؤيا لا يندلَّ له يستقلُّ به ، ولا طبيعة يتحيزُ فيها .
ألا ترى أنَّ الرؤيا تنقسم على الأكثر والأقلَّ والتساوى ، وكما أنَّ الرؤيا ظِلٌّ من ظلال التيقظة ، والظُلُّ يَنْقُصُ ويزيد إذا قيسَ إلى الشخص ؛ كذلك للممكن ظِلٌّ من ظلال الواجب ، فطَوَّرا يزيد تشابها للواجب ، وطورا ينقص تشاكها للمتنع ، وطورا يتساوى بالوسط .

قال : والواجب لا عَرَضُ له ، لأنَّه حدٌّ واحد ، وله نصيب من الوحدة بدليل أنَّه لا تغيَّرُ له ولا حيلولة لا بالزمان ولا بالمكان ولا بالحدثان ولا بالطبيعة ولا بالوهم ولا بالعقل ، بل العقل ينقاد له ، والطبيعة تُسَلِّمُ إليه ، والوهم يفرِّقُ منه وصورة الواجب لا يَحْدُثُها الظنُّ ، ولا يتحكَّمُ فيها تجويز ، ولا يتسلطُ عليها دافع ولا ناسخ ، وهذا الحكم يطرد على المتنع ، لأنَّه فى مقابلته على الضدِّ ، أعنى

أنّه لا بدن له ، فيكون له عَرَض ، والعَرَض كلّ للممكن بالنمت التى سلف من الكثرة والقلة وللساواة .

ولهذا تعلقت التكاليف به فى ظاهر الحال وبادئ الأمر وعارض الشان ، وأستولى الوجود عليه بباطن الحال وخفى الأمر وراتب^(١) الشان ، لكنّ هذا الفصل الذى اشتمل على الظاهر والباطن ليس ينكشف للحسن كما ينكشف للعقل .

ولما كنّا بالحسن أكثر — وإن كنّا لا نخلو فى هذه الكثرة من آثار العقل — لزمنا الاعتراف بعوائد الممكن وعلاقته ، والسمل عليه ، والرجوع إليه إذا أمرنا أو نهيننا أو اتهمنا [أو اتهمينا^(٢)] .

ولما ظهر لنا بإزاء هذا الذى كنّا به أكثر أن لنا شعبا آخر نحن به أقلّ وهو العقل يشهد لنا بأن صورة الوجوب أسقطت من مبدأ الأمر إلى منقطعه الذى هو فى عَرَض الواجب إلى آخر الممتنع .

وكما لزمنا الاعتراف الأوّل لنكون به عاملين ومستعملين ، ورافعين وواضعين ، ولأعين وتلومين ، ونادمين ومنذمين ؛ كذلك لزمنا الاعترافُ بسلطان الواجب الذى لا سبيل إلى عزله ، ولا محيص عن الإقرار به ، ولا فكاك من أطرادِه بنير دافع أو مانع .

واتصل كلامُ ابن عيسى على تقطّع فى عبارته التى ما كانت أداته تواتيه فيها ، مع تدفق خواطره عليها ؛ فقال : الرؤيا غلّ أليقطة ، وهى واسطة بين (٢)

(١) « ورأيت » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يختصها .

الْبَقَّةُ والنوم ، أعنى بين ظهور الحِسِّ ^(١) بالحركة ، وبين خفائه بالسكون .
قال : والنوم واسطة بين الحياة واللوت ، واللوت واسطة بين البقاء الذى
يَتَّصِلُ بالشهود ^(٢) وبين البقاء الذى يتصل بالخلود .

قال : وهذا نعتٌ على تسهيل اللفظ وتقريب المراد والتصوير ؛ والثقة شوك
الفتاد ، وأزدرد العلقم والصاب ، للحواجز القائمة والموانع المترضة من الإلف
والتمشأ وغير ذلك مما يطول تمديده ويشق أستقصاؤه .

فقال ^(٣) : هذا كلامٌ ظريف ، وما خلتُ أن ابنَ يعيش مع فدامته ^(٤) ،
وَوَحَامَتِهِ يسحب ذيله فى هذا المكان ، ويُجرى جواده بهذا العنان .

قلتُ له : إنَّ له مع هذه الحالِ سرائىَ بيبة ، ومقاصدَ عالية ، وأطرافاً
من المعانى إذا اعتلقتها دلك عليها ، إما بالبيان الشافى ، وإما بما يكون طريقاً إلى
الوهم الصافى .

(٢) وقلتُ : لقد مرَّ له اليومَ شىءٌ جرى بينه وبين أبى الخير اليهودى
أستفيد ^(٥) منه .

قال : وما ذاك ؟ أنثرُ علينا دُرَرَ هذه الطائفة التى نميل إليها بالأعتقاد
وإن كنا تقع دونها بالأجتهد ؛ ونسأل الله أن يرحم صَفَعَنَا الذى منه بُدِّنَا ^(٦)
ويبدلنا قوةً بها نجد قُربنا فى آخرنا .

(١) « والحركة » .

(٢) « بالبُود » .

(٣) فقال ، أى الوزير .

(٤) « فدامته » بالقاف .

(٥) فى الأصل « ما استفيد » و « ما » زيادة من الناسخ .

(٦) « وديننا » . وبدننا ، أى خلقنا .

قلت : ذكر أن العقل لا غناء ^(١) له في الأشياء التي تنلب عليها الحيولة والسيلان والتطوّل ، كما أن الحس لا ينفذ في الأمور التي لا تطوّر لها بالحيولة والتطوّل ، ولذلك عرفت الحكمة في الكائنات القاشيات ^(٢) ، وخفيت الملل والأسباب في بدوها وخفيها وتبدّدها وتألّفها ، لكن هذا الفرق والخفاء مسلّمان للقُدرة المستعلية والمشيئة النافذة .

قال : ولهذا الترتيب سرٌّ ^(٣) به حسن هذا النعت ، وإليه أتمّ هذا البحث وذلك أن خفاء ما خفي بحقّ الأول الحق ، وبدوّ ما بدا من نصيب أطلق للذي ^(٤) لا يحتمل غير هذا الثقل ، ولو خُفّ عنه هذا لَلحق الإنسان البهائم ، ولو ثقل عليه هذا لَلحق اللائكة ، فكان حينئذ لا يكون إنسانا ، وقد وجب في الأصل أن يكون إنسانا كاملا بالنصّب والتأب ، ويمتعض من أف تكون صورة الإنسان عنده مُعارة ، لأنّه في الحقيقة حيوان غير ناطق ، بل يجتهد بسعيه وكدحه أن يصير إنسانا فاضلا ، ويكون في فضله وكاله ملكا ، أعنى بالمشاكهة الإرادية لا بالمشاكهة النوعية .

قال : وغاية الحكمة منها للباشرين لها أن المعرفة تَقِفُ على حيلولتها ولسيلاتها فقط ، لا على تصفّح أجزائها ، لأنّ الترتيب فيها يستحيل مع الزمان . ألا ترى أن الرقم على الماء لا صورة له ، لأنّ صفحة الماء لا ثبات لها ، وكذلك الخط في الهواء ، وكذلك الكائنات البائذات ^(٥) لا صورة لها ، لأنّها لا ثبات

(١) « عاه » .

(٢) « الفاسدات » .

(٣) « سرية » .

(٤) « القى » .

(٥) « الباراب » .

لها ، وأنت إذا وجدت شيئاً لا ثبات له لم تنضمَّ إليه شيئاً آخر لا ثبات له طمعاً في وقوع الثبات بينهما ، هذا ما لا يدين به وهم ، ولا ينقاد له ظنٌّ ؛ ولو سأل هذا لسأله أن يجمع بين ماله ثبات ، وبين ماله أيضاً ثبات ، فيحدث هناك سَيِّلانٌ وأستحالة .

(٤) وقال : وصُفَّ العقلُ بشهادة الحسِّ ، كما يكون وصف الحسِّ بشهادة العقل إلا أن شهادة الحس للعقل شهادة العبد للمولى ، وشهادة العقل للحس شهادة المولى للعبد ؛ على أن هاتين الشهادتين لا يطردان ولا يستمران ، لأن لكل واحد من الحس والعقل تفرّداً بخاصٍّ ماله ، ولذلك ما وُجد حيوانٌ لا عقل له البتة ، ووُجد في مقابلته شيءٌ لا حسَّ له .

ثم قال : بل العقل يحكم في الأشياء الروحانية البسيطة الشريفة من جهة الصوَرِ الرفيعة ، والملائق التي بين المعقولات والحسوسات مانعت العقل ، والمائل من خلص^(١) الباقيات الخالدات الدائمات الثابتات من حومة الكائنات الفاسدات البائتات^(٢) الناهيات الحائلات الزائلات المائلات البائتات .

ودخل في هذا التلخيص ضربٌ من الشكِّ والتمازى والخصومة والتعاضد والتعنّت إلى اختلاف عظيم ، ووقفتُ عن الحكم بعد اليقين .

(٥) وقال — أدام الله سعادته — ما السَّجِيَّةُ^(٣) ؟ قلت : سمعتُ الأندلسي يقول : فلان يمشي على سجيته^(٤) ، أي طبعه^(٥) .

(٦) قال : هل يقال : ظفرتُ عليه ؟ قلتُ : قد قال شاعرهم . وكانت قريش لو ظفروا عليهم شفاء لما في الصدر والنقص ظاهرٌ

(١) « في تخلص » .

(٢) « البائتات » .

(٣) وردت هذه الكلمات الثلاث التي تحت هذا الرقم في الأصل هكذا « اله » .

« حسه » . « لحفظه » . والتعريف فيها ظاهر .

قال : هذا حسن . قلتُ : الحروف التي تنعدي إلى الأفعال ، والأفعال التي تنعدي بالحروف ؛ يراعى فيها السماع فقط لا القياس .
هذا كان مذهب إمامنا أبي سعيد ؛ وقد جاء أيضاً « ظفِر به » ؛ وجاء « سخرتُ به ومنه » .

ومن لا اتَّسع له في مذهب العرب يظنُّ أن « سخرتُ به » لا يجوز وهو صحيح . حكاه أبو زيد .

قال : كيف يقال في يَجَلُّ به غُدَّة ؟ فكان من الجواب : يَجَلُّ مُنْذَر . قال : فكيف يُجمع ؟ فكان الجواب بأنه في القياس ظاهر ، ولكن السماع قد كفى . قال الشاعر — وهو خراس بن زهير :

فَقَدْ تَكْمُو^(١) وَلَيَحْطَكُو إِلَيْنَا يَبْطِنُ عُكَاظَ كَالْإِبِلِ النِّدَادِ^(٢)
ضَرَبَ بَنَاهُمْ يَبْطِنُ عُكَاظَ حَتَّى تَوَلَّوْا طَالِمِينَ مِنَ التَّنَجَادِ
وقال — حرص الله نفسه — من لقبه^(٣) الخُرُمِيُّ إلى أى شيء يُنسب ؟
فكان من الجواب : يقال : رجل خُرَاسَانِيٌّ وخُرَاسِيٌّ وخُرَاسِيٌّ ، فُتُسِبَتْ^(٤)
إلى رجل نزلها^(٥) فاشتهرت به .

فقال : القَذال كيف يجمع ؟ فكان من الجواب أن فَصَالاً وفِعَالاً وفِعَالاً وفِعِيالاً وفُضُولاً أخوات تُجمع في الأقلِّ على أَفْعِلَة ، يقال : حِمَارٌ وأَحْمَرَةٌ ، وَغُرَابٌ وأَغْرَبَةٌ ، وَقَذَالٌ وَأَقْذَلَةٌ ، وَعُمُودٌ وأَحْمَدَةٌ .

(١) في اللسان مادة (غدد) : « عديتكم ونظرتكم »
(٢) في كتب اللغة مادة (غدد) أن غدداً جمع (غاد) لا جمع سامي (لُغْد) كما تنبيه عبارة المؤلف .
(٣) « له » .
(٤) أى لبست كورة خراسان إلى رجل اسمه خراسان ، كما في كتب اللغة .

(٥) ورد في الأصل بعد قوله « نزلها » هذه الكلمة : « سه » مهلة الحروف من التقط ؛ ولم تدين العيوب فيها .

قال : نسيت ^(١) أسألك عن للسألة الأولى — أعنى الخُرْمَى — من أين لك تلك القُتْيَا ؟

فكان من الجواب : قرأته على أبي سعيد الإمام في شرحه كتاب سيبويه .
قال : برَدْتُ غَلِيلِي ، فَإِنَّ الْحِجَّةَ فِي مِثْلِ هَذَا مَتَى لَمْ تَكُنْ بِأَهْلِهَا
كانت متبلجلة .

قال : أَنَشِدْنِي شَيْئًا نَحْنَمُ بِهِ الْمَجْلِسَ ، قَدْ سَرَّتْ طَرَائِفُ .
فَأَنشَدَنِي لُمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ فِي بِنْتِ ^(٢) لَهُ :

حُبِّكَ يَا ذَاتَ الْأَنْفِ الْأَكْثَمِ ^(٣) حُبٌّ تَسَاقَاهُ مُشَاسُ ^(٤) أَعْظَمِي
وَدَبٌّ بَيْنَ كَيْدِي وَتَحْزَمِي وَسَاطَةٌ ^(٥) اللَّهُ بَلَحِي وَدِي
فَلَيْسَ بِالْمَذْقِ وَلَا اللَّكْمِ وَلَا الَّذِي إِنْ يَتَقَادَمُ يُسَامِ
لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْ فَوَادِي — فَأَعْلَى — مَنَزَلَةَ الشَّيْءِ الْحَبِّ الْمَكْرَمِ
وانصرفت .

الليلة السادسة عشرة

(١) ثُمَّ عُدْتُ وَقَدْ آخَرَ قَال : كُنْتُ حَكَيْتُ لِي أَنَّ الْعَامِرِي صَنَّفَ كِتَابًا
عَنُونَهُ (يَأْقَازُ الْبَشَرَ مِنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ) ، فَكَيْفَ هَذَا الْكِتَابُ ؟
قُلْتُ : هَذَا الْكِتَابُ رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ عِنْدَ صَدِيقِنَا وَتَلْمِيزِهِ أَبِي الْقَاسِمِ الْكَاتِبِ
وَلَمْ أَقْرَأْهُ عَلَى الْعَامِرِي ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ أَبَا حَاتِمٍ الرَّازِي يَقْرُؤُهُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ كِتَابُ

(١) « لست » .

(٢) هذه الكلمة في الأصل مهمة الحروف من القطع .

(٣) الْأَكْثَمُ : اللَّطُوع ، يُرِيدُ وَصْفَهَا بِعَمْرِ الْأَفْ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ قَطَعَ مِنْهُ جُزْءٌ .

(٤) لِلْعَاسِ : كُلُّ عَظْمٍ لَا مَخَ فِيهِ .

(٥) سَاطَةٌ : خَلَطَةٌ .

نقيس ، وطريقة الرجل قوية ، ولكنه ما أنقذ البشر من الجبر والقدر ، لأن الجبر والقدر اقتسما جميع الباحثين عنهما والناظرين فيهما .

قال : لم قيل الجبر والقدر ولم يُقَلَّ الإيجاب .

فكان الجواب : أن الإيجاب ^(١) لغة قوم ، والجبر لغة تميم ، يقال : جبر الله الخلق وأجبر الخلق ، وجبر بمعنى جبل ؛ واللام تعاقب الرأى كثيراً .

قال : فتكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله المأمري ، واعده إن كان الحق فيما ذهب إليه ودل عليه .

فكان من الجواب : أن من لحظ الحوادث والكوائن والصور والأوتى من معدن الإلهيات أقر بالجبر وعزى نفسه من العقل والاختيار والتصرف والتصرف ، لأن هذه وإن كانت ناشئة من ناحية البشر ، فإن منشأها الأول إنما هو من الدواعي والبواعث والصوراف والروائع التي تنسب إلى الله الحق ؛ فهذا هذا .

فأما من نظر إلى هذه الأحداث والكائنات والاختيارات والإرادات من ناحية المباشرين الكاسيين القاعلين المحدثين اللائمين اللوئين للكافرين ، فإنه يلقها بهم ويلصقها برقابهم ، ويرى أن أحداً ما أتى إلا من قبل نفسه وبسوء اختياره وبشدة قصيره وإثارة شقائه ؛ وللحوظان محيخان واللاحظان مصبيان ، لكن الاختلاف لا يرتفع بهذا القول والوصف ، لأنه ليس لكل أحد الوصول إلى هذه الناية ، ولا لكل إنسان اطلاع إلى هذه النهاية .

فلما وقعت البيئونة ^(٢) بين الناظرين بالطبع والنسبة لم يرتفع القول والقيل

(١) « من الإيجاب » ، « ومن » زيادة من الناسخ .

(٢) « السوء » .

من ناحية القول والصفة ، فهذا هذا .

قال — أطال الله بقاءه — فما الفرق بين القضاء والقدر ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال : إن القضاء مصدره من العلم السابق ، والقدر مَوْرَدُه بالأجزاء الحادثة .

فقال : لم وَرَدَ في الأثر ؟ : « لا تخوضوا في القدر فإنه سرُّ الله الأكبر » .

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال لنا في هذه الأيام . إن الناموس ينطق بما هو أستصلاح عالم ، ليكون النفع به شائعاً في سكون النفس وطيب القلب وَرَوَّحَ الصدور .

فإن كان هذا هكذا فقد وَضَحَ أن حكمة هذا السرِّ طَيِّه ، لأنَّ عجز الناظرين يُفْضِي بهم إلى الحيرة ، والحيرة مَضَلَّة ، وللضَلَّة هَلَكَة . وإذا كانت الراحة في الجهل بالشئ ، كان التعب في العلم بالشئ ، وكَمَ علم لو بدا لنا لكان فيه شقاء عيشنا ، وكَمَ جهل لو ارتفع مِنَّا لكان فيه هلاكنا ؛ [والعلم] ^(١) والجهل مقسومان بيننا ومفوضان علينا على قدر احتمال كل واحد مِنَّا للذي سبق إليه وعلَّق به ، ألا تَرى أن علمنا لو أحاط بموتنا متى يكون ؟ وعلى أي حال تحدثُ العلة ^(٢) أو المحنة أو البلاء ؟ لكان ذلك مفسدةً لنا ، ومحنةً شديدةً علينا .

فأنظر كيف رَوَّى الله الحكيمُ هذا العلمُ عنا ، وجعل الخيرة فيه لنا . ألا تَرى أيضاً أن جهلنا لو غلب علينا في جميع أمورنا لكان فسادُ ذلك في عظم الفساد الأول ، والبلاء منه في معرض البلاء المُتَقَدِّم ، فمن هذا أُلْهِىَ أشرفَ على هذا الغيب للكنون والسرِّ المخزون فيفعل عن الشكر الخالص ، والأستسلام الحسن ، والبراءة من كلِّ حَوْل وقوة .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في الأصل : « أو العلة » ، « وأو » زيادة من الناسخ .

فالأستمداد من له الخلق والأمر ، أعنى الإبداء والتكليف ، والإظهار والتشريف ، والتقدير والتصرف .

قال : هذا فنٌ حسنٌ ، وأغثك لو تصديتَ للقصاص والكلام على الجميع ^(١) (٢) لكان لك حظٌ وافرٌ من السامعين العاملين ، والخاصين والمحافظين .

فكان من الجواب : أن التصدي للعامة خلوة ^(٣) ، وطلب الرقة بينهم ضعة ، والتشبه بهم تقيصة ؛ وما تعرض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه وعقله ولوثته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم من إجلالهم وقبولهم وعطائهم وبذلهم .

وليس يقف على ألقاصٍ إلا أحد ثلاثة .

إما رجل أبله ، فهو لا يدري ما يخرج من أمِّ دماغه .

وإما رجل عاقلٌ فهو يزدرية ^(٤) لتعرضه لجهل الجبال ، وإما له نسبة ^(٥)

إلى الخاصة من وجه ، وإلى العامة من وجه ، فهو يتذبذب عليه من الإنكار الجالب للهجر ، والأعتراف الجالب للوصل ، فالقاص ^(٥) حينئذ ينظر إلى تفرغ الزمان لمداواة هذه الطوائف ، وحينئذ يفسلخ من مهماته النفسية ، ولذاته العقلية ، وينقطع عن الأزدیاد من الحكمة بمجالسة أهل الحكمة ، إما مقتبساً منهم ، وإما قابساً لهم ؛ وعلى ذلك فارأيت من انتصب للناس قد ملك إلا درهماً وإلا ديناراً أو ثوباً ؛ ومناصباً شديدةً للمائيل وعُداته .

قال : إن الليل قد دنا من فجره ، هاتِ ملحةً الوداع .

(١) يريد بالجميع ، العامة .

(٢) يريد بالخلوة هنا معنى التزل والامتنان . يقال : خلق الثوب بتليت اللام خلوة وخلافة : إذا تلى .

(٣) يزدان به .

(٤) ورد في الأصل بد هذه الكلمة قوله : « له » وهي زيادة من الناسخ .

(٥) « فالعاص » .

قلتُ : قال يعقوب صاحب (إصلاح النطق) :

دخل أعرابي الختام فزلق فأنتشج ، فأنشأ يقول :

وقالوا تَطَهَّرْ إِنَّهُ يَوْمٌ مُجْمَعٌ فرُحْتُ من الختام غيرَ مُطَهَّرٍ
تَرَدَّدْتُ مِنْهُ [شَارِبًا] ^(١) شَجَّ مَفْرَقِي بَقْلَسَيْنِ إِيَّيْ بَشْ مَا كَانَ مَتَجَرِي
وما يُحْسِنُ الْأَعْرَابُ فِي السُّوقِ مَشِيَّةً فكيف بَيْتٍ من رَخَامٍ وَمَرْتَرٍ
يقول لي الْأَنْبَاطُ إِذْ أَنَا نَازِلٌ ^(٢) « به لا بَطِّي بِالصَّرِيمةِ أَعْفَرٍ » ^(٣)

وقال — حرس الله نفسه — كنتُ أَرَوِي قافية هذا البيت « أَصْفَرَا » ،

وهذه فائدة كنتُ ضحا في ناحية ؛ وأنصرفت .

(٢) قد رأيتُ أيُّها الشيخ — حاطك الله — عند بلوغي هذا الفصل أن أختِمَ
الجزءَ الأوَّلَ بما أتى إليه ، وأشقَّقه بالجزء الثاني على سباج ما سلف نظَّمه
ونثره ، غيرَ عاجِجٍ على ترتيبٍ يحفظ صُورةَ التصنيف على المادة الجارية لأهله ،
وعذري في هذا واضح لمن طلبه ، لأنَّ الحديث كان يجرى على عَوَاهِيهِ بحسب
السامح والداعي .

وهذا الفن لا ينتظم أبداً ، لأنَّ الإنسان لا يملك ما هو به وفيه ، وإنما يملك
ما هو له وإليه .

وهذا فصل يحتاج إلى نفسٍ مَدِيدٍ ، ورأيٍ يَصْدُرُ عن تأييدٍ وتسدِيدٍ ^(١) ؛
والسلام ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ،
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هذه الكلمة أو ما يغيد منها ساقطة من الأصل ؛ وجية البيت تخفى ما أئبنا .

(٢) « تارك » .

(٣) هنا مثل يضرب في الصماتة بالرجل . يريدون أن للكروه ينزل به ولا ينزل بظي
أعفر ؛ كأنه من الحسة والموان بحيث يفضَّلُ عليه الظي الأعفر .

(٤) في نسخة ميلانو بعد قوله : « وتسدِيد » ما نصه : أنشئت هذه الرسالة في رجب
سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

ابن الجمل — ٣ : ٦٦
 ابن المباح = أبو عبد الله الحسين بن أحمد
 ابن المباح
 ابن حنبل = أبو القاسم بن حنبل
 ابن حنبل — ٨ : ١٣٠
 ابن حيوة = محمد بن حيوة بن الزامل
 ابن خلكان — ٢١ : ٦٧
 ابن الحارث = أبو الخير الحسن بن سوار
 ابن خيران = أبو علي الحسين بن صالح بن
 خيران
 ابن دارة — ١٤ : ٤٦
 ابن درستويه — ٩ : ١٣١
 ابن رطاح — ٦ : ١٠٨
 ابن ربن = علي بن ربن
 ابن رشيد — ٨ : ١٠٨
 ابن الرومي = أبو الحسن علي بن عباس
 ابن جريج
 ابن زرة = أبو علي عيسى بن إسحاق
 ابن زرة
 ابن المراج = أبو بكر محمد بن السري
 ابن سهل
 ابن سنان — ١٣ : ٤٣ ، ١٩ : ٤٢ ، ١٣ : ٤٣
 ١٧ : ٦٦
 ابن سكرة — ٧ : ١٣٧
 ابن السكك = أبو عباس محمد بن صبيح
 الكوفي

إبراهيم بن عباس الصولي — ٧ : ٥٨
 إبراهيم بن هلال أبو إسحاق الماي —
 ١٣ : ٦١ ، ٦٧ : ١٧ و ١٧ : ٦١
 ابن أبي بصير — ٦ : ١٠٨
 ابن أبي خالد — ١٣ : ٥٨
 ابن أبي طالب = علي بن أبي طالب
 ابن أبي طالب الجرجسي الكاتب صوابه
 أبو طالب = أبو طالب
 ابن الأثير — ٢٤ : ٥٠ ، ١٣٧ : ٢١
 ابن الأخشاد — ٦ : ١٠٨
 ابن الباقلي = أبو بكر محمد بن الطيب القاضي
 ابن برثن — ٦ : ٧١
 ابن برمويه = الحسن بن برمويه
 ابن بقية الوزير — ١ : ٤٢
 ابن بكش — ٤ : ٣٨
 ابن البيطار — ٢١ : ١٧٩
 ابن ثابت — ١٥ : ٥٦
 ابن ثوبة أبو الميثم — ٦٦ : ٦٠ ، ٥٨ : ٦٦
 ٩ : ٩٧ ، ٨ : ١٨ و ١٠٣ : ٩
 ابن جلة الكاتب — ١٣ : ٤٧ ، ٨ : ٤٢
 ٨ : ٤٨
 ابن جرير — ١١ : ٥٨
 ابن جلبات = أبو القاسم علي بن جلبات

ابن مسكويه — ١٨ : ٣٥
 ابن العلم = أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان
 ابن القفح — ١٧ : ٧٠ ، ٩ : ٦٥ ، ٤ : ٧١
 ابن مكينا = أبو علي بن مكينا
 ابن الللاح — ١٥ : ١٤٠
 ابن موسى — ١٠ : ٥٢
 ابن الناظر أبو منصور — ٩ و ٨ : ٤٢
 ابن نياة السدي = عبد المزي بن محمد الشاعر
 ابن النديم — ٢٣ : ٢٠ ، ٢١ : ٦٧ ، ١١ : ٧٩
 ابن نويخت — ١٠ : ٥٨
 ابن هارون — ٧ : ٤٨
 ابن هندو — ٥ : ٦٣
 ابن الوراق — ١١ : ١٢٩
 ابن وهب — ٩ : ١٠٣
 ابن يحيى الملو — ٨ : ١٠٨
 ابن يقوب — ٤ : ٣٨
 ابن يمين الرقي — ٣ : ١٠٥ ، ١٢ : ١٠٤ ، ٧ : ٢١٦ ، ٢ : ١٠٧ ، ١٠٦ : ٢١٧ ، ٧ : ٢١٨ ، ١٧ : ٢١٧
 ابن يونس القنائي = أبو يهرمق بن يونس
 أبو إسحاق الصابي = إبراهيم بن حلال الكاتب
 أبو إسحاق مزيد اللدني — ١٧ : ٥٨
 * ٢٣
 أبو إسحاق النبطي — ٤ : ١٤١
 أبو يهرمق بن يونس القنائي — ١٠٧ : ١٣ و ١٧ ، * ٢٤ : ١٠٨ ، ١٠ : ١١٢ ، ١ : ١١١ ، ٨ : ١١٠ ، ٧ : ١١٤ ، ١ : ١١٥ ، ١٠ : ١١٨ ، ١٤ : ١١٩ ، ٦ : ١٢١ ، ٩ : ١٢٢
 أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث — ٥ : ١٥

ابن السمع = أبو علي بن السمع
 ابن سيرين — ١٣ : ٥٨
 ابن سيف الكاتب الراوية — ٨ : ٢٨
 ابن شاذان — ٣ : ١٣٤ ، ١١ : ١٢٩
 ابن شاهويه حامل مصنام الدولة — ٤٣ : ٥٣ ، ٤ : ٤٨ ، ١١ و ٥ : ٥٣
 ابن شاهويه الفقيه = أبو بكر محمد بن أحمد ابن علي
 ابن طنج — ٨ : ١٠٨ ، ١٩ : ٧٩
 ابن عباد = أبو القاسم إسماعيل الصاحب ابن عباد
 ابن عبدان — ٧ : ٤٣ ، ٤ : ٣٨
 ابن عبد المزي الماشقي — ٨ : ١٠٨
 ابن عبدكان = محمد بن عبدكان
 ابن عبيد الكاتب — ٦١ : ١٣ ، ٤٨ : ٦١ ، ٥ : ٩٦ ، ١٥
 ابن العميد = أبو الفضل بن العميد
 ابن القرات الوزير أبو الفتح الفضل بن جعفر — ٥ : ١٠٨ ، ١٦ : ١٠٧ ، ٤ : ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٨ : ١١٧ ، ١٤ : ١١٩ ، ١٤ : ١٢٠ ، ٣ : ١٢١ ، ١٧ : ١٢١ ، ١٧ : ١٢١
 ابن فراس — ٧ : ١٠٨
 ابن القاسم = علي بن القاسم
 ابن القرميني — ٣ : ١٣٤
 ابن قوسين — * ١٩ و ٤ : ٣٨
 ابن كعب — ٧ : ١٠٨
 ابن لالا — ٤ : ٣٨
 ابن مق = يهرمق بن مق
 ابن مجاهد — ١١ : ٥٨
 ابن الحيا = خالد بن سنان العبسي
 ابن للديني — ٢٥ : ٢٦
 ابن للراني = أبو الفتح محمد بن جعفر
 ابن المرزيان كاتب غير الدولة — ١ : ٦٢ ، ٦ : ١٤١

٢٢٠، ٢٢٢، ٢٠٧، ٢٢٢
 أبو الخير الحسن بن سوار للروف ابن
 الحار — ٣٢ : ١١ و ١١ : ٢٣ :
 ١٤، ٣٥ : ٦
 أبو الخير اليهودي — ٢١٨ : ١٢
 أبو دعلج — ٧٠ : ٦
 أبو زكرياء — ٣٥ : ١١
 أبو زكرياء — يحيى بن عدى
 أبو زيد اللوى — ١٣١ : ٢٢١، ٢٠٥ : ٦
 أبو زيد أحد بن سهل البلخي — ٢٦ : ٢
 و ١٥ : ٢١٢ : ١١
 أبو سعيد بهرام بن أزدشير — ٤٣ : ٦
 و ١٥ : ٤٤، ٤٨، ٤٨ : ٥
 أبو سعيد القهي الطيب — ١٥٧ : ١٤،
 ٢١٣ : ١٠
 أبو سعيد السمراني الحسن بن عبد الله بن
 المرزبان — ٢٥ : ٢، ١٧ : ٢٧ :
 ٢٨، ٢٨ : ٧٩، ١٨ : ١٠٧ :
 ١٧، ١٠٨ : ٣، ١٠٩ : ٤،
 ١١١ : ١١٢، ٤٤ : ١١٤ :
 ٢، ١١٥ : ١٢، ١١٨ : ٣ :
 ١١٩ : ٣، ١٢٠ : ١٢١، ١٢١ :
 ١٢٢ : ٣، ١٢٨ : ١٢، ١٢٩ :
 ٦، ١٣١ : ٦، ١٣٢ : ٣ :
 ١٣٣ : ٤، ٢٢١ : ٣، ٢٢٢ :
 أبو سليمان الثنطقي محمد بن طاهر — ٢٩ :
 ٢ و ١٣ : ٣١، ١٠ : ٣٣ :
 ٤، ٣٥ : ٦، ٣٩ : ٧، ٤٠ :
 ١٦، ٤٧ : ٦، ٨٨ : ١٦ :
 ١٣٠ : ١٣، ١٤٦ : ٨، ٢٠١ :
 ١٣، ٢٠٥ : ١٠، ٢٠٦ : ٧ :
 ٢٠٧ : ٢١٤، ٢١٤ : ٧، ٢٢٤ :
 أبو صريح أوس بن حجر التيمي الثامر —
 ٥٩ : ٣

أبو بكر القومسي — ٣٢ : ١ و ١٤ :
 ٣٤ : ١١
 أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه
 الفقيه — ٤ : ٩ و ٢١ :
 أبو بكر محمد بن السري بن سهل للروف
 بابن السراج النحوي — ٧٧ : ٧ و ١٤ :
 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني القاضى —
 ١٤٣ : ١ و ١٨ :
 أبو جعفر الصيمري — ١٣٢ : ٧،
 ١٣٣ : ٢
 أبو جعفر ملك سجستان — ١٣٠ : ١٣
 أبو حاتم الرازي — ١٤٠ : ١٩، ٢٢٢ : ١٧
 أبو حامد أحمد بن بكر اللورودي — ٩٠ :
 ٦ و ١٩ : ٩٥ : ٧
 أبو الحسن أحمد بن جعفر جعظة الفامر —
 ٢٨ : ٨ و ١٩ :
 أبو الحسن الأنصاري موابه الأنطاكي وهو
 أبو القاسم علي بن أحمد — ٩٣ : ١٠ و ١٩
 أبو الحسن المروزي — ٥٩ : ١
 أبو الحسن علي بن عباس بن جريح (ابن
 الروي) — ٢٧ : ٣ و ١٧ :
 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني — ١٠٨ :
 ٣، ١٢٨ : ١١، ١٢٩ : ٥ :
 ١٣٣ : ١٣، ٢٠ : ٢١٤ : ٧
 أبو الحسن الفلكي — ٦٨ : ١٧
 أبو الحسن محمد بن يوسف العامري — ٣٥ :
 ٢٥، ٣٦ : ١ و ١٥ : ٢٢٢، ١٤ :
 ٢٢٣ : ٦
 أبو حنيفة (الإمام) — ٥٥ : ٣، ١٣٢ : ٤
 أبو حنيفة القفوي — ١٩٣ : ٢٠
 أبو حيان التوحيدى — ١ : ٢، ١٩ :
 ٣ : ١١، ٧ : ٦، ٢٦ : ١٧ :
 ٢٩ : ١٤، ٣٢ : ١٤، ٣٦ : ١٧ :
 ٥٠ : ٢٥، ٩٠ : ٧٠، ١٠٤ :

أبو عثمان الجاحظ — ١٤: ٥٨، ٣: ٥
٤: ٦٦

أبو عثمان النضلي — ٩: ٢١٥
أبو علي أحمد بن محمد مسكويه — ١: ٣٢
و ١٦: ٣٠، ٣: ٣٥، ٤٨: ٢: ١٤
٤: ١٣٦، ١٤

أبو علي الحسن بن علي الخالغ — ١: ٣٦
و ١: ١٢

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران —
١٤: ٨، ٢٠: ٢٠

أبو علي بن السج — ١: ٣٢، ١٣: ١٣
أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرة —
١٣: ٤٨، ٨: ٣٣، ٩: ٣٢
أبو علي الفسوي النحوي الحسن بن أحمد —
١٢٩: ٥، ١٩: ٥، ١٣: ١٣، ٤: ١٣٢
١: ١٣٢

أبو علي بن مكينا — ٦: ٤٣، ٢١: ٢١،
٦: ٤٨، ١١: ٤٤

أبو عمرو بن البلاد — ٩: ٥٨
أبو عمرو قدامة بن جفر — ٧: ١٠٨
أبو عيسى بن المنجم: ٤: ٥٦
أبو العيلاء — ٦: ٧٠، ١٣: ٥٨

أبو الفتح بن العميد = ذو الكفائين
أبو الفتح علي بن أبي الفضل محمد بن
العميد

أبو الفتح الفضل بن جفر = ابن القرات
الوزير

أبو الفتح محمد بن جفر الهمداني بن المراهي —
١٢٩: ١٠، ١٣٣: ١٧، ٢٢: ٢٢
أبو الفضل بن العميد الكاتب — ١٦:
٣٥، ١٧: ٣٢، ١٥: ١٧، ١٤:
٣٦، ١٨: ٦١، ١٧: ٦٦، ٣:
٦٧، ٩: ٦٨، ١٥: ١٣٢
٢٦: ١٣٦، ١٢

أبو شعب دوست بن رباط الفقيمي —
٩: ٧٠

أبو طالب الجراحي — ١٤: ٦٨، ١٦:
أبو العباس — ١٢٤: ٥
أبو العباس البخاري تلميذ أبي سليمان المنطق
— ٢٠٧: ١٥، ٢١: ٢٠٨
٤: ٢١٠، ١٤

أبو العباس اللورد — ١٣١: ٨، ٢٧:
أبو العباس محمد بن صباح الكوفي للرواف
بأن السلك — ١٤: ١٥، ١٥:
٣: ٢٢، ٤: ١٥

أبو عبد الله تلميذ أبي سعيد السيرافي —
١٣٣: ٤، ٥

أبو عبد الله الجبائي أحمد بن محمد بن نصر —
١١: ٧٨، ٢٥: ٢٥، ٨٥: ١٥
٩: ٨٦، ١٤: ٨٨، ٥: ٨٦

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج
القاهر — ٤٨: ١٣٧، ٧: ٤٨

و ١٤: ١٣٨، ١١: ١٣٨، ٨: ١٣٩
أبو عبد الله الحسين بن علي الجبل — ١٤٠:
١٦، ١

أبو عبد الله الحسين بن محمد التجار — ٥٨:
١٦، ٢١: ٢١

أبو عبد الله بن طاهر — ٦: ٤٣، ٢٢: ٢٢
٦: ٤٨، ٣: ٤٥

أبو عبد الله العارض الحسين بن أحمد بن
سعدان الوزير — ١٩: ٢، ٤:
١١، ٢٣: ١٢٩، ٢٢: ١٣٩
١٨، ٩٠

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن المسلم —
١٤١: ٢، ١٦: ١٦

أبو عبد الله النصري — ١٣٢: ١٠
أبو عبد الله الرزباني محمد بن عمران —
٤١: ١٢٩، ٥: ١٠، ١٣٤:
٣، ١٥: ١٥

٤٢ : ٤٤ ، ٤٨ : ١٣ ، ٥٠ : ٥٠
 ٢٢٧ : ٥١ ، ٧ : ٥٧ ، ٢ :
 ٢٢٦ : ٢٣
 أبو يوسف الفقيه — ٥٨ : ١٠
 أحمد بن بقر اللزورقي = أبو حامد
 أحمد بن بقر
 أحمد بن جعفر جعطة = أبو الحسن أحمد
 ابن جعفر
 أحمد بن سهل البلخي = أبو زرد أحمد
 ابن سهل
 أحمد بن محمد — ٦٤ : ٢
 أحمد بن محمد مسكويه = أبو علي أحمد بن محمد
 أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني = أبو عبد الله
 الجيهاني أحمد بن محمد
 أخشاد — ٧٩ : ١٠
 إديوس — ١٦٤ : ٣
 أرسطوطاليس — ٣٦ : ١٨ ، ٥٨ :
 ١١٤ ، ١٢ : ١١٦ ، ٤٤ : ١١٦
 استانجيلس — ٦١ : ٢٠
 إسحاق بن إبراهيم اللوصلي — ٢٦ : ٦
 إسحاق بن عمران — ٩٧ : ١٩
 الأسدي — ٩٤ : ١٥
 الإسكافي — ٥٨ : ١٠
 الإسكندر — ٧٥ : ٥
 إسماعيل بن عباد = أبو القاسم إسماعيل
 صاحب بن عباد
 أشجع السلمي — ٥٨ : ٨
 الأصبغ — ٩٤ : ٧
 أتكين — ١٣٧ : ١٠
 الأقرع بن حابس — ٨٥ : ٥
 أفنديس — ٨٩ : ٦
 امرؤ القيس — ١١٨ : ٢٠ ، ٢٠٦ : ١٨
 الأنطليسي — ٢١١ : ٩ ، ٢٢٠ : ١٦
 أنوصروان — ٧٥ : ٧ ، ٨٠ : ٣

أبو القاسم إسماعيل صاحب بن عباد —
 ٣ : ١٣ ، ٢٣ : ٢٤ ، ٢٣ : ٢٣
 ٥٣ : ٢٢ ، ٦١ : ١٥ ، ٦٣ : ١٣
 ٦٤ : ٦٦ ، ٦٦ : ٢٢ ، ٦٧ : ٨ ، ٦٩ :
 ١٩ : ١٠٣ ، ١١ : ١٣٤ ، ٢٢ :
 ١٣٧ : ١٦ ، ١٤١ : ١٢
 أبو القاسم بن حسونة — ٢٤ : ١٥
 ٢١ : *
 أبو القاسم الباركي — ١٤١ : ٩ ، ٢٢ :
 أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف —
 ٤٢ : ١٩ ، ٤٨ : ٤٤ ، ٦١ : ١٢
 ٦٦ : ١ ، ١٥ : *
 أبو القاسم عبيد الله بن الحسن غلام زحل —
 ٣٨ : ١٧ ، ٣ : *
 أبو القاسم علي بن جليات — ١٣٥ : ٧
 ١٧ : *
 أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى الجراح —
 ٣٢ : ٢ ، ٢٣ : ٣٦ ، ١١ :
 أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن
 الصامري — ٣٥ : ٥٦ ، ١٥ :
 ٥٧ : ١٢ ، ٢٢٢ : ١٦
 أبو محمد الحجاج بن يوسف — ٤٧ : ٢
 أبو مسلم الخراساني صاحب الفتوة —
 ٧٥ : ٩
 أبو منصور = ابن الناطر
 أبو نصر خوارشاه — ٥١ : ١٦
 أبو نصر سابور — ٤٣ : ٢٢
 أبو نصر الفارابي — ٣٢ : ٢١
 أبو نواس — ١١٠ : ٢٠
 ٣ : ٩٧ ، ٨ : ١٨ ، ١٠٣ : ٩
 أبو الوفاء علي بن يحيى السامري —
 ٣٨ : ٢
 أبو الوفاء المهندس عمود بن محمد بن يحيى —
 ٢ : ١٩ ، ١٦ : ٧ ، ٤١ : ١٢

(ح)

الحجاج بن يوسف = أبو محمد الحجاج
ابن يوسف

الحرائي — ٣٨ : ٥

الحسن بن أحمد بن عبد التفار = أبو علي
القنوي

الحسن بن برمويه — ٤٢ : ٨ و ١٨ *
٣ : ٤٣

الحسن بن سوار = أبو الخير الحسن بن سوار

الحسن بن عبد الله المرزبان = أبو سعيد
السيرافي

الحسن بن علي الخالغ = أبو علي الحسن بن
علي الخالغ

الحسن بن وهب — ٩٧ : ٧

الحسين — ١٣٩ : ٩

الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر = أبو
عبد الله الحسين بن أحمد

الحسين بن أحمد بن سعدان الوزير =
أبو عبد الله العارض

الحسين بن صالح بن خيان = أبو علي الحسين
ابن صالح

الحسين بن علي الجعل = أبو عبد الله الحسين
ابن علي

الحسين بن محمد التجار = أبو عبد الله الحسين
ابن محمد

(خ)

خاتان — ٧٩ : ٩

خالد بن ستان البهي — ٥٩ : ٣ و ١٥ *

خالد بن صفوان — ٢٣ : ٢

الخافى — ١٠٨ : ٦

خراسان — ٢٢١ : ٢٢ *

الأهوازي — ٤٨ : ١٤

أوميروس الشاعر — ١٦٤ : ٣

(ب)

باقل — ٦٩ : ١٧

البخاري المحدث — ٢٦ : ٢٤

البخاري = أبو العباس البخاري تلميذ
أبي سليمان

البديهي — ٣١ : ٩

بهر بن مقي — ٣٢ : ٢٢

بهر بن حارون — ١٣٩ : ٦

البليسي الوزير — ١٣٠ : ٣

بلهور — ٧٩ : ٩

بندار النقي — ٤٢ : ٩

بهاء الدولة البرهسي — ٣٢ : ١٨ *

بهرام بن أردشير = أبو سعيد بهرام
ابن أردشير

(ث)

ثابت — ٥٧ : ١٢

(ج)

جابر بن حيان — ٣٥ : ١١

الجاحظ = أبو عثمان الجاحظ

جعظة = أبو الحسن أحمد بن جعفر

الجراح = أبو القاسم عيسى بن علي

الجراحي = أبو طالب الجراحي

جرير — ٧٩ : ٢٤، ١٩٧ : ١٦

جعفر بن يحيى — ١٠٠ : ٦

جميل بن معمر صاحب بيتة — ١٣٨ : ١٤

الجبلياني = أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر

الجبلياني = محمد بن أحمد

زكرياء (عليه السلام) — ١٢: ٩١
 الزهري — ٧: ١٠٨
 زهير بن أبي سلمى الشاعر — ٢٥: ٤٥ *
 ٢١: ٧٧
 الزهيري — ٨: ٦٣

(س)

سابور بن أردشير — ١٦: ١٣٧
 سابور = أبو نصر سابور
 سبحان — ٢: ١٣٩
 السري القبطي — ١٧: ٥٨
 سطيج — ٢: ٥٩
 سراط — ٩: ٢١٥
 سكان شاه — ٤: ٧٩
 السلامي — ١٠: ١٣٤
 سليمان (عليه السلام) — ١٢: ٩١
 سليمان بن عبد الملك — ٦: ٢٧
 سهل بن هارون — ١٤: ٥٨
 سيور — ١٧: ١٣١، ١٨: ٧٩
 ٣: ٢٢٢
 السيرافي = أبو سعيد السيرافي
 سيف الدولة بن حمدان — ١٦: ١٣٦، ٢٥: ١٣٧
 ١: ١٣٧

(ش)

شبيب بن شبة — ٢: ٧١
 شرف الدولة البويهى — ١٦: ٥١
 شهرزاد — ٢٢: ٢٣ *

(ص)

الصابي = أبو إسحاق إبراهيم بن هلال

خراش بن زهير — ٩: ٢٢١
 الخليل بن أحمد — ٩: ٥٨
 خواشاذه = أبو نصر خواشاذه

(د)

الدارقطني — ١١: ١٣٠
 داود (عليه السلام) — ١١: ٩١
 دوست بن رباط القتيبي = أبو شبيب
 دوست بن رباط

(ذ)

ذو الرمة الشاعر — ١٨ و ١٠: ٢٢
 ذو الرياستين (ابن سينا) — ٢: ٥٩
 ذو الكفارين أبو الفتح علي بن أبي الفضل
 محمد بن السيد — ١٢: ٣ و ٢٠: ٢٠ *
 ١٠: ٦٦، ١٣٦، ٣: ١٣٧
 ٩ و ١٠: ١٣٩، ٣

(ر)

الرازي = أبو حاتم الرازي
 الراوندى — ١٩: ١٤٠
 ردينة — ٢٢: ٧٦
 الرشيد = هارون الرشيد
 الرضى باقة العباسى — ١٩: ٧٩
 الرماني = أبو الحسن علي بن عيسى
 ركن الدولة البويهى — ٢١: ٣
 روضة بن السباج — ١٩: ١١٨

(ز)

الزجاج — ٨: ١٣١
 زرادشت — ٩١: ٩٢، ٩٣: ٩٣، ٥٠

علم الجارية — ٩ : ٤٢
 على بن أبي طالب — ١٠ : ٢١ ، ٧٠ : ٩
 على بن أبي الفضل محمد أبو الفتح بن العبيد =
 ذو الكفارين أبو الفتح على
 على بن أحمد الأنطاكي = أبو الحسن
 الأنصاري

على بن جعفر — ٦ : ٦٧
 على بن جليات = أبو القاسم على بن
 جليات

على بن ربن — ٥٨ : ١٥ ، ١٩ : *

على بن عباس بن جريج = أبو الحسن على
 ابن عباس

على بن عيسى الجراح الوزير — ٣٢ :
 ٢٣ ، ٦٨ : ١٤

على بن القاسم — ١٦ : ٦١
 على بن يحيى الساسري = أبو الوفاء على
 ابن يحيى

عمارة بن عقيل — ٧ : ٢٧٢

عمر بن الخطاب — ٢١ : ٨ ، ١٠٣ : ٨

عمر بن عبد العزيز — ٢٦ : ٩

عمرو بن كلثوم — ١٤٣ : ٢٠ *

عمير بن شبيب التغلبي الملقب بالقطامي — ٢٢ :
 ١٤ و ٢٢ *

عترة العبيسي — ١١ : ٢٠ *

عيسى بن إسحاق = أبو على عيسى
 ابن إسحاق

عيسى بن دأب الأخباري — ٥٨ : ١٥

عيسى بن على بن عيسى الجراح = أبو
 القاسم عيسى

عيسى (عليه السلام) — ٥٩ : ١٥

(غ)

غزال الرافض — ٤٢ : ٩

المصاحب بن عباد = أبو القاسم لإسماعيل

المصاحب بن عباد

المصافاني — ٣٨ : ٣

ميهدي — ٧٩ : ١٠

مرجع الفوائ — ٥٨ : ٧

مصعب الدولة بن عضد الدولة بن بويه —
 ٤ : ٢٤ ، ٤٢ : ١٨ ، ٤٣ : ١٢ ،

٥١ : ١٧ ، ٦٦ : ١٧

(ط)

طرفة — ٨١ : ٢٠ *

(ع)

عباد أبو المصاحب — ٦٣ : ٨

العباس بن مرداس — ٧٦ : ٦

عبد العزيز بن محمد بن نباله السدي —
 ١٣٦ : ١١ و ٧٥ *

عبد العزيز بن يوسف = أبو القاسم

عبد العزيز بن يوسف

عبد الله بن دارم — ٨٤ : ٦

عبد الله بن مصعب — ٤١ : ٥

عبد الله بن مروان — ٧٦ : ٧

عبد الله بن الحسن = أبو القاسم غلام زحل

عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود —
 ٢٦ : ١٠

عبد الله بن الورد — ٦١ : ١

عن الدولة البرهسي — ٦٧ : ١٨

المسجدي — ٤٨ : ١٤

عضد الدولة بن بويه — ٣ : ٢٢ ، ٣٠ : ١٩ ،
 ٣٢ : ١٨ ، ٤٢ : ٢ ، ٤٣ : ٢١ ،

٦٦ : ١٦ ، ٦٧ : ١٨ ، ١٣٤ : ٢٢ ،
 ١٣٧ : ١٦

مقي = أبو بصير مقي بن يونس القناني
محمد (صلى الله عليه وسلم) - ١٥ : ٥٩ .

٢ : ٩١

محمد بن إبراهيم - ٥ : ٦٩

محمد بن أحمد الجيهاني - ٢٥ : ٧٨

محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه القفيعه =

أبو بكر محمد بن أحمد بن علي

محمد بن جعفر الممداني = أبو الفتح محمد

ابن جعفر

محمد بن الحسين الحامشي - ١ : ١٣٥

و ١٠ *

محمد بن حيويه بن المؤمل - ١١ : ١٢٩

٣ : ١٣٤ و ١٨ *

محمد بن السري بن سهل = أبو بكر محمد

ابن السري

محمد بن صبح الكوفي = أبو العباس محمد

ابن صبح

محمد بن طاهر = أبو سليمان اللطفي محمد

ابن طاهر

محمد بن طنج = ابن طنج

محمد بن الطيب البافلاني القاضي = أبو بكر

محمد بن الطيب

محمد بن عبدكان - ١٢ : ٦٧ ، ٦ : ٥٨

و ٢٥ *

محمد بن عمران = أبو عبيد الله المرزاني

الأديب

محمد بن محمد بن النعمان = أبو عبد الله محمد

ابن محمد بن النعمان

محمد بن يوسف العامري = أبو الحسن

محمد بن يوسف

محمود بن محمد بن يحيى = أبو الوفاء المهندس

للرزاني بن محمد ملك الديلم - ١٤ : ٦٨ ،

٥ : ١٣٠

للرزاني صاحب آل سامان - ٩ : ١٠٨

غلام زحل = أبو القاسم عبيد الله بن الحسن
غيلان بن عقبة بن نهيس = ذو الرمة

(ف)

غفر الدولة أبو الحسن علي بن بويه - ٤ :

١٢ ، ٦٠ : ١٧

فضالة بن كلدة - ٤ : ٥٩

الفضل بن جعفر = ابن الفرات

(ق)

قايوس - ٩ : ٥١

القادر بالله الخليفة - ١٠ : ١٣٥

قارون - ١٤ : ١٤١

قدامة بن جعفر = أبو عمرو قدامة بن جعفر

قس بن ساعدة - ١٧ : ٦١

القنيس نظيف النفس الرومي - ٢ : ٣٢

و ١٩ * ٣ : ٣٧

القنطاري = عمير بن شميم القناني

القنطري - ١٨ : ٣٨ ، ١٠ : ٣٢

القناني = أبو بصير مقي

القنوي - ٣ : ٣٨

قيصر - ٨ : ٧٩

(ك)

الكبي - ٦ : ١٠٨

كريز أبو سيار للسمي - ٧ : ٧٠

كسري - ٨ و ٣ : ٧٩

كسري أنوشروان = أنوشروان

الكندى - ٥ : ١٢٧ ، ١٢ : ٥٨

(م)

الغني - ١١ : ١٣٥

(أ)

هارون الرشيد — ١٤ : ١٦ ، ٢٢ : ٢
المروى — ٦٩ : ١٢

(و)

الواقى باقة الخليفة — ٩٧ : ١٦
الواسطى — ١٤٠ : ١١
الواقى — ٥٨ : ١٦
وهب بن عيش الرقى = ابن عيش

(ى)

ياقوت — ٥٥ : ٧٩ ، ٧٩ : ٨٤ ، ٨٤ : ١١٠ ، ١١٠ : ١١٦ ، ١١٦ : ٢٠ ، ٢٠ : ١٣٢
يحيى (عليه السلام) — ٩١ : ١٢
يحيى بن عدى أبو زكريا — ٣٢ : ٢
و ٢١ ، ٣٧ : ٦
يعقوب بن الكيت — ٢٢٦ : ١
يقفور صوابه قُفْقُور — ٧٩ : ٩
يوحنا — ٥٨ : ١٥

مزدك — ٩٢ : ٩

مسكويه = أبو علي أحمد بن محمد
السيح (عليه السلام) — ١٥ : ١٢
معاوية بن أبي سفيان — ١٠ : ٢١ *
١٥ : ٧٠ ، ٥٥ : ٩
المصم الخليفة — ٥٨ : ٢٠ *
المرى صوابه المصمى — ٣٨ : ٣
القتدر الخليفة العباسى — ١٠٧ : ٢٢ *
النذر بن ساوى — ٨٤ : ٥
الهدى الخليفة — ٧٠ : ٦
المهلبى الوزير — ١٣٧ : ١٠ ، ١٣٧ : ١٦
موسى (عليه السلام) — ٩١ : ١١
مؤيد الدولة أبو منصور يوحى — ٣ : ٢٤ *
١٣ : ٦٠ ، ١٣ : ٤

(ن)

النبي = محمد صلى الله عليه وسلم
النجار = أبو عبد الله الحسين بن محمد
نصر الدولة — ٣٢ : ١٤
نصر غلام خواشاذه — ٥١ : ٢
النصرى = أبو عبد الله النصرى
النصيبى = أبو إسحاق النصيبى
نظيف = النفس نظيف النفس الروى

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

١٩٠ : ١٤٠ ، ٢٦٦ : ١٣٦ ، ١٣

٢٣١٠ : ١٤١

بلاد الجبال — ١٧ : ٣ ، ١٠ : ٤

بوزجان — ٢٣ : ٥٠

البيت المتيق — ٩ : ٢٤

السيرستان — ٧ : ٥١

(ت)

تركستان — ٢١ : ٧٩

تقليس — ١٣ : ٥٥

(ج)

جبل طي — ٢٢ : ٨٣

جرجان — ٩ : ٥١

جزيرة الرب — ٢٤ : ٨٤

جيهان — ٢٤ : ٧٨

(ح)

حزموه — ١٠ : ٨٤

(خ)

خراسان — ٢٦ : ١٦ ، ٤١ : ١٥ ،

(١)

أرجان — ١٩ و ٩ : ٤

لرم — ٢٤ و ٧ : ٨٤

أردوال = أردوان

أردوان — ٢٨ : ٧٩

أسكنان — ١٠ : ٧٩

أصبهان — ٢٧ : ٧٩ ، ٨ : ٦٣ ،

٢٢ : ١٤١

أندلس — ٩ : ٧٧

أنطاكية — ١٩ : ٩٣

الأهواز — ١٢ : ١٣١ ، ١٩ : ٤

(ب)

باب الجسر — ٦ : ٥١

باجهان = أرجان

باريس — ١٧ : ١٣٧

بحر الهند — ٢٥ : ٨٤

البحرين — ١٦ و ١٤ : ٨٤

بخارى — ٢٥ : ٧٨

البصرة — ١٧ : ١٤٠

بغداد — ٢٥ : ١٦ ، ١٤ : ١١ ، ٣ : ٢٥

١٨ : ٢٨ ، ٢١ : ٢٩ ، ١٣ : ٥٥

٣٢ : ١٣ و ٧٠ : ٤١ ، ١٨ : ١٨

١٩ : ١٩ و ٢٠ : ١٨ ، ١٨ : ١٨

(ش)

الشام — ١٠ : ٧٩ ، ٧٩ : ٢٠ ،
٨٣ : ٢٢ ، ٨٤ : ١ ، ١٩٤ : ٥ ،
الشحر — ٨٠ : ١٣ ، ٨٤ : ٧ و ٢٥

(ص)

صحر — ٨٤ : ٧ و ٢٣
الصفا — ٨٤ : ١٦
صفين — ٧٠ : ٧
صنماء — ٨٠ : ١٤ ، ٨٥ : ١ ،
الصين — ٧١ : ١٦

(ط)

طهران — ٣ : ١٨
طيبة — ٨٠ : ٤ و ١٥

(ع)

عفن — ٨٤ : ٨ و ٢٤ و ٢٥
العراق — ١٠ : ٢١ ، ٢٢ : ١٣ ، ٥٠ :
٢٣ ، ٨٤ : ١ ، ١٣٤ : ٢١ ،
عرقه — ٨٥ : ٦
عكاظ — ٨٥ : ٣ ، ٢٢١ : ١٠ و ١١
عمان — ٤٣ : ١٢ ، ٨٤ : ٦ و ١٩ و ٢١
و ٢٧ و ٢٣ و ٢٥

(ف)

فارس — ٤ : ١٩
فرقة — ٥٠ : ١٣ و ٢٢ ، ٧٩ :
١٠ و ١٩ و ٢٠

٧٨ : ٧٤ ، ٧٩ : ٩ ، ١٣٤ : ١٥ ،
١٤٤ : ١٣ ، ٢٢١ : ٢٢

خوارزم — ٧٧ : ٩
خوزستان — ٤ : ١٩ ، ٧٩ : ٢٨

(د)

دار الكتب المصرية — ٩٨ : ١٩
دارك — ١٤١ : ٢٢
دبا — ٨٤ : ٧ و ٢٠
دمشق — ٨٣ : ٢٣
دومة الجندل — ٨٣ : ١٤ و ٢٢ ، ٨٤ :
٣ و ١٢

(ذ)

ذو المجاز — ٨٥ : ٣

(ر)

راغة = الرى
الراية — ٨٤ : ١٠
الرى — ٣ : ١١ و ١٧ و ٢٤ ، ٣٥ : ٥٠ ،
٣٦ : ١١ ، ٥١ : ٨ ، ١٣٦ : ٣ ،
١٤١ : ١٢

(ز)

زروود — ٨٠ : ١٥

(س)

سجستان — ٤٢ : ٦ ، ١٣٠ : ١٣
سر من رأى — ٦٩ : ٦
سجستان — ٤١ : ١٥ و ٢١

نيسابور — ٤ : ٧٧ ، ٥٠ : ٧٣ ،
١٤١ : ١٠ و ٧٧

(هـ)

هجر — ٨٤ : ٤ و ١٤ و ١٧
ههتان — ٥٣ : ١٢ ، ١٣٤ : ١٨ ،
١٤١ : ٥ و ١٣
الهير — ٨٠ : ١٦
الهند — ٧٩ : ٩ ، ١٦٥ : ١٣ ،
١٧٤ : ٨

(و)

واسط — ٢٨ : ٢١ ، ٧٩ : ٢٨
ويار — ٨٠ : ٣

(ي)

يبرين — ٨٠ : ٤
اليمن — ٨٠ : ١٣ ، ٨٤ : ٢٥
يونان — ١٧٠ : ١٠ ، ١٧٣ : ١١

(كـ)

كرخ بندان — ١٣٤ : ٢١
الكوفة — ١٤ : ١٧ ، ٩٧ : ١٩

(م)

ماوراء النهر — ٩٩ : ٢٣
للتصنيف البريطاني — ١٣٧ : ١٧
للمدينة — ٨٣ : ٢٢
مدينة السلام = بندان
مرو — ٤١ : ٢١
المشقر — ٨٤ : ٥ و ١٦
مصر — ٥٥ : ١٣ ، ٧٩ : ٢٠ ،
١٠٨ : ٩
مكة — ٨٠ : ١٦
مكتبة باريس — ١٣٧ : ١٧

(ن)

نجد — ١٩٦ : ٩
النوبة — ١٦٥ : ١٤

فهرست القبائل والأمم والفرق الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

١١٧ : ١٤٠ : ١٣٧ : ١٤٤ :
١٠ : ٧١٢ : ٧٦ و ٨

(ج)

الجاهلية — ٩٩ : ١٤
الجبرية — ٥٧ : ٢٤

(ح)

الحكاء — ١٤٦ : ١٤٨ : ١٣

(خ)

الخرمية — ١٤٣ : ٤

(ر)

الروم — ٧١ : ١٤ : ٧٤ : ١٧٣ :
١٧ : ٢١١ : ١٩

(ز)

الزبدية — ٥٥ : ٣
الزنج — ٧١ : ١٨ : ٧٤ : ٢ : ٧٧ :
٩ : ٢١٢ : ٩

(ا)

آل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) =
٥ : ١

آل ابن ثوبة — ٩٧ : ٨ : ١٠٣ : ٩

آل ابن وهب — ١٠٣ : ٩

آل سامان — ١٠٨ : ٩ : ١٢٩ : ١٦

الأتراك = الترك

أهل القعة — ٩٩ : ٢٤

(ب)

البصريون — ٢٥ : ١٩

البغداديون — ١٩ : ١٣ : ١٨

بنو أسد — ٨٠ : ٣

بنو عيم — ٨٥ : ٥

بنو عبد الله بن دارم — ٨٤ : ٦

بنو عبد المطلب — ٧٦ : ٨

بنو مخزوم — ١٣٤ : ٢١

(ت)

التابعون — ٢٥ : ٢

الترك — ٧١ : ١٧ : ٧٤ : ٢ : ٧٧ :

٩ : ٧٩ : ٩ : ١١٠ : ١٣ :

١٦ : ٩٤ ، ١٦ : ٩٢ ، ١٤ : ٩١
 ٣ و ٧ و ٩ و ١١ و ١٥ : ١٠٦ : ١
 ١٩ ، ١١٠ : ١٣ : ١١٤ :
 ٣ ، ١١٧ : ١٤ : ١٢٢ : ١٦ :
 ١٢٩ : ١٢ : ١٣٠ : ٢ : ٤ :
 ٢١٢ : ٤ و ٦ و ٨ و ١٤ و ٢١ :
 ٢٢١ : ٥ :

المراقبون — ٦٤ : ٢

(ف)

الفرس — ١١ : ٧١ ، ١١ : ٧٤ ، ١ : ٧ و ١٠ :
 ٨٩ : ١٥ و ١٧ ، ٩٠ : ٩٣ ، ١ :
 ٥ و ١٦ ، ٩٤ : ٥ : ١١٠ : ١٣ :

الفلاسفة — ٢٦ : ١٥ : ١٩٨ : ٧ :

(ق)

الفرامطة — ٤٤ : ٤٣ ، ٤٨ : ٥ :

(ك)

كلب — ٨٣ : ٢٣ ، ٨٤ : ١ و ٣ و ٤ :

كتابة — ٨٣ : ٢٣ :

الكوتيون — ١٣١ : ٥ :

(م)

التكلمون — ١٤٣ : ١٨ :

المترة — ٥٤ : ١٤ ، ١٤٣ : ٣ :

للحدة — ١٤٣ : ٤ :

النطقون — ١٠٨ : ١٨ ، ١٢١ : ٨ :

للهندسون — ١٠٧ : ٦ :

(س)

السامانيون — ٧٨ : ٢٦ :

السودان — ٢١٢ : ٩ :

(ش)

الشافية — ١٤١ : ٢١ :

الشعة الامامية — ١٤١ : ١٦ :

(ص)

الصايبون — ٦٧ : ٢٦ ، ٩١ : ٨ :

١٢٨ : ٧ :

الصباغة — ٢٥ : ٢ :

صقلاب — ٧٧ : ٩ :

الصوفية — ٧ : ٤٨ ، ٥٦ : ١٩ :

(ط)

الطبيعيون — ١٠٧ : ٦ :

(ع)

عيس — ٥٩ : ١٦ :

العجم — ٤٧ : ٧٠ ، ١٢ : ١٧ ،

٧٧ : ٨ ، ٨٣ : ١٢ ، ٩٠ : ١ :

العرب — ٢٤ : ٩ ، ٢٥ : ٣ ، ٤٧ :

٢٢ : ٧٠ ، ١٧ : ٥٠ ، ١٢ : ١٣ :

١٤ و ١٥ : ٧١ ، ١٨ : ٧٢ :

٥ ، ٧٤ : ٣ و ٧٦ : ١٤ ، ٢٢ :

٨٠ : ٢٣ ، ٨٢ : ٨ ، ٨٣ : ٣ ، ١٠ :

٨٤ : ٢٠ و ٢١ ، ٨٥ : ٧ :

٨٦ : ١٦ ، ٨٨ : ١٦ ، ٨٩ :

١١٧ : ١٤ : ١٧٤ : ٨ : ٢١١ :

١٩ : ٢١٢ : ٣

(ى)

اليهود — ٩١ : ٨ و ١٠

يونان — ٧٥ : ٥ : ٨٩ : ١٦ و ١٨

١٧٠ : ١٠ : ١٧٣ : ١١

٢ : ٢١٧

(ن)

التحويون — ١٠٧ : ١ : ١١٧ : ٩

١٢١ : ١٠

النصارى — ٩١ : ٨ و ١٠

(هـ)

الحنود — ٧٤ : ١٨ : ٧٧ : ٩

٧٩ : ٩ : ٩٣ : ١٠ : ١١٠ : ١٣

فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

تهذيب الأخلاق — ١٧ : ٣٢

(ح)

حياة الحيوان — ٢١ : ١٨٠

الحيوان للباحظ — ١٤ : ٥٨ ، ٢ : ٥

(ذ)

ذيل تجارب الأمم — ١٧ : ٤٢ ، ٤٣ : ٢٠

(ر)

الرسالة الخاتمة — ١٠ : ١٣٥

(ع)

عيون الأخبار — ٢٤ : ٢٧

عيون الأنباء — ١٨ : ٤١

(ف)

فردوس الحكمة — ١٩ : ٥٨

فضيلة علم الأخبار — ١٦ : ٢٦

الفلاحة — ١٠ : ٨٩

الفهرست — ١٦ : ١٣٤

(١)

آيين نامه — ٢٥ : ٧٨

الأجوبة — ١٦ : ٣٦

أخبار بني يوش — ٢٠ : ٦٧

أخبار الحكماء — ٢٤ : ٥٠ ، ١٨ : ٣٨

إصلاح للنطق — ١ : ٢٢٦

إعجاز القرآن — ١٩ : ١٤٣

الألفاظ الفارسية للعربية — ٢٤ : ٧٩

ألف ليلة وليلة — ٢١ : ٢٣

ألفاظ البصر من الجبر والقدر — ١٥ : ٢٢٢

ألساغوسى — ٤ : ٣٥

(ب)

البدل — ٢١ و ١٦ : ٥٨

بلوغ الأرب — ١٨ : ٨٤

البهجة — ٢ : ١٣٤ ، ٢٣ : ١٣٣

(ت)

التاجى في أخبار بني يوش — ١٩ : ٦٧

تاريخ ابن الأثير = الكامل لابن الأثير

تاريخ الحكماء — أخبار الحكماء

تجارب الأمم — ١٧ : ٣٢

معجم البلدان — ٧٩ : ٢٧ ، ٨٤ : ٩٤
 المعجم الفارسي الإنجليزي — ٦١ : ١٩
 مفاتيح العلوم — ٩٩ : ٢٢
 مفردات ابن البيطار — ١٧٩ : ٢١
 المقابلات — ١١٤ : ١٨ و ٢٠ ، ١١٥ :
 ١٩ و ١١٦ ، ٢٠ : ١٩
 المقدمات — ١٤١ : ٢١
 الموسيقى — ٨٩ : ٩

(ن)

نقض كلام الراوندي — ١٤٠ : ١٩
 نقض كلام الرازي — ١٤٠ : ١٩
 نهاية الأرب — ٩٨ : ١٩
 النوادر — ٢٦ : ١٧

(هـ)

هزار آسان — ٢٣ : ٨ و ١٩

(ي)

يقيمة الدرهم — ١٣٤ : ٢٣ ، ١٣٥ :
 ١٨ ، ١٣٦ : ١٣ ، ١٣٧ : ١٧

(ق)

قامليغورياس — ٣٥ : ٤

(ك)

الكامل لابن الأثير — ٥٠ : ٢٤ ، ١٣٣ :
 ٢٤ ، ١٣٧ : ٢١
 كتاب إقليدس — ٨٩ : ٩
 كتاب الجيهاني في الطعن على العرب —
 ٧٨ : ١١
 كتاب سيوه — ٧٩ : ١٨ ، ١٣١ :
 ٧ و ١٩ و ٢٠ ، ٢٢٢ : ٣

(ل)

لسان العرب — ١٢٢ : ٢٠ ، ٢٢١ : ١٨
 اللطيف — ١٤١ : ٢١

(م)

المجسطي — ٨٩ : ٩ و ١٥
 مشترك التاج — ١٢٢ : ٢٠
 معجم الأدباء — ٢٤ : ٢١ ، ٣٥ : ١٧ ،
 ٥٤ : ٢١ ، ٥٥ : ١٨ و ٢٠

استدراك

اطلع صديقنا السيد محمد كرد علي عَلَى تجارب الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة بعد أن مثلت للطبع ، فكتب عليها للملاحظات الآتية ، ونحن نسجلها لحضرته مع شكرنا الجزيل له على هذه المعاونة العلمية القيّمة .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٨	أَبَدُ	أَبَدَ
٣	١٣	عَابِسَا	عَاتِبَا
١٠	٦	يُفْتَقَرُ	يُفْتَقَرُ
١٠	٨	بِفِكَاهَتِكَ	بِفَهَاهَتِكَ
١٢	٢	زَهْرَاتِهَا	زَهْرَتِهَا
١٢	٩	وَعَيُوبُ	وَعُيُوبُ
١٣	٩	طَلَبُ	طَلِبُ
١٦	٩	يَحْرُصُونَ	وَيَحْرُصُونَ
٢١	١	مَحَاوِبَةٍ	مَحَايَا
٢٦	١٠ و ٩	وَاللّٰهُ إِنِّي لَأَشْتَرِي الْمَحَادِثَةَ مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ	وَاللّٰهُ إِنِّي لَأَشْتَرِي لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي عَبِيدِ اللَّهِ
٣٥	٣	شَاذٌ	شَاذٍ
٣٨	٣	السَّامِرِيُّ وَالْمَرِيُّ	السَّامِرِيُّ وَالْمَعْتَمِرِيُّ ، (وقد ذكرنا هذا التصويب في فهرست الأعلام أيضاً) .
٣٩	٤	مَخَارِقُ النُّجُومِ	مَخَارِفُ النُّجُومِ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٩	١٥	عنده الصناعة	هذه الصناعة
٤٠	١٣	يعبر	يعتبر
٤٠	١٩	النفس الفلكية	النفس الكلية
٤١	١	» »	» »
٤١	١٣	قال	قلت
٤٤	٦	تأجيل	تهجين
٥١	٩٠٨	إلى قابوس وجرجان	إلى قابوس بجرجان
٥٧	١٤	أنه من فعلاته	أنها من فعلاته
٥٨	٤	يقال	يقال [له]
٦٨	١٦	ابن أبي طالب	أبو طالب
٧٠	١	في دار	في دار [لِثَن] . (والثاني : الدَّهْقَانُ ؛ أَوْ زَعِيمُ الْإِقْلِيمِ)
٧٢	١٣	ويتجنَّبون به على الدَّعَاةِ	ويتجنَّبون به الدَّعَاةِ
٧٩	٩	يقفور	فَقْفُور
٨٣	١٠	ويكفيني	ويدفني
٨٦	١١	للمؤذية	المؤذبة
٨٦	١٣	نَقَاب	نِقَاب
٨٨	٢	والاختبار	والاختيار
٨٨	١٦	مع الجماعة وأبو سليمان يقول	وأبو سليمان يقول مع الجماعة
١٠٠	١١	وينصف	وينصف

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٠١	٩	خَرَفَتْ	خَرَفَتْ
١٠٢	٢٠ و ٢١	تَتَفَذَّى	تَتَفَذَّى
١١٣	١٥	بِإِذَاءِ	بِإِذَاءِ
١٣٦	١١	يَذْفَعُ	[لا] يَذْفَعُ
١٥٨	١٥	بِذَالاً	بِذَالاً
١٩٦	٧	حَدَّثَ الْعَيْنَ	جَذَبَتِ الْعَيْنَ
١٩٧	ح ٢٠	ثَوْبَيْنِ	ثَوْبَانِ
٢٠٨	١٠	لَمْ تَتَحَرَّكُونَ	لَمْ [لا] تَتَحَرَّكُونَ
٢١٨	٤	وَالثَّقَّةُ شَوْكُ الْقِتَادِ	و [دون] الثَّقَّةُ شَوْكُ الْقِتَادِ
٢٢٠	٧	لَا يَطْرِدَانِ وَلَا يَسْتَمِرَّانِ	لَا يَطْرِدَانِ وَلَا يَسْتَمِرَّانِ
٢٢٣	١	قَوِيَّةٌ	قَوِيَّةٌ

وقد تفضل فحّم هذه الملاحظات بالجملة الآتية :

« هذا ما أردت تعميده ، ومن هذه الملاحظات ما يرّد عليه بأيسر سبيل ، ومنه ما هو من هنات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، ومن رأى النسخة الوحيدة التي جرى عليها الطبع من كتاب الإمتاع والمؤانسة يهتئ الأستاذين ناشره على ما وقفا له من تقويم غلطاته وسقطاته وتحرّفات ، والمصمة لله وحده » .

Biblioteca Alexandrina



0415839